



مَسَاءٌ عَرِيبٌ

مَسَاءٌ عَرِيبٌ
عَرِيبٌ عَرِيبٌ
مَسَاءٌ عَرِيبٌ
عَرِيبٌ عَرِيبٌ

مَسَاءٌ عَرِيبٌ
عَرِيبٌ عَرِيبٌ

مَسَاءٌ عَرِيبٌ
عَرِيبٌ عَرِيبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحث قرآنى، روانى، علمى، فقهى فى اثبات ان مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه

كاتب:

محمد رجب عبدالوهاب

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	بحث قرآنى، روانى، علمى، فقهى فى اثبات ان مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه
٨	اشاره
٨	اشاره
١٢	كلمه المعهد
١٤	المقدمه
٢٠	الفصل الأول
٢٠	اشاره
٢٢	البحث القرآنى والعقلى
٢٢	الدليل الأول
٢٦	البحث الروائى
٢٦	الدليل الثانى و الثالث والرابع لاشتماله على ثلاثه ألسن
٢٦	اللسان الأول: هو هدم القبور
٢٧	اللسان الثانى والثالث: لعن زائرى القبور والمتخذينها مساجد
٢٧	اشاره
٢٨	أزمه منهج الاستظهار عند السلفيه
٣٠	كراهه ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنه لا الحرمه
٣٣	اختصاص هدم القبور بالمشركين
٣٣	سبب نسخ النهى عن زياره القبور
٣٤	اتفاق جمهور السنه على رجحان زياره القبور
٣٥	الحكمه فى الأمر بهدم قبور المشركين
٣٥	اشاره
٣٦	وضوح دلالة الآيتين على سنه زياره القبور

- ٣٧ الحكمه فى النهى ثم الأمر بزياره القبور
- ٣٧ جملة اخرى من روايات المستدل بها على الحرمة
- ٣٧ اشاره
- ٣٨ الحكمه فى نهى النساء عن زياره القبور مقيدده
- ٣٨ زياره فاطمه بنت النبى (ص) لقبر حمزه
- ٣٩ نسخ كل من النهى عن زياره القبور والنهى عن عمارتها
- ٤٠ الدليل الرابع: الروايات الواردة الناهيه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد
- ٤٠ اشاره
- ٤٢ اتخاذ قبره وثناً أى نصب التماثيل كأصنام على القبر
- ٤٣ الحكمه فى النهى عن جعل القبور محلاً لسجود الصلاة
- ٤٣ اتخاذ القبور مساجد اى السجود والصلاه عليها
- ٤٤ بناء قبر النبى (ص) فى الصدر الاول
- ٤٥ اتخاذ قبره وثناً هو بالقول بانه ابن الله أو بالقول بتعدد الآلهه
- ٤٦ اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد اى بالقول بتأليهم
- ٤٨ جمهور علماء السنه على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد الثلاثه
- ٤٩ فضيله المسجد النبوى بأهل البيت عليهم السلام
- ٥١ الحياه فى الآخرة والبرزخ أشد قوه من الدنيا
- ٥٣ اليأس من الموتى وأصحاب القبور من صفه الكفار والمنافقين والإيمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنين
- ٥٤ الصدّ عن زياره القبور صدّ عن الآخرة ودعوه للعكوف على الدنيا
- ٥٦ الفصل الثانى
- ٥٦ اشاره
- ٥٨ الدليل الأول: البيانات القرآنيه
- ٥٨ جهات البحث
- ٦٥ من تمام الحج ولايه النبى الأكرم (ص)

- ٦٦ نبذ ولايه النبي الأكرم هو العود إلى الوثنيه الجاهليه
- ١٧٨ الدليل الثاني: البيانات النبويه
- ١٧٨ اشاره
- ١٧٨ سيره المسلمين في قبور الانبياء
- ١٨٠ شعيريه قبور الانبياء في المسجد الحرام
- ١٨٠ حفظ قبور الانبياء عن الاندراس بعمارتها
- ١٨١ الروضه عند قبره (ص) مشعر عند المسلمين
- ١٨٢ فضيله المشاهد المشرفه عند جمهور علماء السنه
- ١٨٢ تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفه على سائر البقاع
- ١٨٣ الروضه بين بيوته (ص) شامله لقبور ذريته الأطهار
- ١٨٥ تشعير المدينه من قبل الرسول مضافا إلى تشعير القبر
- ١٨٦ فائده في حدود الروضه
- ١٨٩ سن النبي (ص) إقامه المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السلام
- ١٩٠ سن النبي (ص) الدعاء والعباده عند قبور أهل بيته عليهم السلام
- ١٩١ جملة من سنن النبي (ص) في زياره قبر والدته عليها السلام
- ١٩٣ توقيته (ص) الحج بزياره قبره
- ١٩٤ الحج وزياره قبر النبي واهل بيته من دون التفريط بكل منهما
- ١٩٧ مسجد الكوفه أعظم من بيت المقدس
- ١٩٧ عماره قبره (ص) بقاء للشهاده الثانيه
- ١٩٨ طمس قبره الشريف إمامته لذكره (ص)
- ٢٠٢ المصادر والمراجع
- ٢١٢ تعريف مركز

بحث قرآنی، روانی، علمی، فقہی فی اثبات ان مشاہدنا و قبور اهل البیت علیہم السلام مشاعر الہیة**اشارہ**

سرشناسه : عابدینی، حسین، ١٣٤٩ -

عنوان و نام پدیدآور : بحث قرآنی، روانی، علمی، فقہی فی اثبات ان مشاہدنا و قبور اهل البیت علیہم السلام مشاعر الہیة /
محاضرات محمد السند؛ بقلم محمدرجب عبدالوہاب.

مشخصات نشر : تہران: نشر مشعر، ١٣٩٢.

مشخصات ظاہری : ٢٠٥ ص.

شابک : ٩٧٨-٩٦٤-٥٤٠-٤٥٣-٤

وضعیت فہرست نویسی : فییا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامہ: ص. [١٩٥] - ٢٠٠؛ همچنین بہ صورت زیرنویس.

موضوع : گورها و گورستان ہا -- زیارت -- احادیث

موضوع : گورها و گورستان ہا -- زیارت -- دفاعیہ ہا و ردیہ ہا

شناسہ افزودہ : عبدالوہاب، محمدرجب، گردآورندہ

ردہ بندی کنگرہ : BP٢٢٦/٧ /س ٨٦ب ٣ ١٣٩٢

ردہ بندی دیویی : ٢٩٧/٧٦

شمارہ کتابشناسی ملی : ٣٢١٧٥٧٨

ص: ١

اشارہ

ص: ٥

كلمة المعهد

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

لقد أمر الله تعالى عباده المسلمين بتعظيم الشعائر الإلهية، وعدّ ذلك من تقوى القلوب (١)، كما دأب المسلمون على مرّ التاريخ على اعتبار زيارة قبور الأولياء الإلهيين من أبرز مصاديق تعظيم الشعائر الإلهية، لا سيما في موسم الحجّ، حيث يبدون اهتماماً كبيراً بزياره قبر النبيّ الأعظم (ص) وباقي الأولياء الإلهيين المدفونين في بلاد الحجاز؛ ولكن ما إن تسلّطت الوهابية على تلك البقعة من الأرض قبل زهاء ثلاثة قرون حتّى نهت عن أداء مثل هذه الأمور العبادية، واعتبرت زيارة قبورهم من مصاديق الابتداع ودلائل الشرك!

وقد جاء هذا الكتاب بقلم سماحه آية الله الشيخ محمّد السند، العلامة الذي نهل من نير مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ليسلّط الأضواء على الزوايا المختلفة لموضوع زياره القبور وبحث المسائل المتعلقة به، اعتماداً على الكتاب والسنة وباقي المصادر المعتمده لدى المسلمين، وشمّر هذا الأستاذ الكريم عن ساعديه للردّ على الشبهات المطروحة في هذا الباب.

وانطلاقاً من رساله «معهد الحجّ والزياره» فقد أخذ على عاتقه ترجمه هذا الكتاب إلى اللغة الفارسيه ونشره، وهو إذ يتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل للمؤلف المحترم الذي

١- قال تعالى: (وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحجّ: ٣٢).

ص: ٦

أذن في ترجمه والنشر، يتهلل إلى البارى عزّ وجلّ في أن يطيل عمره ويمنحه مزيداً من العزّه والتوفيق لخدمه مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ويجعل هذا الكتاب نافعاً للمسلمين كافه، وسبباً لتعزيز الوحده بين أبناء الأُمّه الإسلاميه.

إنّه ولى التوفيق

معهد الحج والزياره

ص: ٧

المقدمه

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنه الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْكَهْفِ الْحَصِينِ، وَغِيَاثِ الْمُضْطَرِّ الْمُسْتَكِينِ، وَمَلْجَأِ الْهَارِبِينَ، وَعَصْمَةِ الْمُعْتَصِمِينَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً كَثِيرَةً، تَكُونُ لَهُمْ رِضًا، وَلِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ آدَاءً وَقِضَاءً، بِحَوْلِ مَنْكَ وَقُوَّةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إن بحث الشعائر بصوره عامه من أهمّ البحوث العقائديه التي هي مرتبطه بمعرفه الله عز وجل والتي تتجلى في آياته وأسمائه العظمى حيث قال النبي الأعظم (ص) لعلى عليه السلام

«ثلاث أقسم أنهن حق، إنك والأوصياء من بعدك عرفاء لا- يعرف الله إلا- بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه» (1) وبهذا لا- سبيل لمعرفه الله وعظمته إلا بمعرفه النبي (ص) وأهل بيته وبالخضوع والتوجه إليهم وزيارتهم والتوسل بهم.

كما أن هذه البحوث بمادتها العلميه وتحليلها توصل للمنهج الصحيح في معرفتهم عليهم السلام والتي تعكس هذه المنزله العظيمه لهم عند الله عز وجل، وهذه المعرفه لأهل البيت عليهم السلام تبث في الأمة الأمان والرحمة الإلهيه، خصوصاً عند ذكرهم وإحياء مآثرهم وتشبيدها بالقول

١- الخصال للصدوق، باب قول النبي (ص) ثلاث أقسم أنهن حق، ص ١٥٠.

ص: ٨

والفعل حيث تبقى شفاعتها للإنسان في الآخرة قبل هذه الدنيا الفانية.

فإن الحسين عليه السلام لم يأت للكوفيين بدافع مراسلتهم والاستجابة لدعوتهم بل أن المسؤولين العظمى والواجب الإلهي كان يتحتم على الإمام الوقوف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن ثروات المسلمين المنهوبة والحقوق المضيعة التي كانت تصرف في إقامة حفلاتهم الماجنه والفاجره في الوقت الذي يقبع الناس في الفقر المدقع، وقد أشار الحسين عليه السلام إلى هذا الأمر حيث قال

«إن هذه الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها، فلم يبقَ منها إلا صبابه كصابه الإناء وخسيس العيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا- يعمل به وأن الباطل لا- ينهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً فإنني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياه مع الظالمين إلا برماً، إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء، قلّ الديانون». (١) مما يتبين بأن الدافع الأساسي لنهضته المباركه هو الاصلاح والقضاء على الفساد الذي سببه انحراف هؤلاء عن جاده الحق، وإحياء البدع، وضياع السنه النبويه، وانتشار الفساد والانحراف الديني، وذلك بهدف هدم عقائد المسلمين وإبعادهم عن أهل البيت والرساله ومن ثم إحياء السنن الجاهليه الأولى.

فكان لنهضته عليه السلام الدور الكبير في تحرير المسلمين من ذل العبوديه واستعادته العزه والحريه على نطاق واسع ضد الظلم والاضطهاد، والتي ساهمت في القضاء على الإعلام الزائف للسلطه الحاكمه التي زرعت الحقد والبغض في نفوس الجماهير اتجاه أهل البيت والرساله دون أن يمحي ذكرهم وحبهم في وجدان الأحرار والأتباع منهم على الرغم من مرور عقود طويله من الزمن حاولت السلطه اجتثاث وتشويه ذكرهم سلام الله عليهم أجمعين.

فهذه النهضه المباركه كانت حركه نحو تغيير شامل لأوضاع سياسيه واجتماعيه تحيطها رعايه إلهيه مقدسه تستلهم تعاليمها من السماء والتي تحمل رساله خالده إلى كل الأجيال

١- تحف العقول، ص ٢٤٥؛ مقتل أبي مخنف، ص ٨٦؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٢٩، وقد نقل الخطبه باختلاف طفيف ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢١٤؛ اللهوف، السيد بن طاووس، ص ٣٣؛ بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩٢، ووفقاً لما نقله ابن عساكر والمجلسي فان الإمام عليه السلام خطبها في كربلاء بعد ان اصطدم بجيش عمر بن سعد.

ص: ٩

المنصرمه والحاضره، والتي تمهد طريق النضال والتحرير من الاستغلال والاستعباد والتسلط وتعيد النفس البشريه إلى العزه والكرامه
بإتباعها هذا الخط الإسلامى الأصيل الممتد إلى رساله النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين.

ومن هذا المنطلق يُعلم بأن إحياء هذه المُثل والقيم التي جسدها الإمام عليه السلام هو إحياءٌ للدين والشريعته، وقد ورد في قول الإمام
جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«اتقوا الله وكونوا أخوه برره متحايين في الله متواصلين متواضعين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأحيوا أمرنا» (١).

وكذلك ما روى عن الإمام الرضا عليه السلام في إحياء ذكرهم حيث قال:

«من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكى العيون ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمته قلبه يوم تموت القلوب»
(٢).

وتأسيساً على هذه النتيجة فإن إحياء هذه الشعائر ليس بدعاً ولا شركاً بل هو عين التوحيد والطاعة الإلهيه، فإن البحث سينصب في
صراط بيان عظمه هذه الشعائر وكونها المصدق الأبرز والنموذج الأوضح لمعالم الدين والشعائر التي وجهت الشريعته المعظمه إلى
ضروره تعظيمها وإحيائها بكل الأشكال والأساليب المتعدده، حتى تسرى في غالب سيره الأفراد والجماعات.

والكتاب الذي بين أيدينا أيها القارئ الكريم هو من البحوث الهامه في هذا المجال والذي يؤسس ويثبت القاعده الشرعيه في أن
تعظيم شعائر الله هو من تقوى القلوب وأن عماره قبور الأنبياء والأوصياء يصب في صراط التوحيد الخالص بالله عز وجل والمنبتق من
ثوابت العقيدته الإسلاميه، وهو من البحوث العقائديه التي ألقاها الأستاذ المحقق آيه الله الشيخ محمد سند (حفظه الله) على جمع من
طلبه العلوم الدينيه مؤكداً على أن قبر النبي (ص)، وأهل بيته والمشاهد المشرفه مشاعر إلهيه وأنها من أوجه مصاديق قوله
تعالى: «وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (٣) أليس معلّم من معالم الدين وحقيقته من حقائق

١- الكافي، ج ٢، باب التراحم والتعاطف، ح ١.

٢- عيون أخبار الرضا، ج ٢، باب فضائل على عليه السلام، ح ٤٨.

٣- الحج: ٣٢.

ص: ١٠

التوحيد.

وبناءً عليه فقبر النبي (ص) وقبور أهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام وتشبيدها وحفظها عن الاندراست وعمارتهأ هي من أفضل العبادات على الإطلاق والتي تُقبل بها الأعمال كما سيأتي إثباته إن شاء الله تعالى.

ففى تشريع المله الحنيفيه أن قبور الأنبياء تقصد ويتوجه إليها ويطاف بها، وهذا لا ينافى التوحيد التام، لاسيما وأن الله عز وجل أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت من الشرك والمشركين، قال تعالى: «وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (١).

ومع وجود القبور المعلومه للأنبياء والمقامات المقدسه الثابته إليهم، والتي لم يأتي النهى عن التعلق بها، فإن ذلك يدل على أن مثل هذا التعليق ليس من الشرك أصلاً، ومما يؤكد هذا الأمر قوله تعالى «وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» (٢).

وأما التعبير بالمشاعر فقد أشار إليه جملة من العلماء الأعلام، منهم الفقيه الكبير الفذ الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ره) فى كتابه (كشف الغطاء) بأن قبور الأئمة عليهم السلام قد شُعرت، فهى مشاعر، ومن ثم تجرى عليها أحكام المساجد (٣).

وقد تميز الشيخ الكبير كاشف الغطاء بهذا الاستدلال عن بقيه الأعلام وبالإشارة إلى أن وجه إلحاق قبور الأئمة عليهم السلام بالمساجد هو كونها شُعرت مشاعر، فهو إذن يذهب إلى أن المشاعر لا تختص بأفعال الحج، ولا تختص بالعبادات، بل تشمل دائره أوسع من ذلك.

والمشعر إنما يُشعر ليس بخصوصه بل بنص من الله عز وجل فتكون حرمة ووقفته أشد من بقيه الأوقاف الأخرى كما هى فى تشعير بيت الله الحرام وحرم المدينة وقد أقسم الله عز وجل بهذه البقاع المباركه وذلك فى قوله تعالى «وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَ هَذَا»

١- البقره: ١٢٥.

٢- المصدر نفسه.

٣- كشف الغطاء: ٥٤ (عند قراءه الفاتحه بعد الطعام ورجحان الشعائر الحسينيه).

ص: ١١

«الْبَلَدِ الْأَمِينِ» (١)، ببلد التين وهو المدينة، وبلد الزيتون وهو بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، والبلد الأمين وهو مكة، كما ورد ذلك عن الكاظم عليه السلام حيث قال:

«واختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)

فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة» (٢) هذا من طرقنا.

وكذلك من طرق السنه، ولكن بتفسير التين بالبيت الحرام، وتفسير الطور بأنه الجبل الذي كلم الله عز وجل موسى عليه السلام (٣)، ولا تنافي في ذلك إذ لعل ذلك هو الوادي المقدس بين جبل طور والكوفة، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

وقد ورد في الحديث أن محل قبر أمير المؤمنين عليه السلام أول طور سيناء، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«كان في وصيه أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر (أي ظهر الكوفة) فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلكم ريح فادفونني، وهو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك» (٤).

والحاصل: بأن القرآن الكريم يؤكد أن هناك بقاع مقدسه مباركه تُعظم ويُتقرب فيها إلى الله عز وجل وجعل الحرمه لها فهذه الآيه فى صدد القسم والتعظيم بدلاله الاقتضاء بدلاله الالتزاميه بأن الله سبحانه وتعالى يُعظم هذه المواضع الأربعة فعندما يُعظم هذه المواضع الأربعة بدلاله الالتزاميه فإنه يجعل لها حرمه وبالتالي يُشعرها وبأنها محل تعظيم وحفاوه ربانيه منه تعالى.

ولكى يستفاد من هذه الآيه بأنها فى صدد تشعير هذه المواضع المقصوده نحتاج إلى عده مقدمات بحيث يُستفاد منها ذلك المعنى ونحن فى صدد بيان هذه القاعده الفقهيّه التى لها جذر عقائدى بأن قبور ومشاهد أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه والسلام مشاعر إلهيه، فإذا هذه القاعده الدينيه والمعلم الدينى العظيم العام له حرمه بل حرمة فى قبال من ينتهج

١- التين: ١-٣.

٢- معانى الاخبار، ص ٣٦٥؛ الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٢٥؛ روضه الواعظين، النيسابوى، ص ٤٠٥.

٣- زاد المسير، ابن الجوزى، ج ٨، ص ٢٧٥.

٤- التهذيب، ج ٦، ص ٣٧.

ص: ١٢

هتك هذه الحرمه وَيَسْمُهَا بِسَمَاتٍ وَنَعُوتٍ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يُوصَفَ بِهَا قَائِلًا قَوْلَ زُورٍ بِأَنَّهَا مَظَاهِرُ شَرِكٍ بِاللَّهِ وَكَفْرٍ وَتَأْلِيهِ.

وسنين في تفاصيل البحث بأن القائمين بهذه الدعوه (وهي كون قبور أهل البيت عليهم السلام تمثل مظاهر وثنيه) هم أصحاب الأوثان بنص من القرآن الكريم.

كما سنذكر الروايات الواردة لدى الفريقين في هذه القاعده المتسالم عليها عند فقهاء الإماميه بأن هذه القبور والمواضع المشرفه لها حرمة كحرمه الكعبه بل أعظم من ذلك.

ونتعرض في هذا البحث بشكلٍ خاص ودراسه متعمقه في الإيمان بالشهاده الثانيه والثالثه التي هي ولايه أهل البيت عليهم السلام وتثبيت العقائد الدينيه بالدليل العلمى لرد الشبهات والانتقادات التي تُثار حول عقيدته التوسل والتبرك.

وختاماً. لا يفوتني إلا أن أشكر الله تعالى جل شأنه قبل أى أحد على ما وفقني لتحرير وإخراج هذا الكتاب، ثم أشكر كل من أعان وساهم في هذا المجال، وأخص منهم بالذكر سماحه الشيخ عقيل رضى، على ما بذله من جهد يستحق الشكر عليه، وختاماً أسأله سبحانه وتعالى ببركه سيد الشهداء ومقام سيد الأولياء والأوصياء أن يجعل هذا الجهد ذُخراً لأستاذنا المحاضر - دام عزه - وأجرأ لى، يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيد المرسلين محمد (ص) وأولاده المنتجبين.

الشيخ محمد رجب

١٢ / ذو القعدة / ١٤٣٠هـ. ق

الموافق ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٩م

ص: ١٣

الفصل الأول

اشاره

أدله القول بحرمه بناء القبور وعمارتها

ص: ١٥

البحث القرآني والعقلي

الدليل الأول

الذي أستند إليه السلفيون في جحد شعيره زياره القبور أو قبر النبي وأهل بيته عليهم السلام وقبور الأنبياء والأوصياء بشكل عام كون زياره القبور والبناء عليها وتشييدها هو توسل بالأنبياء والأوصياء والاستشفاع بهم إلى الله في قضاء الحاجات والتوجه بهم؛ فهم يجحدون التوجه والاستشفاع وليس فقط ركنيته في الدين بل يجحدون التدين به؛ ومن ثم يسوغون لأنفسهم هدم قبور الأنبياء والأوصياء حتى أن لديهم الإصدارات التي دون فيها استحلالهم لهدم قبر سيد الأنبياء.

والجواب: على الدليل الأول أن الاستشفاع والتوسل والتوجه بالنبي (ص) وأهل بيته والأنبياء والأوصياء ليس أمراً مشروعاً وراجحاً ومرغباً فيه فحسب بل قد دلت جملة من الآيات القرآنية على كونه شرطاً لقبول الأعمال بل لقبول الإيمان كما في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (١)».

فأشارت الآية إلى كل من محذور التكذيب ومحذور الاستكبار والصد عنها، وان كلاً منها موبقه برأسه و المقصود من الآيات التي يكذب بها في قبال التصديق بها هم الحجج الناطقون

ص: ١٦

عن السماء من الأنبياء والأوصياء كما ورد إطلاق لفظ الآية على النبي عيسى بن مريم قال تعالى: «(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) (١)». كما أن التعبير في الآية (وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) هو تضمين معنى الصد عنها في معنى الاستكبار وهذا التعبير بعينه قد استعمله القرآن الكريم في قصة إبليس مع آدم كما ورد «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ».

كما سيأتي التعبير عن موقف المنافقين مع سيد الأنبياء في قوله تعالى: «(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يُصْذَوْنَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (٢) فهذه الآية تنذر بالتهديد في التكذيب الذي يقابل التصديق وتنذر في الاستكبار الذي يقابل الخضوع والتوجه.

إن كلا من هذين الفعلين (التكذيب والاستكبار) يسد أبواب السماء عن صعود إيمان العبد وعمله إلى الله وأن المفتاح لأبواب السماء ولوفود عقيدة العبد وعمله إلى الله (الحضرة الإلهية) هو ليس صرف الإيمان بالحجج الإلهية بل لا بد من الخضوع إليها والتوجه بها والإقبال عليها وبالتالي التوسل بها إلى الله.

إذ قد بينت الآيات أن كلا من العقيدة والعمل الصالح لابد من ارتفاعه إلى الله في مقام القبول كما في قوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصِيْعُدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (٣).

فهذه الآية تبين كون الصد عن حجج الله وعدم التوجه بهم إلى الله يحبط ويخل بالإيمان فضلاً عن العبادات والأعمال.

وعلماء الإمامية رضوان الله تعالى عليهم وان كانوا قد نبهوا على شرطيه ولايه أهل البيت عليهم السلام في الإيمان والعبادات والأعمال إلا أن الظاهر من هذا التعبير هو خصوص الإيمان بأهل البيت عليهم السلام ولكن الصحيح عدم الاقتصار على استفادة شرطيه الإيمان من

١- المؤمنون: ٥٠.

٢- المنافقون: ٥.

٣- فاطر: ١٠.

ص: ١٧

الأدلة بل لا بد أن ينضم إليه شرطيه ولايتهم بدرجه التوسل والتوجه بهم إلى الله عز وجل، فإن صرف الإيمان بهم من دون توليهم في أنحاء الولاء الأخرى ومن دون الارتباط بهم والتوسل والإتياع والانتهاج بهم لا يحقق الشرط من ولايتهم الذي هو ركن الإيمان وصحة الأعمال والعبادات.

ويدل على ذلك قوله تعالى في صفه المنافقين في الآية السابقة بأن سلب الإيمان عن المنافقين بصددهم عن التوجه برسول الله (ص) في مقام التوبة، فهذه الآية مبنيه لركنيه التوسل بالنبى (ص) والتوجه به إلى الله في تحقق الإيمان مضافاً إلى بيانها لشرطيه التوسل بالنبى (ص) والاستشفاع به في حصول التوبة والإنابه إلى الله عز وجل، ومنه يتضح دلالة الآيات الواردة في إبليس ورفضه الانقياد لأمر الله عز وجل بالسجود لآدم والتوجه به إلى الله مما أوجب حبط إيمان إبليس بالله واليوم الآخر.

وكذلك قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» (١).

حيث اشترطت الآية أربعة شروط بنحو الترتيب الشرطى وجعلت الأول منها: هو التوجه واللوذ والاستغاثه بحضره النبى (ص) إلى الله تعالى.

الشرط الثانى: وقوعاً وترتيباً هو استغفار المذنب.

الشرط الثالث: تشفع النبى (ص) وشفاعته فى توبه مذنبى الأمة عند الله.

الشرط الرابع: نفس الترتيب وهو شرط مثل الترتيب فى أفعال الصلاة إن أتى بالركوع قبل القراءة فإنه يبطل الصلاة.

فهذه الآية سنه إلهيه إلى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات والفرائض المتعلقة بالنبى (ص) أو ذات الارتباط بالنبى (ص) فقد جاء فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» (٢).

١- (النساء: ٦٤ ملاحظه: بأن بقية البحث فى الدليل الأول سوف يأتى توضيحه فى الأدله القرآنيه.

٢- النساء: ٥٩.

ص: ١٨

وليست الطاعة فقط في خصوص حياته بل هي تسرى ما بعد رحيله (ص) إلى الرفيق الأعلى.

وكما جاء في قوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (١).

إلى غير ذلك من الآيات وكما هو الحال في الشهادة الثانية فإنه ركن في التوحيد والدخول في حضيره الإسلام إلى يوم القيامة وليس مختصاً بحياه النبي (ص) في دار الدنيا وقد مرّ في بحث الآيات كلامٌ مبسوطٌ في بيان ركنيه التوسل والتوجه والاستشفاع في الدين الحنيف، وأنَّ جحد هذا الركن العظيم يستهدف عدم الالتزام بالشهادة الثانية بنحو مبطن ومن ثم لا ترون في أدبياتهم بيان مؤديات الشهادة الثانية وتداعياتها.

١- حشر: ٧.

البحث الروائي

الدليل الثاني و الثالث والرابع لاشتماله على ثلاثة ألسن

اللسان الأول: هو هدم القبور

ومنها رواه أبي الهياج الأسدی رواها أحمد بن حنبل في مسنده: (حدثنا وكيعٌ حدثنا سُفيان، عن حبيبٍ، عن أبي وائلٍ، عن أبي الهياج الأسدی، قال قال لي عليٌّ أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله (ص) أن لا تدع تمثالاً إلا طمستهُ ولا قبراً مُشرفاً إلا سويتهُ) (١) رواه أيضاً مسلم في باب الأمر بتسوية القبر (٢) والنسائي رواه في سننه أيضاً في كتاب الجنائز باب الساعات التي نهى عن إقبار الموتى فيهن (٣) والحاكم النيسابوري في المستدرک في باب صفة قبر النبي (ص) (٤).

التقريب: الاستدلال الذي ذكروه هو أن النهي ورد في سياقٍ واحدٍ مع النهي عن التماثيل التي تتخذ كأصنام وأوثان مما يدل على أن مناط النهي هو الشرك الموجود في كلا- موردی النهي فاستدل بهذا الاستدلال ابن تيميه في كتاب منهاج السنه ومحمد بن عبدالوهاب في كتابه كشف الشبهات.

١- أحمد بن حنبل، ج ١، مسند علي بن أبي طالب.

٢- صحيح مسلم، ج ٣، باب الأمر بتسوية القبر.

٣- النسائي، كتاب الجنائز، باب الساعات التي نهى عنها عن إقبار الموتى.

٤- الحاكم في المستدرک، ج ١، باب صفة قبر النبي (ص).

ص: ٢٠

كما ورد في كتبنا ومصادرنا شبيه لهذه الروايه كما هو في كتاب الوسائل:

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بعثني رسول الله (ص) إلى المدينة فقال: لا تدع صورته إلا محوتها، ولا قبراً إلا سويته، ولا كلباً إلا قتلته) (١).

قال صاحب الوسائل: وتقدم الأمر بترييع القبر (٢).

اللسان الثاني والثالث: لعن زائري القبور والمتخذينها مساجد

اشاره

منها: ومن أدلتهم على الحرمة ما رواه أبو داود في سننه باب زياره النساء للقبور: (حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شعبة، عن محمد بن جُحاده، قال: سمعتُ أبا صالح يُحدث، عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله (ص) زائراتِ القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٣).

وما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک: (لعن رسول الله (ص) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٤).

وما رواه أحمد في مسنده بأكثر من طرق (قال سمعتُ رسول الله (ص) يقول:

«إنَّ من البيان لسحراً وشرار الناس الذين تدرکهم الساعه أحياءً والذين يتخذون قبورهم مساجد» (٥).

وما رواه مسلم والبخارى (ألا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أنى أنهاكم عن ذلك) (٦).

قال الترمذی: وقد رأى بعض أهل العلم أن یرخص النبي (ص) في زیاره القبور. فلما

١- وسائل الشيعه، ج ٣، باب عدم جواز نبش القبور.

٢- تقدم ما يدل عليه في الحديث ٥ الباب ٩ من صلاه الجنائز وعلى حكم التسويه في الحديث ٢٢ الباب ٥ منها والحديث ٥ الباب ٢١ من هذه الأبواب وعلى حكم الترييع في الباب ٣١ من هذه الأبواب.

٣- سنن أبي داود، ج ٢، باب في زیاره النساء القبور.

٤- المستدرک، ج ١، باب الأمر بخلع النعال في القبور.

٥- مسند أحمد، ج ١، مسند عبد الله بن مسعود رضی الله عنه.

٦- صحيح مسلم، ج ٢، باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

ص: ٢١

رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال بعضهم: إنما كره زياره القبور للنساء، لقله صبرهن وكثره جزعهن (١) ثم عقد باب ما جاء في زياره القبور للنساء وروى زياره عائشه لأخيها عبد الرحمن.

الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث: أن هذا الاستدلال عجيبٌ وغريب لأنه مبني على مقدمات مزعومه خلافية غير مسلم بها في ظهور الحديث، فإن الحديث له وجوه متعددة من الدلالة ذكرت عند علماء الفريقين أضعفها ما ذكروه وما استدلوا به.

فكيف ينون عقيدة يكفرون بها طوائف المسلمين مبنيه على مثل هذه الدلالة الاحتمالية والهלוسه في الاستظهار وعلى تخربات ظنيه ما أنزل الله بها من سلطان مع أن التكفير لا يبنى على دليل ظني تام فضلاً عن غير التام، بل ولا على الدليل الظني القطعي، بل ولا على القطعي الضروري ما لم يكن ضرورياً تنفى معه الشبهه فكيف بهم يخرجون عن ميزان المله في منهاج الاستدلال في الشريعة وقواعد الدين.

أزمه منهج الاستظهار عند السلفيه

أولاً: إن مورد النهي والأمر بطمس التماثيل والصور كما في روايه النسائي (ولا- صوره في بيتٍ إلا- طمستها) ليس خاصاً بالأصنام والأوثان بل الظاهر عدم إرادته الأصنام والأوثان لأنه البعث الحاصل لأبي الهياج كان في خلافه على عليه السلام ولم يكن بعته إلى ديار المشركين، إذ لو كان البعث إلى ديار المشركين لكان أمر رسول الله (ص) بقتال المشركين أولاً حتى يقرأوا بالشهادتين، بينما لم يتضمن أمر النبي (ص) لعلى عليه السلام ذلك ولا أمر على عليه السلام لأبي الهياج كذلك، وهذا مما يعزز أن الأمر بطمس التماثيل في البيوت هو لكراهتها ولحرمه صنع التماثيل والصور لذوات الأرواح والأمر بالطمس والنهي عن الصور والتماثيل بعيدان كل البعد عن بحث الشرك.

ثانياً: لو سلمنا أن النهي عن الصور والتماثيل بطمسها وارد في مورد الأصنام والأوثان

١- سنن الترمذى، ج ٢، باب ما جاء في كراهيه زياره القبور للنساء.

فما هو صلة الأمر بتسوية القبور بذلك، إذ وحده السياق لا تدل على وحده المتعلق فى النهى بل غاية ما يتشبه فى الوحده هو بالسياق الذى هو أضعف القرائن؛ وهو لأجل تحديد مفاد الحكم من كون الحكم الإلزامى أو الندبى أو الكراهتى فى الجمل المتعاقبه، وأما أن متعلق النهى والأمر أن سببهما واحد فهذا مما لا سبيل إلى استفادته من وحده السياق وهى مغاير لوحده المتعلق ومن ثمه لا صلة بين النهيين والأمرين ألا ترى فى قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (١).

فهل لأحد أن يستظهر أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين من أحكام العقيدة والاعتقاد فضلاً أن يكون من أركان التوحيد كى يكفر به العاق لوالديه بل ليس الأمر بالإحسان إلى الوالدين حكماً وجوباً بل أن الإحسان للوالدين محمول على الندب نعم عقوق الوالدين محرم من الكبائر ولكن ليس من أحكام مسائل العقيدة.

فالمحرم فى الوالدين هو جهه العقوق لهما لا وجوب كافه درجات الإحسان لهما ومن ثم يحتمل فى الحديث أن تسوية القبر المشرف ذى الشرفه محمول على الكراهه إلى غير ذلك من موارد الاستعمال الكثيره المعطوف فيها الأمر الفرعى على الأمر الإعتقادى فى موارد استخدام القرآن الكريم.

ثالثاً: أن الأمر بتسوية القبور فى مقابل إشرافها قد استظهر منه الكثير إرادته تسطيح القبور فى مقابل تسويمها وقد حكاه ذلك ابن تيميه نفسه فى كتابه منهاج السنه عن جمله من علماء السنه (٢) وقد إلتزم ابن تيميه بذلك.

كما أنه قد حكى النووى فى شرح مسلم (٣) قوله (يأمر بتسويتها) وفى روايه أخرى (ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) فيه أن من السنه أن لا يرفع القبر على الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم بل يرفع نحو شبر وبسطح وهذا مذهب الشافعى ومن وافقه، ونقل القاضى

١- الإسرائ: ٢٣.

٢- منهاج السنه، ابن تيميه، ج ٢، ص ١٤٣.

٣- شرح مسلم، النووى، ج ٧، باب اللحد ونصب اللبن على الميت.

ص: ٢٣

عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيما وهو مذهب مالك قوله (أن لا تدع تمثالا إلا طمسته) فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.

كراهه ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمه

وكلامه يقرر جملة أمور:

منها: أن جمهور علماء السنة لم يحملوا الأمر بالتسوية على اللزوم بل حملوه على الندب، لذلك ذهب أكثرهم إلى القول بالتسنيما مخالفه للروافض من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

فمن الغريب بعد ذلك إدعاء السلفيه و الوهابيه أن الأمه مجمعه على بدعيه رفع القبور ولزوم تسويتها وقد مر في كلام النووى أيضاً أنه الافضل لا اللزوم، وكذلك عند مذهب الشافعي رفع القبر على نحو شبر وهو حمل التسويه على التسطیح.

ومنها: أن صريح كلام النووى في الأمر بطمس التمثال هو في الصور ذوات الأرواح لافى الأوثان والأصنام (١).

وقال العينى فى عمدہ القارى فى شرح البخارى فى مسأله تسنيما القبر وتسطيحه: (وقبر أبى بكر وعمر مسنين) ورواه أبو نعيم فى (المستخرج): (وقبر أبى بكر وعمر كذلك) (٢).

وقال إبراهيم النخعى: أخبرنى من رأى قبر النبى (ص) وصاحبه مسنمه ناشره من الأرض عليها مرمر أبيض.

وقال الشعبى: رأيت قبور شهداء أحد مسنمه، وكذا فعل بقبر عمر وابن عباس، رضى الله عنه. وقال الليث: حدثنى يزيد بن أبى حبيب أنه يستحب أن تسنم القبور ولا ترفع ولا يكون عليها تراب كثير، وهو قول الكوفيين والثورى ومالك وأحمد، واختاره جماعه من الشافعيه منهم، المزنى: أن القبور تسنم لأنها أمانع من الجلوس عليها، وقال أشهب وابن حبيب: أحب إلى أن يسنم القبر، وإن يرفع فلا بأس. وقال طاووس: كان يعجبهم أن

١- شرح مسلم، النووى، ج ٧، ص ٣٦، باب اللحد ونصب اللبن على الميت.

٢- تحفه الأحوذى، المبار كفورى، ج ٤، ص ١٣٠؛ عمدہ القارى، العينى، ج ٨، ص ٢٢٤.

ص: ٢٤

يرفع القبر شيئاً حتى يُعلم أنه قبر، وادعى القاضى حسين اتفاق أصحاب الشافعى على التسليم، ورد عليه بأن جماعه من قدماء الشافعية استحبوا التسطیح، كما نص عليه الشافعى، وبه جزم الماوردى وآخرون. وفى (التوضیح): وقال الشافعى: تسطح القبور ولا تبنى ولا ترفع وتكون على وجه الأرض نحواً من شبر. قال: بلغنا أن النبى (ص) سطح قبر ابنه إبراهيم عليه السلام ووضع عليه الحصباء ورش عليه الماء (١) وأن مقبره الأنصار والمهاجرين مسطحة قبورهم، وروى عن مالك مثله واحتج الشافعى أيضاً بما روى الترمذى عن أبى الهياج الأسدى (واسمه حيان): قال لى على: ألا أبعثك على ما بلغنى عليه رسول الله (ص): (أن لأدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته) (٢).

وكما جاء فى سنن أبى داود: (حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن أبى فديك، أخبرنى عمرو بن عثمان بن هانى، عن القاسم، قال: دخلت على عائشه فقلت: يا أمه، اكشفت لى عن قبر النبى (ص) وصاحبيه، فكشفت لى عن ثلاثه قبور لا مشرفه ولا لاطئه مبطوحه ببطحاء العرصه الحمراء قال أبو على: يقال إن رسول الله (ص) مُقدم (٣).

وفى (المغنى): واختار التسليم أبو على الطبرى وأبو على بن أبى هريره والجوينى والغزالي والرويانى و السرخسى، وذكر القاضى حسين اتفاقهم عليه، ثم فسر حديث الترمذى أن المراد من المشرفه والمذكوره فيه (الحديث) هى المبنيه التى يطلب بها المباهاه (٤).

ثم نقل قول السرخسى: أن التبريع من شعار الرافضه، وقال ابن قدامه: التسطیح هو شعار أهل البدع فكان مكروهاً.

وقد حكى الشوكانى فى نيل الأوطار قريب من هذا الكلام وذكر فى زمن أماره خلافه عمر بن عبد العزيز على المدينه بُنى القبر من قبل الوليد بن عبد الملك وصيروها مرتفعه (٥).

١- عمده القارى، ج ٨، ص ٢٢٤.

٢- المصدر نفسه.

٣- سنن أبى داود، ج ٢، باب الجنائز باب الميت يصلى على قبره بعد حين.

٤- عمده القارى، ج ٨، ص ٢٢٤.

٥- نيل الأوطار، ج ٤، باب اختلاف العلماء فى افضليه تسليم القبر أو تسطيحه.

ص: ٢٥

وقال ابن حجر في فتح الباري وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين (١).

وفي ذلك حديث رواه مسلم من طريق أبي مرثد الغنوي مرفوعاً

«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها أو عليها» (٢).

قلت: وليس هو على شرط البخاري فأشار إليه في الترجمة، وأورد معه أثر عمر الدال على أن النهي عن ذلك لا يقتضي فساد الصلاة، وذكر تمادى أنس في استمرار الصلاة عند القبر، ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها واستأنف (٣).

أقول يظهر من ابن حجر وغيره إن المشهور عند علماء السنة عدا الفرقة الوهابية والسلفية حمل اللعن على الكراهه وتفسير اللعن بمعنى البعد عن رحمه الله (٤) نظير ما ورد في كراهه الأكل منفرداً والنوم وحده لقوله (ص): «لعن الله من أكل وحده وسافر وحده ونام وحده» فأن مطلق اللعن كما هو الحال في مطلق النهي يستعمل بكثرة في الكراهه وهذا مما يشير إلى الأزمه بين الوهابية وسائر المسلمين في منهجهم الحشوي في الاستظهار من الألفاظ في الروايات الواردة.

كما مر في كلام العيني أن قبره (ص) كان مبنياً ومرتفعاً في الصدر الأول. أقول يستفاد من كلامهما جملة أمور:

منها: أن جمهور علماء السنة عدا السلفية (سواء المذاهب الأربعة أو غيرهم) لم يذهبوا إلى كون الأمر بالتسوية عزيمة أي إلزامية ومن ثم سوغوا التسنيم أو سوغوا الارتفاع مقدار شبر.

١- فتح الباري، ابن حجر، ج ١، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية.

٢- صحيح مسلم، ج ٣، كتاب الجنائز، باب الصلاة على جنازه في المسجد.

٣- فتح الباري، ج ١، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية.

٤- ومن ثم كان اللعن درجات أي أن البعد عن ساحه رحمته تعالى درجات متفاوتة كما أن القرب درجات أيضاً في مقابل البعد، وبعبارة أخرى أن الأفعال في تسببها وتأثيرها للبعد عن رحمه الله تعالى هي متفاوتة شدة وضعفاً بحسب شدة البعد وقتله فالبعد الحاصل من المكروه الضعيف أقل من الحاصل من المكروه الشديد وهو أقل من الحاصل من الحرام وهو أقل من الحاصل من الكبيره وهو أقل من الحاصل من الكفر وهو أقل من الحاصل من الجحود والعناد.

ص: ٢٦

منها: أن قبر النبي (ص) كان مبنياً وفي البنية ارتفاع في صدر الأول وأعيد بناؤه عدة مرات في القرن الأول والثاني مع اختلاف في درجات الارتفاع وكذلك قبر عمر وأبي بكر والمهاجرين والأنصار وقبور شهداء أحد.

منها: أن جملة منهم حمل النهى عن إشراف القبر مع كونه تنزيهاً على ما لو أُريد به المباهاة والخيلاء وأين هذا من ما لو أُريد به الشعيرة الدينية وذكر النبي (ص) وأهل بيته.

اختصاص هدم القبور بالمشركون

كما روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة فقد روى في جملة من مصادرهم عن علي عليه السلام قال:

(كان رسول الله (ص) في جنازه فقال: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدعُ بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ولا صوراً إلا لطخها» فقال رجل: «أنا يا رسول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع فقال عليّ رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله فانطلق ثم رجع فقال: يا رسول الله لم ادع بها وثناً إلا كسرته ولا قبراً إلا سويته ولا صوراً إلا لطختها ثم قال رسول الله (ص): «من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد (ص)» (١).

سبب نسخ النهى عن زياره القبور

والحديث بهذه الألفاظ ظاهرٌ في مورده وهو خصوص قبور المشركين كما هو مورد جملة من الأحاديث التي أستدل بها في المقام، كما هو الحال في الحديث الآتي النهى عن زياره القبور ثم نسخ بالأمر في زيارتها، وفي الحقيقة أن النسخ في المقام هو من باب تبديل الموضوع، فإن النهى الأول عن زيارتها في صدر الإسلام كان في مورد خصوص قبور المشركين بخلاف الأمر بزياره القبور فإنه لقبور المسلمين الموحدين، ولذلك كان سيرته (ص) كما يأتي في حديث زياره قبور المسلمين في بقيع الغرقد وفي بعض الروايات كان يزورهم كل ليلة.

وسوف نذكر جملة من القرائن الروائية على اختصاص النهى بقبور المشركين وما روى

١- مسند أحمد، ج ١، مسند علي بن أبي طالب.

ص: ٢٧

مستفيضاً من قوله (ص): (كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور إلا- فزوروها)، رواه النسائي في سننه (باب زيارة القبور) بألفاظ أخرى والشهيد الأول في (ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة) (١).

كما روى ابن ماجه في باب الجنائز (باب زيارة القبور) حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أنبانا ابن جريح، عن أيوب بن هانئ، عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود، أن رسول الله (ص) قال:

«كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها. فإنها ترهّد في الدنيا، وتذكر الآخرة» (٢).

كذلك ما ذكره عن ابن أبي مليكة عن عائشه: (أن رسول الله (ص) رخص في زيارة القبور).

اتفاق جمهور السنة على رجحان زيارة القبور

ورواه الترمذى في باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور: (قال رسول الله (ص):

«قد كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تُذكر الآخرة»). قال: وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة. قال أبو عيسى حديث بريدة حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأساً. وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق (٣).

ومن ثم عُرف عندهم بنسخ النهى عن زيارة القبور إلى الأمر بها وإذا أمعنا النظر في ذلك وما رواه الفريقان من الأمر بزيارتها بعد النهى عنها يظهر منه أن ذلك لتبدل الموضوع وأن النهى السابق في صدر البعثة النبويه إنما كان متعلقاً بقبور المشركين وأهل الجاهلية، وأن الأمر بزيارة القبور إنما هو بقبور المسلمين والموحدين ويعضد هذا الاستظهار السابق واللُّحوق الزمنى.

ويعضد هذا الاستظهار أيضاً ما رواه البخارى من أمره (ص) بنبش قبور المشركين أى

١- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ج ٢، البحث الخامس: زيارة القبور.

٢- سنن ابن ماجه، ج ١، باب زيارة القبور.

٣- سنن الترمذى، ج ٢، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور.

ص: ٢٨

تسويتها بالأرض وإعفاء أثرها واتخاذ المساجد عليها بعد ذلك وعقد باباً تحت عنوان هل تنبش قبور مشركى الجاهليه ويتخذ مكانها مساجد (١).

الحكمه فى الأمر بهدم قبور المشركين

اشاره

يظهر من مجموع الروايات أن النهى عن الاحتفاء بالقبور فى أوائل البعثه النبويه أو عندما بعث علىّ إلى اليمن فى بدايه عهدهم للإسلام أو عندما بعث علىّ أبا الهياج إلى بعض الأطراف الداخله لتوها فى الإسلام و الأمر بهدم القبور المبنيه أو المشرفه (المرفوعه) والأمر بإعفائها وطمسها هو لأجل قطع العلاقه بين الجيل الأول الداخلى فى الإسلام عن الجيل السابق من أقوامهم الذين كانوا على شرك الوثنيه لكى لا يتأثر أهل القبور من ذويهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» (٢).

وفى قوله تعالى: «وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ» (٣).

فالآيتان تنصان على الفصل بين موتى وقبور المشركين وموتى وقبور المؤمنين فإنه لا يجوز التردد والقيام والاحتفاء بقبور النمط الأول بخلاف النمط الثانى فإنهما دالتان على مفروغيه عباديه وهى زياره القبور والقيام والدعاء عندها وانه سنه فى أصل الشريعه فإن لسانهما كالاستثناء من العموم السابق المقدر، مضافاً إلى اشتمالهما على التعليل للنهى عن زياره قبور المنافقين بأنهم كفروا واشركوا والتعليل يخصص ويفيد التفصيل.

وقد يُشكل فى دلالة آيه القيام على القبر

الإشكال الأول: إنها ليست فى صدد تفصيل الزياره للقبور لأن عنوان الزياره غير عنوان القيام على القبر.

١- صحيح البخارى، ج ٤، باب هجره النبى (ص) وأصحابه إلى المدينه.

٢- التوبه: ١١٣.

٣- التوبه: ٨٤.

الإشكال الثانى: أن القيام على القبر فعلٌ يؤتى به عقب الدفن للصلاة على الميت لا مطلقاً.

وضوح دلاله الآيتين على سنة زياره القبور

الجواب على ذلك: بأن هذا القول مكابره واضحه فإن الزيارة إلى القبر ليست إلا الذهاب إلى القبر والكون عنده سواء فى حاله الوقوف أو الجلوس أى (الإقامه عنده) والقيام عند القبر لا- يتحقق إلا بالذهاب إليه و الكون عنده قريباً سواء كانت حاله وقوفاً أو جلوساً فوحده المراد بين العنوانين من الكنايه المستعمل فيها لفظ البعض أو الغايه مع إرادته الكل والمغيبى.

ولكى يتضح هذا المطلب نقول بأن القيام عند القبر غايه للذهاب الذى يحصل به مقدمه الزيارة كما انه بعض من مجموع فعل الزيارة وهذا نظير ما ورد فى كتاب الحج من لفظ الوقوفين فى عرفات والمزدلفه فإن المراد منه الكينونه فى ذلك المكانين لا خصوص الوقوف مقابل الجلوس، والحاصل أن النهى عن القيام على قبور المنافقين إنما هو بلحاظ الدعاء لهم والترحم عليهم نظير مفاد الآيه الأولى وهذا الأمر يُمارس عند زياره القبور وليس المنهى عنه هو الوقوف المجرد ولا يلتزم أحد بحرمه الوقوف المجرد عند قبور المشركين و الاقتراب منها بل الغايه هى التحريم بلحاظ الاستغفار والترحم والدعاء لهم وهو عمده ما يمارس فى زياره القبور حتى فى صيغه التسليم على أهل القبور فإنه نمط من الدعاء والترحم والدعاء بالسلامه والأمن لهم، ومنه يظهر الجواب على الإشكال الثانى بأن الدعاء والتسليم على الميت لا يختص بمراسم الدفن فقط بل هو مستمرٌ.

فإنه قد روى مستفيضاً زيارته (ص) للبقيع كل أسبوع وتسليمه عليهم والدعاء لهم وقراءته الحمد وأنها تُنير وتزيل ظلمة قبورهم، فقيامه (ص) على القبور غير مخصوص بمراسم الدفن وكذلك ما كانت تفعله سيده النساء فاطمه المطهره الصديقه من زيارتها لقبر سيدالشهداء حمزه أو شهداء أحد، ثم أن هناك فائده حكاها الألوسى فى روح المعانى عن

ص: ٣٠

السيوطى وهى دلالة هذه الآيه ودلاله زيارته (ص) لأمه آمنه بنت وهب على كونها من الموحدين حيث أنه قد ورد فى الحديث تكرار زيارته (ص) لوالدته مره فى عام الحديبيه ومره بعد غزوه تبوك عند رجوعه منها كما سيأتى فى الفصل الثانى فى أدله الوجوب.

الحكمه فى النهى ثم الأمر بزياره القبور

وقال العيني فى عمدته القارى: ومعنى النهى عن زياره القبور إنما كان فى أول الإسلام عند قريهم بعباده الأوثان واتخاذ القبور مساجد، فلما استحکم الإسلام وقوى فى قلوب الناس وأمنت عباده القبور والصلاه إليها نسخ النهى عن زيارتها لأنها تذكر الآخره وتزهد فى الدنيا، وقال قبل ذلك وفى (التوضيح) أيضاً: والأمه مجمعه على زياره قبر نبينا (ص) (١)، ويعضد ذلك أيضاً ما رواه الفريقان من زيارته (ص) لقبر أمه آمنه بنت وهب.

جملة اخرى من روايات المستدل بها على الحرمة

اشاره

ومن أدلتهم على الحرمة ما رواه ابو داود فى سننه: (حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شعبه، عن محمد بن جحاده، قال: سمعتُ أبا صالح يحدث، عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله (ص) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٢).

كما جاء فى الترمذى (باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء): (حدثنا قتيبه أخبرنا أبو عوانه عن عمر بن أبى سلمه، عن أبيه، عن أبى هريره: أن رسول الله (ص) لعن زوارات القبور) (٣).

وروى الحاكم النيسابورى فى المستدرک: (لعن رسول الله (ص) زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرج) (٤).

١- عمدته القارى، ج ٨، ص ٧٠.

٢- سنن ابى داود، ج ٢، باب فى زياره النساء القبور.

٣- سنن الترمذى، ج ٢، باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء.

٤- الحاكم النيسابورى، ج ١، باب الامر يخلع النعال فى القبور.

الحكمة في نهى النساء عن زيارة القبور مقيدة

وفى تحفه الأهودى: (ويؤيد الجواز - أى جواز زيارة النساء للقبور - حديث أنس قال مر النبي (ص) بامرأه تبكى عند قبر فقال اتقى الله واصبرى الخ... فإنه (ص) لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجه) (١).

وهذا يدل أن نهى النساء عن زيارة القبور لأجل جزعهن وعدم جلدهن (٢) وتبرمهن من قضاء الله وقدره وما يصاحب ذلك من بعض المفاتن، وإلا مع أمن كل ذلك وكون زيارتهن لإحياء ذكرى معالم الدين وذكريات حجج الدين وأيامهم الخالده فإن ذلك شعيره عظيمه البته.

زيارة فاطمه بنت النبي (ص) لقبر حمزه

كما روى البيهقى فى السنن الكبرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن حسين عن أبيه: (ان فاطمه بنت رسول الله (ص) كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعه فتصلى وتبكي عنده) (٣).

وقال الحاكم فى المستدرک: (هذا الحديث - روايه أن فاطمه - رواته عن آخرهم ثقات وقد استقصيت فى الحث على زيارة القبور تحريا للمشاركة فى الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه انها سنه مسنونه) (٤).

وكذلك ما ذكره ابن الحجر العسقلانى فى تلخيص الحبير (٥) والشوكانى فى نيل الأوطار (٦) وقد مر فى كلام جملة من الأعلام بأن النهى عن زيارة القبور هو بسبب الجزع وعدم الصبر على ذلك.

١- تحفه الأهودى، ج ٤، باب ما جاء فى كراهيه زيارة النساء.

٢- أحكام الجنائز، الألبانى، باب استدلال حافظ به على زيارة النساء للقبور، ص ١٨٥.

٣- السنن الكبرى، البيهقى، ج ٤، باب ما يقول إذا دخل مقبره.

٤- المستدرک، الحاكم النيسابورى، ج ١، باب كانت فاطمه تزور قبر عمها حمزه كل جمعه.

٥- تلخيص الحبير، ج ٥، باب المستحب فى حال الاختيار أن يدفن كل ميت فى قبر.

٦- نيل الأوطار، ج ٤، باب تفصيل حكم زيارة القبور للنساء.

ص: ٣٢

وفى الترمذى عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال أبو عيسى: «هذا الحديث حسن صحيح» وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي (ص) فى زياره القبور فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء، وقال بعضهم: «إنما كره زياره القبور للنساء، لقله صبرهن وكثره جزعهن» (١).

كما جاء فى سنن النسائى: (عن عبدالله بن بريده عن أبيه أنه كان فى مجلس فيه رسول الله (ص) فقال: «إنى كنت نهيتكم أن تأكلوا لحوم الأضاحى» إلخ الحديث ثم قال: «ونهيتمكم عن زياره القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا» (٢).

فيدل على أن النهى عن زياره النساء للقبور أو غيرهن محمولٌ على خوف وقول ما يسيئ الكلام مع الله والتذمر من قضاء الله وقدره ونحو ذلك.

وذكر فى تحفه الأحوذى قوله (لعن زوارات القبور). قال القرطبى: هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزياره لما تقتضيه الصيغه من المبالغه، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء على سواء (٣).

نسخ كل من النهى عن زياره القبور والنهى عن عمارتها

وقال الشوكانى فى النيل وهذا الكلام هو الذى ينبغى اعتماده فى الجمع بين أحاديث الباب المتعارضه فى الظاهر (٤).

قال الحاكم وهذه الأحاديث المرويه فى النهى عن زياره القبور منسوخه والناسخ لها حديث علقمه بن مرثد، عن سليمان عن بريده، عن أبيه عن النبي (ص) (قد كنت نهيتكم عن زياره القبور ألا فزوروها) فقد أذن الله تعالى لنيه (ص) فى زياره قبر أمه، وهذا الحديث مخرج

١- سنن الترمذى، ج ٢، باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء.

٢- سنن النسائى، ج ٤، باب الساعات التى نهى عن إقبار الموتى فيها.

٣- تحفه الأحوذى، ج ٤، باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء.

٤- نيل الاوطار، ج ٤، ص ١٦٦.

في الكتابين الصحيحين للشيخين (١).

أقول فيظهر من الحاكم أن الأمر بزياره القبور قد نسخ كلاً من النهى عن زيارتها ونسخ النهى عن عمارتها كما أنه يظهر مما حكاه الترمذى عن بعض أهل العلم وما ذكر القرطبي والشوكانى أن النهى عن زياره القبور واتخاذ السرج والمساجد عليها هو لأجل الجزع والتبرم من قضاء الله وقدره والظاهر من كثرة العكوف عليها ومن الواضح أن كل هذه المعانى بعيدة عن شعيره عماره قبر النبي (ص) وقبور أهل بيته عليهم السلام.

الدليل الرابع: الروايات الواردة الناهية عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد

إشاره

منها: عن النبي (ص) فى مرضه الذى لم يقم منه (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) صحيح البخارى (٢).

فقد روى عن عائشه: (قالت لما اشتكى النبي (ص) ذكرت بعض نساءه كنيسه رأيتها بأرض الحبشه يقال لها ماريه وكانت أم سلمه وأم حبيبه رضى الله عنها أتتا أرض الحبشه فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله» (٣).

وفى مسند أحمد بن حنبل عن عبدالله بن عبيدالله، وعن عائشه، أنهما قالا لما نزل برسول الله (ص) طفق يلقى خميصه على وجهه فلما اغتم رفعناها عنه وهو يقول لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تقول عائشه يُحذرُهُمْ مِثْلَ الذى صنعوا (٤).

وروى الدارمى فى سننه بألفاظ أخرى عن ابن عباس وعائشه قالا- لما نزل بالنبي (ص) طفق يطرح خميصه له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك (لعنه الله على اليهود

١- المستدرک على الصحيحين، كتاب الجنائز، ح ١٣٨٥.

٢- صحيح البخارى، ج ٥، باب مرض النبي (ص) ووفاته.

٣- المصدر نفسه، ج ٢، باب فى الجنائز.

٤- مسند أحمد، ج ١، مسند عبدالله بن عباس بن عبد المطلب.

ص: ٣٤

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا (١).

وروى احمد في مسنده عن أبي هريره عن النبي (ص): (اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٢).

وروى عن عائشه قالت قال رسول (ص) في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى فإنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قال قلت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجداً) (٣).

وروى عن مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله (ص) قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قال ابن عبد البر لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث (٤).

ورواه أحمد في مسنده عن أبي هريره، قال قال رسول الله (ص): (لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وحيثما كنتم فصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني) (٥).

وما جاء في سنن أبي داود عن أبي هريره، قال: قال رسول الله (ص): (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (٦).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي عبيده قال كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص) (أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب اعلّموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أحمد بإسنادين (٧).

وروى الهيثمي في قوله (لا تجعلن قبري وثناً) عن أبي هريره قال: (لا تجعلن قبري وثناً

١- سنن الدارمي، ج ١، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد؛ السنن الكبرى ذكر ما كان يفعله رسول الله (ص) في وجعه، ج ٤.

٢- مسند أحمد، ج ٢، مسند أبي هريره.

٣- المصدر نفسه، ج ٦، حديث السيده عائشه.

٤- الموطأ، ج ١، باب جامع الصلاة، ح ٤١٤.

٥- مسند أحمد، ج ٢، مسند أبي هريره.

٦- سنن أبي داود، ج ١، باب زياره القبور، ح ٢٠٤٢.

٧- مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٥، باب في جزيرة العرب واخراج الكفرة.

ص: ٣٥

لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أبو يعلى وفيه إسحاق بن أبي إسرائيل (١) وحديث عائشه رواه النسائي فى سننه باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد (٢) وما رواه البيهقى فى سننه فى باب النهى عن الصلاة إلى القبور وكذلك فى مجمع الزوائد عن أسامه بن زيد (٣).

ويؤيد ذلك ما روى من قول ابن عباس فى ذيل قوله تعالى «وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» (٤).

عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما: صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد، أما ود: كانت لكلب بدومه الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: كانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت (٥).

واعترف ابن تيميه فى منهاج السنه ان النهى عن عباده الأصنام لا مجرد زياره القبور (٦).

اتخاذ قبره وثناً أى نصب التماثيل كأصنام على القبر

الجواب بالاستدلال على هذه الأحاديث: أن لسان هذه الروايات رادعه عن اتخاذ الأوثان من الصور والتماثيل التى على هيئة رسم صاحب القبر من الأنبياء أو الصالحين فتتخذ تلك التماثيل والصور أصناماً تعبد كآلهه على نسق ما يفعله المشركون فهى بعيدة كل البعد عن عماره قبر النبي (ص) واتخاذ قبره وروضته مكاناً لعباده الله والتوجه به إلى الله والمراد من هذه الروايات ذلك دون عماره قبر النبي صلى الله عليه وآله افضل الصلاة وتشعيره موطناً عبادياً

١- مجمع الزوائد للهيثمى، ج ٤، باب قوله (ص) لا تجعل قبرى وثناً.

٢- سنن النسائي، ج ٤، باب اتخاذ القبور مساجد.

٣- مجمع الزوائد، ج ٢، باب فى الصلاة بين القبور واتخاذها مساجد.

٤- نوح: ٢٣.

٥- صحيح البخارى، ج ٦، باب سورة قل أوحى إلى.

٦- منهاج السنه، ج ١، ص ٢٧.

ص: ٣٦

ويدل على ذلك ما ورد من جملة قرائن.

منها: ما سيأتى فى أدله وجوب عماره قبر النبى (ص) من تشعير قبره مشعراً عبادياً كما فى قوله (ص) المستفيض المتواتر: (ما بين منبرى وبيتى روضه من رياض الجنة) ومفاده الحث على اتخاذ قبره مشعراً لعباده الله كما فى قوله تعالى: «وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا» (١).

ومنها: ما سيأتى فى أدله الوجوب من الروايات الحاثه أكيداً على زياره قبره الشريف وتوقيت فعل الحج بزياره.

ومنها: ما مر فى ألقاظ بعض هذه الطائفة من الروايات - التى استدلوها بها - من التصريح بأن هؤلاء الذين لعنوا قد صوروا على صور الأنبياء والصالحين فعبدوها كذلك ذكر لفظه تماثيل.

الحكمه فى النهى عن جعل القبور محلاً لسجود الصلاة

ومن ثم حمل ابن حبان فى صحيحه بعد ما روى عن ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر منبوذ فصلى عليه فصلينا معه قال أبو حاتم رضى الله عنه فى هذا الخبر بيان واضح أن صلاه المصطفى (ص) على القبر إنما كانت على قبر منبوذ والمنبوذ ناحيه فدللتك هذه اللفظه على أن الصلاه على القبر جائزه إذا كان جديداً فى ناحيه لم تنبش أو فى وسط القبور لم تنبش فأما القبور التى نبشت وقلب ترابها صار ترابها نجساً لا تجوز الصلاه على النجاسه إلا أن يقوم الإنسان على شىء نظيف ثم يصلى على القبر المنبوش دون المنبوذ الذى لم ينبش (٢).

اتخاذ القبور مساجد أى السجود والصلاه عليها

ومقتضى كلامهم أن كراهه اتخاذ القبور مساجد (إنما يكره باعتبار القرب من احتمال النجاسه).

١- البقره: ١٢٥.

٢- صحيح ابن حبان، ج ٧، باب إباحه الصلاه على قبرالمدفون.

ص: ٣٧

أقول: مما يعضدُ حمل النهى على أنه ما لو أُتخذ فوق القبر صور وتمائيل كالأوثان والأصنام وأن حديث عائشه المتقدم والنهى من قبل النبي الأ-كرم هو تحذيرٌ للمسلمين مما صنع اليهود والنصارى مع أنبيائهم حيث ديدن فعلهم على رسم تصاوير للسيد المسيح والسيدة العذراء مريم وهم يتخذونها آلهة ثلاثة مع الله كما هو نص الآية القرآنية في قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً» (١) فيعبدون الصور.

ونظير هذه الطائفة ما رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي عبيده (قال آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيره العرب واعلموا ان شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٢).

وفى بعض طرق روايته عن عروه بن الزبير عن عائشه (قالت قال رسول الله (ص) فى مرضه الذى لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قال قلت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً) (٣).

وأما الجواب التفصيلى عن الروايه الأولى: فقد تقدم أنها محموله إما على فعل اليهود والنصارى من تأليه عيسى وعزير عليهما السلام حيث قالوا أنهما أبناء الله، وقد مر لسان تلك الأحاديث تفسير هذه الجملة بذلك ويحتمل فى معنى الروايه ما ذكره غير واحد من شراح الحديث من لعن الصلاه على القبور والوقوف برجليه عليه مما يوجب إزراء وهتك لصاحب القبر.

بناء قبر النبي (ص) فى الصدر الاول

وأما الجواب عن الروايه الثانيه: فيفند الذيل الذى هو من كلام الراوى لا من الحديث المروى بأن إبراز قبره الشريف قد حصل منذ أول ساعه دفنه (ص)، حيث أنه (ص) دُفن فى غرفته المشتركه بينه وبين فاطمه سلام الله عليها وهى التى قبض فيها وتعين دفنه (ص) فى موضع القبر بتدبير من أمير المؤمنين عليه السلام والظاهر أنه بوصيه منه (ص) وكان بمرآى جميع

١- النساء: ١٧١.

٢- مسند أحمد، ج ١، حديث أبي عبيده بن جراح.

٣- المصدر نفسه، ج ٦، حديث السيدة عائشه.

ص: ٣٨

المسلمين من الصدر الأول والغرفة بنيان مرتفع بالجدران المحيطة من الجوانب الأربع وهي محيطة بالقبر الشريف كإحاطه الضريح وشباييك وبالتالي فيكون دفنه في الغرفة من البدء هو تخصيص قبره الشريف وتشيد وبناء حوله وإبراز وإظهار للقبر الشريف كمعلم وتشعير للموضع فضلاً عن التشعير الذي ورد في قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» (١) وقوله (ص): (ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنة) (٢).

اتخاذ قبره وثناً هو بالقول بأنه ابن الله أو بالقول بتعدد الآلهة

ونظير ذلك مقاله اليهود من كون عزير هو ابن الله كما يعضد ذلك ما روته عائشه من إنه لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً فإن قولها ذلك مع كون قبره مبرزاً بلحاظ بناء الحجره التي جعل فيها القبر الشريف فيكون المراد من إبراز القبر واتخاذ مسجداً أي معبوداً وقبله بنصب تمثال وصورة.

كما يفعل النصارى في كنائسهم وجعل النبي عيسى عليه السلام إلهاً فيستقبل تمثاله للعباده كما أنه ليس كل استقبال عباده إذا كان من دون تأليه وإلا لكان أمر القرآن الكريم لاستقبال مقام إبراهيم قبله مع الكعبه هي عباده لإبراهيم وحاشا القرآن عن ذلك.

ومما يعضد هذا الحمل أيضاً اقتران النهي عن اتخاذ وثناً بما فعلته اليهود والنصارى لقبور أنبيائهم فإن الاقتران بين الأمرين يدل على أن الجبه المنهيه عنه في اتخاذ قبره وثناً ليس عماره قبره الشريف لعباده الله جنب القبر بل المراد عدم الانزلاق إلى ما فعله النصارى من تأليه الأنبياء والقول بأنهم أبناء الله أو أن الآلهه ثلاثه.

ومما يعضد ذلك عندهم ما رواه بطرق مختلفه منها ما جاء في سنن الكبرى للبيهقي:

(حدثنا انس قال قمت يوماً أصلى وبين يدي قبر لا اشعر به فناداني عمر القبر القبر فظننت يعني أنه يعني القمر فقال لي بعض من يليني إنما يعني القبر ففتحيت عنه) . مما يعني

١- النور: ٣٦.

٢- مسند أحمد؛ مسند أبي سعيد الخدرى ج ٤، ح ٣، حديث عبد الله بن زيد عاصم.

ص: ٣٩

إنه تقدم وصلى وجاز القبر (وفى روايه أخرى استمر فى صلاته) لم يقطع صلاته (١) وقد استدلووا به على عموم عدم استعادة الصلاة وإنها جائزه وإن كانت مكروهه (٢).

وقد حكى ذلك فى عمده القارى عن جماعه كثيره مثل عبدالله بن عمر وجماعه من التابعين مثل الحسن البصرى وحكى عن شرح الترمذى ومالك فيظهر منهم صحه الصلاة عند القبر والمقابر (٣).

وقد مر فى كلام ابن حجر بأنه (ولو كان ذلك يقتضى فسادها لقطعها) مما يعنى ذلك بأن الصلاة إلى القبر وجعله قبله ليس هو عباده لصاحب القبر وتأليه وإلا لبطلت الصلاة قطعاً.

اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد اى بالقول بتأليهم

قوله وما يكره من الصلاة فى القبور: يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين وقال البيضاوى لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبله يتوجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل فى ذلك الوعيد (فى حديث جواز الحكايه) (٤).

وحكى أصحابنا اختلافاً فى الحكمه من النهى عن الصلاة فى المقبره، فقيل: (المعنى فيه ما تحت مصلاه من النجاسه) وقال القاضى حسين: إنه لا كراهه مع الفرش على النجاسه مطلقاً. وحكى ابن الرفعه فى (الكفايه): أن الذى دل عليه كلام القاضى: أن الكراهه إنما لحرمة الموتى (٥).

ثم حكى عن القرطبى أن ما جاء فى روايه اتخاذ الصور والتماثيل على قبور الصالحين

١- سنن الكبرى، ج ٢، باب النهى عن الصلاة إلى القبور.

٢- عمده القارى، ج ٤، ص ١٧٢.

٣- المصدر نفسه، ص ١٧٣.

٤- المصدر نفسه، ص ١٧٤؛ فتح البارى، ج ١، باب هل تنبش قبور مشركى الجاهليه.

٥- عمده القارى، ج ٤، ص ١٧٣.

ص: ٤٠

قوله (إنما صور أوائلهم الصور لياتسوا برؤيه تلك الصور ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك، ولما احتاجت الصحابه رضى الله تعالى عنهم، والتابعون إلى زياده مسجده عليه الصلاه والسلام بنوا على القبر حيطانا مرتفعه مستديره حوله لثلا- تصل إليه العوام فيؤدى إلى ذلك المحذور. ثم ذكر العيني عن ابن بطال قوله إنما النهى عنه لاتخاذهم القبور والصور آلهم.

وحكى عن الشافعى وأصحابه القول بكراهه بناء المساجد على القبور، ثم حكى البيضاوى حمل النهى على التأليه وقال وأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا للتوجه إليه فلا يدخل فى الوعيد المذكور (١).

بل أقول وكلماتهم شاهد على إرادته معنى التأليه من النهى المزبور لا بما فهمه السلفيون من عماره قبر النبي (ص) وزيارته وعباده الله عند قبره الشريف.

ويجاب أيضاً على فرض التسليم بإيهام دلالتها أن أحاديث زياده النبي صلوات الله عليه وعماره قبره وأهل بيته مقدمه على إيهام دلالة هذه الروايات لوجوه:

منها: أنها متواتره كما فى الحديث المستفيض «ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنه» ومضمونه قطعى ضرورى بين المسلمين عبر الاجيال والقرون ومعتضده بالسيره القطعيه للمسلمين من الصدر الأول بل بسيره المسلمين فى التعاطى مع قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبور بقيه الأنبياء فى أراضى الشامات مضافاً إلى أن هذه الروايات أخص فى زيارته (ص) من الروايات الناهيه، وأنها معتضده بالكتاب كقوله تعالى: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» وقوله تعالى: «فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَهُ» والأدله الآمره بزياره قبره (ص) وعمارته، بينما الروايات الناهيه فى اتخاذ القبور مساجد محتمله لوجوه متعدده وقد عرفت أن أظهرها وجه آخر.

ص: ٤١

الدليل الخامس: رواه مسلم عنه (ص) (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى) (١).

ورواه الطبراني في معجم الكبير: (قال رسول (ص) لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى) (٢).

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣) ورواه البزاز بتقريب أن النهي بالحرمة فيدل على حرمة السفر إلى زياره القبور.

الإجابة

ويرد عليه أنه قد تقدم وسيأتي جملة من الأجوبة على الاستدلال بهذا الحديث وملخصها:

جمهور علماء السنه على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد الثلاثة

أولاً: أن (لا) هنا ليست للنهي بل لنفي مطلق الكمال الأتم وحصرها في المساجد لمعهديه هذا الاستعمال في هذا المعنى ويشهد له أيضاً ورود لفظ الحديث بلسان غير مشتمل على لفظه (لا-) نظير (أنما يسافر إلى ثلاثه) وبنحو آخر نظير (تشد الرحال إلى ثلاثه) ولأجل ذلك ذكر النووي في شرح مسلم أن الصحيح عند الجمهور هو الذي اختاره المحققون وإمام الحرمين أنه لا يحرم ولا يكره السفر إلى غير الثلاثه وإنما المراد أن الفضيله التامه إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثه خاصه (٤).

ثانياً: أن المستثنى منه غير مذكور فلا بد له من نحو تقدير، فإن قدر لفظ المسجد فيكون معنى الحديث أنه لا تشد الرحال إلى مسجد إلا ثلاثه فلا يدل المعنى على مطلوبهم من قصد السفر إلى زياره قبورهم الشريفه.

وإن قدر مطلق السفر القربى أى لا تشد الرحال إلى سفر ابتغاء وجه الله إلا إلى ثلاثه

١- صحيح مسلم، ج ٤، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد وباب سفر المرأة مع محرم.

٢- المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢، ص ٢٧٧؛ ج ٢٢، ص ٣٦٦.

٣- مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٤، باب قوله (ص) لا تشد الرحال.

٤- شرح مسلم، النووي، ج ٩، باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج وغيره.

ص: ٤٢

وهذا مع أنه تقديرٌ بلا شاهد وتمحض من التأويل الذي ينكرونه في منهجهم ويرتكبونه فيما يتبنونه من الشذوذ في معتقداتهم التي يخالفون بها المسلمين فإنه مع ذلك لا يمكن الالتزام به لتخصيصه بالأكثر وهو مستهجن فإن السفر لأجل صلة الرحم وصله الأخوان المؤمنين والجهاد في سبيل الله والمرابطة وطلب العلم والبر والتعاون على المعروف والهجرة إلى الله ورسوله وفي شتى السبل للغير كل ذلك ما لا يحصى من رجحانه الأكيد في الشريعة بالإضافة لو سلمنا بالعموم فهو مُخصص بما دل على رجحان زياره النبي (ص).

كما أن ما دل على شعيره قبر النبي (ص) أخص مطلقاً من هذا العموم (لا- تشد الرحال) مضافاً إلى أن ما دل على شعيره زيارته مطابقٌ لدليل القرآن وهو قوله تعالى «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» ولقوله تعالى «فِي بُيُوتِ أُولَئِكَ لِقَاءُ اللَّهِ أَنْ تُزَفَّعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ» كما تبين ذلك في البحث القرآني مفصلاً.

فضيلة المسجد النبوي بأهل البيت عليهم السلام

ثالثاً: أن استثناء المسجد النبوي كما سيأتي من عدم شد الرحال يعني في الحقيقة استثناء قبر النبي وقبور أهل بيته لأن مسجده (ص) إنما اكتسب الفضيلة لنسبته إلى بيوته وهو قوله (ص): (ما بين منبري وبيوتي روضه من رياض الجنة).

نظير قوله تعالى في شأن مسجد النبي موسى عليه السلام: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

وتقريب الاستدلال: أن مسجد النبي أضيف إلى النبي (ص) وابن عمه علي بن أبي طالب كما أضيف مسجد موسى إليه وإلى أخيه هارون وكما سد موسى عليه السلام الأبواب عن المسجد إلا بابه وباب أخيه هارون فكذلك سد النبي (ص) الأبواب عن مسجده إلا بابه وباب علي وفاطمة وذريتهما وهي إحدى الموارد التي قال فيها صلوات الله عليه (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فتضاعف الثواب في المسجد لمكان بيوته (ص) فصار

ص: ٤٣

روضه من رياض الجنة، وسيأتي أن أعظم مواضع الروضه هي نفس بيوته (ص) والتي منها بيت علي وفاطمه وبيوته شامله لبيوت ذريته المعصومين فيندرج في استثناء مسجده كاه بيوت الأنبياء وقبورهم وبيوت أهل البيت عليهم السلام وقبورهم.

رابعاً: إن استحباب شد الرحال إلى المسجد النبوي يلزم زيارة النبي (ص) لأن مسجده في جنب قبره الشريف فالمجىء إلى مسجده يلزم الذهاب إلى القبر الشريف، وكذلك رجحان شد الرحال إلى المسجد الحرام فإنه يلزم زيارة النبي (ص) لما ورد (من حج ولم يزرني فقد جفاني).

الدليل السادس: قوله تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُشْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُشْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» (١).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» (٢).

وتقريب الدلالة للآية الأولى: أن الظاهر والمتبادر من هذه الآية أن من في القبور لا يسمعون ولا يمكن للحى أن يخاطبهم ولا أن يكلمهم، فطريق الاتصال بين الأحياء والأموات منقطع فلا معنى حينئذٍ يتحصل لزيارتهم، ويظهر من الآية الثانية: خطاب للمؤمنين بالله ورسوله بأن لا يوالوا قوماً غضب الله عليهم والذين حل عليهم الغضب الإلهي نتيجة أعمالهم السيئة والقيحة في هذه الدنيا ويأسهم من رحمه الله عزوجل وثواب الآخرة لعدم ادخارهم العمل الصالح، فإن هؤلاء حالهم كمن يئس من أصحاب القبور والموتى والنشأ الثانية فلا يرجونهم في جلب نفع ولاضر وذلك لاعتقادهم بأن الميت انقطع عن هذه الحياه بموته ولاجدوى من زيارته.

وضم إلى الاستدلال بهاتين الآيتين الاستدلال بما ورد في الحديث النبوي الشريف

(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو علم يتنفع به أو صدقه

١- فاطر: ٢٢.

٢- الممتحنه: ١٣.

جاريه) (١) بتقريب أن زياره الزائر للميت لا تنفعه بشىء لانقطاع العمل فلا يستزيد عملاً من الحى الزائر ولا يستزيد الحى من الميت كذلك لأن الميت لا يقوى ولا يستطيع أن يأتى بعمل ينفع به نفسه ولا عملاً ينفع به الآخرين من الأحياء.

الحياه فى الآخرة والبرزخ أشد قوه من الدنيا

والجواب: أن دلالة الآيتين على عكس ما قرر تماماً فإن الآيه الأولى تبين أن الذى يكذب برسالة الرسل وبرساله الرسول (ص) وبالبياره والنذير الإلهى هو ميتٌ وإن كان يحيا فى دار الدنيا وان من يصدق ويؤمن بالإيمان فهو حىٌ وهو الذى يسمعه الله دينه وأما الذى يكذب فهو فى صمم وعمى بمثابه الميت الذى عطلت أعضائه عن الحركة نظير ما ورد فى قوله تعالى «أَفَلَمْ يَسْتَبْشِرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (٢).

حيث ركز القرآن الكريم على أعضاء جوانح الروح وأنها أهم فى صفه الحياه والموت من أعضاء جوارح البدن الدنيوى.

ونظير ما ورد فى قوله: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا» (٣).

فإن المراد ليس هو عمى العين كعضو للبدن بل عمى القلب ومن ثم ورد أن الجاهل بين العلماء كالميت بين الأحياء وأن العالم بين الجاهل كالحى بين الأموات، فالحياء والموت بلحاظ الروح تختلف عن الحياه والموت بلحاظ البدن، فالإدراك والشعور حياه، والجهل والغفله موتٌ، والإيمان حياة فاعله، والكفر والتكذيب بالحق موتٌ، وهذا نظير اصطلاح القرآن الكريم فى لفظه القرية والقرى ولفظه المدينة كما فى قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» (٤).

١- بحار الأنوار: باب ثواب الهدايه والتعليم وفضلهما ج ٢.

٢- الحج: ٤٦.

٣- الإسراء: ٧٢.

٤- يس: ١٣.

ص: ٤٥

قال تعالى: «جاء من أفضى المدينة رجلٌ يسعى قال يا قوم أتبعوا المرسلين» (١) فإن المرسلين الثلاثة أرسلوا إلى المدينة العامرة، ومع ذلك سماها القرآن قريه وذلك لكون أهلها كفار وبعكس ذلك المكان الذى منه أتى المؤمن (حبيب النجار) فى العمران والبناء وذلك لكون أهلها مؤمنين والتمدن فى القرآن هى بلحاظ الإيمان الذى هو كمال وتطور للبشرية والكفر تخلف وانحطاط لها.

ونظير ذلك الأمية والعلم والتعلم فى القرآن فإنه أطلق على أهل مكة بالأميين لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ولم ينزل عليهم كتاب فليسوا بأهل الكتاب فى مقابل أهل العلم ونظير ذلك قوله تعالى: «وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» (٢).

حيث دلّت على أن الدار المفعمة بالحيوية والحياء ذات النفخ الحيوى هى دار الآخرة وكأنما دار الدنيا والحياء فيها أقرب إلى الموت منها إلى الحياء والدار الآخرة أقرب إلى الحياء منها إلى الموت.

وقوله تعالى: «وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» (٣) وكما فى قول على عليه السلام

(الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا) مما يعنى بأن الحواس الخمس التى يمتلكها الإنسان فى دار الآخرة هى اشد بمراتب من الكائن فى دار الدنيا.

كما يشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفِّ بَصِيرَتِكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (٤) فتشير الآية إلى أن البصر فى دار الدنيا محجوب بغطاء ولا حده فيه ليبصر الحقائق والواقع، ونظير ذلك ما ورد عن سيد الشهداء الحسين عليه السلام:

(أن الدنيا حلوها ومرها حلم) فيتحصل من مجموع الآيات والروايات أنّ الشعور والإبصار والسمع عند أهل الآخرة أشد وأقوى وأحد من إدراك أهل دار الدنيا.

١- يس: ٢٠.

٢- العنكبوت: ٦٤.

٣- الأعلى: ١٧.

٤- ق: ٢٢.

اليأس من الموتى وأصحاب القبور من صفه الكفار والمنافقين والإيمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنين

وأما الآيه الثانيه: فدلالته صريحه فى خطأ الكفار فيما يعتقدون اتجاه أصحاب القبور نظير خطأ المغضوب عليهم فى اليأس من الآخره فإن المغضوب عليهم لعدم إيمانهم بالآخره لا يعولون ولا يطمنون إلى وجود الآخره وما فيها من ثواب الله ورضوانه ودار أنعامه مع أن الدار الآخره هى حقيقه واقعه وموجوده وهى دار أعظم شأنًا وسعه وفسحه وجمالًا وجلالًا وبهاءً من دار الدنيا إلا أن المغضوب عليهم بسبب عدم إيمانهم أخطؤوا وجهلوا هذا الأمر نظير جهل الكفار بشأن أصحاب القبور وأنهم موجودون فى دار البرزخ منعمون إن كانوا من أهل النجاه ومعذبون إن كانوا من أهل الهلاك فاليأس من أصحاب القبور هى من صفات الكفار والمنافقين لعدم إيمانهم بالآخره بينما الأمل فى أصحاب القبور بوجودهم والتواصل معهم والصله بهم، والارتباط هى من صفات المؤمنين بالآخره والمعاد، فلا غرو ولا-عجب فى تشديد النكير على زياره أهل القبور والأولياء والأصفياء والصالحين من قبل الوهابيه، فإن هذا لا يصب إلا فى مواجهه الإيمان بالآخره والمعاد والحساب، وأنه نظير مقوله الكفار فى قوله تعالى: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (١).

فحصروا الحياه بدار الدنيا وأنكروا الحياه الآخره والبرزخ وفى قوله تعالى: «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنى قَدَّمْتُ لِحَيَاتى» (٢).

وقوله تعالى: «لَعَلَّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (٣).

١- الجاثيه: ٢٤.

٢- الفجر: ٢٣ و ٢٤.

٣- المؤمنون: ١٠٠.

الصد عن زيارة القبور صد عن الآخرة ودعوه للعكوف على الدنيا

حيث تدل الآيه على أن الموت انتقال من دار إلى دار ويريد الميت أن يرجع كما ورد في الحديث النبوي: (وإنما تنقلون من دار إلى دار) ويقسم بها الإنسان الميت عند سوجه إلى الممر الذى يؤدي به إلى البرزخ والآيات والروايات الداله على الحياه البرزخيه أكثر من أن تحصى، فالصد عن زياره القبور صد عن التوجه إلى الآخرة ودعوه إلى العكوف على الدار الدنيا الذى هى مرام الدهريين وقد تكرر فى القرآن الكريم التعبير عن الموت بأنه وفاه وتوفى والوفاء هو التمام والإتمام واستيفاء التمام كما فى قوله تعالى « حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ » (١).

فالتعبير بتوفته أى أنهم يستوفون تمام ذات الإنسان من دون نقص أى أن تمام حقيقه ذاته تستوفيه الملائكه عند الموت ولا يبقى منها شىء فى دار الدنيا بل ينتقل بتمامه إلى البرزخ ومن ثم فذات الإنسان لا تتبدد ولا تفنى كما يزعم هؤلاء المنكرون للدار الآخرة وقد أطلق على نفس هذا الفعل أنه نزع أى نزع للروح عن البدن وانتقال بها إلى بدن برزخى كما فى قوله تعالى: «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا» (٢).

وأطلق عليه السوق و الانتقال والحركه أيضاً كما فى قوله تعالى: «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (٣) وقوله تعالى: «كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» (٤).

فيشير إلى نزع الروح وبلوغها التراقى حين الموت وأنه حينئذ تساق ذات الإنسان وروحه إلى الله فلا- تفنى ولا- تتبدد، ولو أردنا أن نخص الآيات فى ذلك لطلال بنا المقام فهؤلاء فى دعوتهم للصد عن زياره القبور يصدون عن سبيل الآخرة ويزعجهم ويؤرقهم تذكر الآخرة فيريدون من الناس العكوف على دار الدنيا والالتهاؤ بها والغفله عن دار الجزاء والغفله عن الموت والانشغال بمتاع الدنيا فكم هى دعوه هدامه يُروج لها أبناء الدنيا

١- الأعراف: ٣٧.

٢- النازعات: ١.

٣- القيامة: ٢٩ و ٣٠.

٤- القيامة: ٢٦.

ص: ٤٨

لمحاربه أبناء الآخرة وقد أشير في الحديث النبوي المتقدم إلى الحكمة من زياره القبور أنها تذكر الآخرة فهؤلاء في صدهم عن زياره القبور يصدون عن تذكر الآخرة وعن التفكير فيها.

وأما الحديث فدلالته على عكس مطلوبهم فإن دعاء الولد الصالح للأب الميت يفيد الميت وهذا لا يختص بدعاء الولد بل بكل صالح يستجاب دعائه في حق الميت بل بكل صالح يدعو له كما ورد في الرواية النبوية عن أبي هريره عنه (ص): (إن هذه القبور مملوءه ظلمه على أهلها وإن الله عز وجل ينورها بصلاتي عليها) كما هو في مسند أحمد وأبي داود فهذا باب يدل الحديث الشريف على انتفاع الميت بدعاء الصالحين، بل إن الإنسان قد يستفيد من عمل الأموات إذا كانوا صالحين كما دلت عليه الآية الشريفه: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْرِخَ كَتْرَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» (١).

١- الكهف: ٨٢.

ص: ٤٩

الفصل الثاني**اشاره**

وجوب عماره قبر النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام

وتشعيرها كمشعر وحرم إلهي

ص: ٥١

الدليل الأول: البيانات القرآنية**جهات البحث**

تحديد موضوع البحث وهي أن عماره قبر النبي (ص) وقبور عترته مشعر ومشاعر إلهيه ونحاول تفصيل البحث فيها عبر الجهات التالية:

الجهة الأولى: وهي أن عماره قبر النبي (ص) وقبور عترته مشاعر إلهيه وركن من معالم الدين.

الجهة الثانية: وهي أقوال الفريقين والمذاهب الإسلامية في هذه القاعده الشريفه الاعتقاديه الإسلاميه.

وفي قبيل ذلك رصدت الكتب الإسلاميه أفعال هذه الشرذمه التي تحارب المشاهد المشرفه وما فعلوا من الأفاعيل النكراء في مكه والمدينه في كتب كثيره في صدد هذا المطلب شاهداً على أفعال هؤلاء الذين يحملون شعار الماديه والحس المادي كمحور يقدرس قبيل الغيب باسم التوحيد ويقومون بهدم عقائد المسلمين.

كما تبين الحكم الشرعى لهذه القاعده الشريفه وهي وجوب عماره قبر النبي (ص) وقبور عترته سلام الله عليهم وبأنها مشاعر إلهيه خلافاً لهذه الفئه.

ومن الضروري أن نبين بأن البحث ليس في صدد بيان مشروعيه هذه القاعده الشريفه أو عدمها بل هذه مرحله متراجعه عند المسلمين أمام شقائق الزندقه لهؤلاء وإنما نحن في صدد بيان بأن عماره قبر النبي (ص) وقبور عترته ركن من معالم الدين وأن هذه المشعريه أعظم من مشعريه الكعبه وأعظم من مشعريه المسجد الحرام عندما استعرضنا

ص: ٥٢

كلمات جملة من علماء المذاهب الإسلامية المجمعين على أن موضع الأعضاء الشريفه للنبي (ص) أعظم وأشرف من الكعبة وهذا أمر مسلم لديهم كما في نقل السمهودي في أوائل كتابه وفاء الوفاء.

والهدف من هذا البحث بيان الأمور على حقيقتها كما في إجماع المذاهب الأربعة بأن التراب حول الأعضاء الشريفه أعظم من الكعبة فضلا عن المسجد الحرام، وهذا عند الإماميه أمر واضح ومسلم، كما أن هناك بعض الكلمات الساذجه الانهزاميه فى الوسط الداخلى تستنكر وتستغرب من القول بأفضليه كربلاء المقدسه على الكعبة مع أن النصوص الواردة لدينا مستفيضه ومتضافره فى ذلك وهذا فى الواقع طمس للحقائق المسلمه عند الإماميه.

الجهه الثالثه: هى عباره عن استعراض جملة من النفثات الباطله لهذه الفئه فى قبال هذه القاعده الشريفه كما نذكر بعض الفتاوى الشيطانيه التى تشبث بها هؤلاء الذين يتجرؤون فى صريح الكلام على أنهم لو أتوا القدره لهدموا القبه النبويه فإن مثل هذه التعابير الشيطانيه الجريئه جاءت لهدم الدين ونبد التوحيد والعياذ بالله.

ومن المهم أن نبين بأن الكلام ليس فى مطلق زياره القبور وإن كانت من أجزاء مقدمات البحث لكن الكلام فى خصوص قبر النبي (ص) وقبور عترته وبأنها قاعده شرعيه ومن معالم الدين.

فهناك جملة من الوجوه التى ذكرها هؤلاء الذين يحملون رايه الماديه وصنميه الحس باسم التوحيد:

الوجه الأول: إن زياره النبي (ص) وقبور عترته توسل وتشفع وهذا شرك فى زعمهم والعياذ بالله.

قال الشوكانى فى الدر النضيد: فقد ثبت اجماع الصحابه على التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم وبدوات الصالحين بعد موته صلى الله عليه وسلم (١) فمن أنكر التوسل بذات

١- الدر النضيد فى إخلاص كلمه التوحيد، ص ٦، باب التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه.

ص: ٥٣

رسول صلى الله عليه وسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم أو بذوات الصالحين فقد خرق الاجماع والقول الخارق للاجماع باطل ومردود بالاتفاق) فلذا رد العلماء كاهه على ابن تيميه إذ قال بعدم جواز التوسل بذوات الصالحين ومن تبعه فى ذلك.

أقول: زياره النبى (ص) والتقرب به إلى الله وبقبور عترته التى أمر الله بتعظيمها وحث عليها ينعتها هؤلاء بالشرك مع أنها من الأمور التوحيدية التى تحصل بها الزلفى والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وسنين إن شاء الله بأن التوسل والتشفع هو الطريق الوحيد لتوحيد الله بنص القرآن الكريم من خلال هذه القاعدة التوحيدية بينما هؤلاء الشواذ يصفون التوحيد بالشرك وبالتالي يرفعون رايه الماديه والمذهب الحسى باسم التوحيد.

الوجه الثانى: إن زياره النبى (ص) وقبور عترته فيها دعاء للمقبور واستغاثه به وإلحاح عليه فى الدعاء والطلب منه، وكل هذه الأمور بزعمهم لا- تجوز لغير الله سبحانه وتعالى كما أنه يحصل فى أثناء الزياره سجود للقبر وبأن الزائر يأتى إلى هذه الأماكن بحاله خشوع وسكينه وتأثر يصل إلى حد البكاء وتذلل لصاحب القبر وبأن هذه الأمور نوع من الخضوع لغير الله عز وجل والعياذ بالله.

مع أنه لم ينكر على التوسل أحد حتى ابن تيميه يؤكد على هذه الشعيره وبأن السلف توسل من هذا القبيل فى كتابه (التوسل والوسيله) (١)نقل عن أحمد بن حنبل فى منسك المروزى التوسل بالنبى صلى الله عليه [وآله] وسلم فى الدعاء ونحوه (٢)وهذا هو نص عباره أحمد بن حنبل، كما فى منسك المروزى بعد كلام ما نصه: وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه صلى الله عليه [وآله] وسلم، تقض من الله عز وجل. هكذا ذكره ابن تيميه فى الرد على الأخنائى (٣).

فبهذا الوجه يتبين بأنهم يحاربون الله ورسوله ولا يمكن حمل تفسير كلماتهم بأنها اجتهاديه

١- التوسل والوسيله، ص ٩٨.

٢- منسك المروزى، ص ١٥٥.

٣- الرد على الاخنائى، ص ١٦٨.

ص: ٥٤

بل هي محاربه للدين بمقتضى هذه القاعده الشريفه.

الوجه الثالث: إن زياره النبي (ص) تعظيم بحيث يلازمه تذلل للمعظم والتذلل والخشوع لغير الله سبحانه وتعالى لا- يجوز وأن بناء القبور ووضع الستور عليها وتخصيصها وتزينها بالذهب والفضه واتخاذ السرج وتطيبها بأحسن طيب بحيث يمثل عظمه لصاحب القبر وهذا التعظيم لا يجوز.

أو نفس البناء يوجب نوعاً من التعظيم للقبور وبالتالي هذه السبل شرك بالله عز وجل ونبد للتوحيد.

الوجه الرابع: يستدلون بهذه الآيه الكريمه: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَأَلَّا يُغْنَوْا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (١).

يزعمون بأن النبي (ص) أخبر من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعه فقد عبدهم وأشرك بهم وذلك أن الشفاعه كلها لله كما فى قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (٢) وأما ما حدث من سؤال الأنبياء من الشفاعه بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاه عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنه والنذور لها فكل هذه الحوادث هي الأمور التي أخبر بها الرسول (ص) وحذر منها وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك.

ومن هذا المنطلق كفروا كافه المسلمين وفسروا الآيات على أهوائهم الشيطانيه وكتبوا رسائل فى ذلك كما هو فى (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) لمحمد بن الأمير الصنعاني حيث يقول: (وجب على تأليفه وتعين على ترصيفه لما رأيتة معلمته من اتخاذ العباد الأنداد فى الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامه وجميع ديار الإسلام؛ وهو الاعتقاد فى القبور وفى الأحياء ممن يدعى العلم بالمغيبات وهو من أهل الفجور،

١- يونس: ١٨.

٢- البقره: ٢٥٥.

ص: ٥٥

لا يحضر للمسلمين مسجداً ولا يرى لله راعياً أو ساجداً، ولا يعرف السنه ولا الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب، فوجب على أن أنكر ما أوجب الله إنكاره (١) فانظر أيها القارئ لكلامهم كيف ينعت المسلمين بهذه النعوت القبيحة.

و يستدلون بآيات أخرى كما في قوله تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» (٢) ويعلمون بأن من في القبور لا يضر ولا يسمع.

كما سنبين ما هو المقصود في الآية الكريمة من قوله تعالى «مَن فِي الْقُبُورِ» وأنه لديهم حياه برزخيه، فيستدلون بالمتشابه يريدون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وايضاً يستدلون بهذه الآية الكريمة في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» (٣).

هذه مجمل الآيات التي ذكره في هذا الصدد كما ذكروا وجوهاً أخرى في هذا الموضوع على وفق مفاد ما سبق.

الوجه الخامس: إن في زياره القبور يحصل التبرك بوسائلها والتمسح بها وتقبيلها، والتبرك يزعمون بأنه شرك بالله عز وجل لا مظهراً للتوحيد والعباده.

وهي التي يدعى فيها المقبور من دون الله سبحانه وتعالى، ويطلب منه قضاء الحوائج، ودفع المكروه وتفريج الكرب أو يصلى له أو يذبح له أو ينذر له وما شابه ذلك فإنه غير جائز وشرك بالله عز وجل.

الوجه السادس: إن الأموال التي تصرف وتوضع عند القبور إسراف وهذا غير جائز ومحرم بنص القرآن الكريم وهذا الاشكال لديهم لتعاطم قدر المال في أعينهم وتصاغر الأمور المعنويه لديهم فهم يبنون رؤيتهم على محوريه المال والماده فيقولون لا بد من تقليل الزياره

١- تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد، ص ٢.

٢- فاطر: ٢٢.

٣- الممتحنه: ١٣.

ص: ٥٦

وادخار الأموال فهذه هي الصنمية بعينها للمال وإلا فالزيارة هي من العبادات المؤكدة التي حث عليها الإسلام.

الوجه السابع: إن السفر والذهاب إلى زيارة قبر النبي (ص) أو إلى الحضرة العلوية وإلى قبور الأئمة سلام الله عليهم وزيارته البقيع هذا حج وهو (حج القبور) والحج لغير بيت الله الحرام والطواف لغير الكعبة غير جائز.

سنيين بإذن الله بأن القصد والسفر والزيارة إلى هذه الأماكن من العبادات المجمع عليها وإنها من المراسم والأعمال المقترنة مع الحج المنصوصه عند الإماميه وأهل السنه وهي من آداب الزيارة.

الوجه الثامن: إن عماره قبر النبي (ص) وقبور عترته يوجب تعطيل المساجد بالعباده والصلاه فيها كما تؤدي إلى خراب هذه البيوت العباديه حسب زعمهم وإفكهم وشد الرحال إلى هذه المشاهد يوجب تعطيل بيت الله الحرام.

مع أن هذا غير حاصل إذ اللازم أن لا يخلو الحج من المسلمين في عام من الأعوام من الذين يقصدون بيت الله الحرام لتأديته فريضه الحج والعمره.

الوجه التاسع: وهذا من أهم الوجوه التي تشبثوا بها بأن هذه القبور تتخذ قبله بدل الكعبه ويستشهدون بما اقتطعوه مبتوراً من كلام المجلسي: إن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقاً للقبله. . . واستقبال القبر للزائر بمنزله استقبال القبله، وهو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة (١).

إن هذا افتراء بحت وكذب محض على الشيعة الإماميه وما ذكره المجلسي ليس في صدد استدبار الكعبه في أثناء الصلاه وجعل القبر قبله للزائرين في صلاتهم بل هو في أثناء الزيارة وأما في الصلاه فيستقبل الكعبه، نعم لا يتقدم على القبر في الصلاه بل على جانبه الأيمن من طرف الرأس، وتراعى بذلك آداب الزيارة لكي لا يكون هناك جساره وهتك للقبر الشريف وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنيه من سوره البقره في قوله تعالى: «وَأَتَّخِذُوا»

ص: ٥٧

« مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » (١).

فهل لقائل أن يتوهم ويقول بأن الله أمر المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم قبلاً له بدل الكعبة أم هذه تخرصات وأراجيف هذه الفرقة الشاذة ومن سار على نهجهم.

الوجه العاشر: هي مجموعته من الروايات الواردة لديهم في النهي عن زيارة القبور أو بناء القبور التي تتخذ للعبادة والسجود عليها من دون الله عزوجل حيث يحذر النبي (ص) من هذه الأفعال الشركية والتي تنافي التوحيد.

منها: الحديث النبوي المعروف وهو قوله (ص): (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أخرجه البخاري (٢).

منها: عن عائشة قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأيتها بأرض الحبشة يقال لها ماريه وكانت أم سلمه وأم حبيبه أتتا أرض حبشه فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله (٣).

منها: عن ابن عباس قال (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٤).

منها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (لا تتخذوا قبري وثناً) (٥).

منها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم

١- البقره: ١٢٥.

٢- البخاري، ج ٥، باب مرض النبي (ص).

٣- المصدر نفسه، ج ٤، باب في الجنائز و باب هجره الحبشه.

٤- سنن النسائي، ج ٤، باب أتخاذ القبور مساجد؛ سنن أبي داود، باب في زياره القبور، ح ٣٢٣٦؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٢؛ مسند عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، ج ١.

٥- مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٦؛ شرح مسلم، ج ١١، ص ٩٤.

ص: ٥٨

قبوراً وحيثما كنتم فصلوا علىّ فإنّ صلاتكم تبلغني) لا يصلى فيها ولا يعبد عند هذه القبور (١).

وهذه مجمل الأحاديث التي تمسكت بها هذه الفئة وسيأتي في البحث الروائي الجواب وتوضيح الحال في حقيقه مفاد هذه الأحاديث والموازنة بينها وبين الروايات الاخرى القطعية السند والدلالة.

من تمام الحج وولاية النبي الأكرم (ص)

من أسرار عظمه الرسول الخافيه على الخلق ومنزلته عندالله عز وجل، أن تمام الأعمال العباديه لا تقبل إلا بولاية النبي الأكرم بما فيها فرائض الحج.

والجاحد لهذه الولاية هو في الواقع جاحدٌ للشهادة الأولى مما يعنى العود إلى الوثنيه الجاهليه وأن هذه العبادات تكون عباده وثن وصنم والعياذ بالله.

وهذه الولاية له (ص) ثابتة دائمة لا تزول ما دام العباد مكلفون بالفرائض والعبادات.

كما يذكر المقريزي في كتابه (إمتاع الأسماع) قول العلامة زين الدين المراغى: وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربه، للأحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ» (٢) لأن تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا- يقال: إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حال حياته، وليست الزيارة كذلك، لما أجاب به بعض الائمة المحققين: أن الآيه دلت على تعليق وجدان الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين [والمؤمنات] لأنه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: «وَأَسِئَةٌ تَعْفُرُ لِدُنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» (٣) فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم كملت الأمور الثلاثة الموجهة لتوبه الله تعالى ورحمته، وقد أجمع المسلمون على استحباب زياره القبور، كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهريه، فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبه بالعموم والخصوص، ولأن زياره القبور

١- مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٣٦٧.

٢- النساء: ٦٤.

٣- محمد: ١٩.

ص: ٥٩

تعظيم، وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء (١).

وفي الفصول القادمة سوف نبين بأن بناء المساجد والمسجد الحرام وعمارته الكعبة المشرفة دون ضم عمارته قبر النبي (ص) تعتبر في منطق القرآن كعباده وثن وشرك بالله عز وجل خلافاً لما تزعم هذه الشاذة التي تدعى بأن اتخاذ قبر النبي قبله بدل الكعبة شرك بالله وثن فلا يجوز اتخاذ القبلة من المخلوقين شيئاً إلا-الكعبة، فالكعبة يتوجه إلى الله بها أما التوجه إلى الله بغير الكعبة وأتخاذها قبله فهذا وثن وعبادة شركية وصنميه حسب ما يزعمون والحال أن هناك روايات واردة لديهم تنص على أن جسد الرسول أشرف من الكعبة كما هو عند المذاهب الأربعة أجمعاً.

نبد ولاية النبي الأكرم هو العود إلى الوثنية الجاهلية

ما هو الفرق بين حج المسلمين وحج الجاهلية القرشية الوثنية «فإن المشركين كانوا يمارسون الطقوس العبادية في الحج من الطواف حول البيت والسعي بين الصفا والمروه والوقوف بعرفات ويذبحون القرابين في منى كما كانت تمارس في زمن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

أقول: بأن المشركين كانوا يمارسون هذه الطقوس كما يمارسها المسلمون بلا فرق في أعمالها العبادية لكن مع ذلك يخاطب الله عز وجل المسلمين بأن المشركين نجس كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَهُ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (٢).

مما يعنى بأن نفس الحج الذى يأتى به المشركون والصلاة والعبادات لعمارته بيت الله الحرام يعتبرها القرآن الكريم عبادة وثن وصنم.

فلم يخرج هؤلاء من الوثنية إلى الإسلام وآمنوا بالله سبحانه وتعالى إلا بالإقرار والتسليم

١- إمتاع الأسماع، ج ١٤، باب ذكر ما جاء في زيارته قبر النبي (ص).

٢- التوبة: ٢٨.

ص: ٦٠

والتدين بولاية النبي الأكرم صلى عليه وآله فإن بتر الإسلام عن الشهادة الثانية وتداعيات الشهادة الثانية ومؤديات الشهادة الثانية ومعطيات الشهادة الثانية ومقتضيات الشهادة الثانية مما يعنى بتر الشهادة الأولى عن الشهادة الثانية هي في الواقع عود للوثنيه الجاهليه وهذا كما عليه هذه الشرذمه الدعاه إلى الوثنيه الجديده.

الفرق إذاً بين حج المشركين وحج المسلمين هو أن المشركين كانوا يأتون بهذه الطقوس العباديه وعماره بيت الله الحرام لكنها كانت عباده خاويه باليه تخالف الأمر الإلهي فهي تبرأ من ولاية النبي الأكرم (ص) والتسليم والإقرار بها وعدم الإقرار بطاعه وولايه خاتم الأنبياء يعتبر في منطق القرآن الكريم وأبجديات الدين الحنيف وثنيه وشركاً، وإلا- كان حج المشركين حجاً يرتضيه الله عز وجل بمجرد المعجىء إلى بيت الله الحرام وتكون عباده لهم بينما جعل الله هذه العباده وثنيه وشركاً بالله عز وجل كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (١).

ومن خلال هذا البرهان التاريخي الأدياني تبين بأن هذه الطقوس التي يمارسها مشركو قريش هي طقوس مختلقه على نبي الله إبراهيم صلوات الله عليه لكنها لا تدين بدين خاتم الأنبياء وقطع هذه العبادات عن ولاية النبي (ص) هي في الواقع رجوع إلى الوثنيه الجاهليه وابتعاداً عن هذه الشعائر وهذه القاعده.

وهذا يتضح من البرهان الذي أشار إليه الإمام الباقر عليه أفضل الصلاه والسلام في روايات أعلانيه صحيحه السند بأن هذه الفعال فعال جاهليه ووثنيه.

البرهان الأول

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذنيه، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبه، فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليه،

ص: ٤١

إنما امرؤا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية «فَأَجْعَلْ أُفٍّ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (١) «(٢)».

في أصول الكافي الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن داود بن النعمان، عن أبي عبيده قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - ورآى الناس بمكة وما يعملون - قال فقال: فعال كفعال الجاهلية أما والله ما أمرؤا بهذا وما أمرؤا إلا أن يقضوا تفنهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم» (٣).

وفي هذا البرهان التاريخي الأدياني يبين الإمام الباقر عليه السلام الوثنية في مصطلح القرآن الكريم بأن هذه الفعال فعال جاهلية وهي طاعة لغير الله سبحانه وتعالى وما أمرؤا بهذا فإن القرشيين وغيرهم كانوا يؤدون المناسك كما هو الحال عند المسلمين لكنها كانت مبتورة ومفتقدة لولاية خاتم الأنبياء والرسل وهذا في اصطلاح القرآن يعتبر وثنية جاهلية مع أنه كانت طقوسهم المنسوبة لنبي الله إبراهيم خلافاً لما تفهمه هذه الفئه.

فإن طاعة الله تكون من خلال الأبواب التي تصل منها أوامره وإلا تكون هذه الطاعة لغير الله وهذا ما عليه هذه الشرذمة من بتر الصلة بالنبي الأكرم (ص) وأن فعالهم كفعال الجاهلية الأولى وما أمرؤا بهذا.

وبذلك هم يدعون إلى الوثنية والزندقة باسم التوحيد ونفى الشرك والعياذ بالله، والتوحيد إنما هو بضم عماره قبر النبي (ص) والتدين بولايته.

وكانت قريش تزعم بأنها على الملة الحنيفية الإبراهيمية وأن النبي مرق وصباً عن الملة الإبراهيمية وفي قبال ذلك كانت تزعم أن سيد الأنبياء صباً فتيه قريش بينما القرآن الكريم يبين قاعده ضروريه وهي أن قطع الصلة بولاية خاتم الأنبياء وبدون ارتباطكم بخاتم الأنبياء هذا وثن وليس توحيد ومشكله هذه الفئه الشاذه أنها تعتقد كلما قطعت الصلة

١- إبراهيم: ٣٧.

٢- الكافي، ج ١، ص ٣٩٢.

٣- المصدر نفسه.

ص: ٦٢

وأوجدت القطيعه والجفاء مع خاتم الأنبياء قد وحدت الله عز وجل.

فالتوحيد الحقيقي هو الذى يمر من يوابه محمد (ص) فهو سبيل الله والداعى إليه عزوجل ولا معنى لكل عباده ما لم تكن متعلقه بهذه العروه الوثقى، فقريش الكافره كانت لها شعائر تعتبرها دينيه وتؤديها وتحافظ عليها ومنها الطواف حول الكعبه باعتبارها المركز والقبله، وقد وجهوا نقدهم للنبي الأعظم (ص) عندما كان يستقبل بيت المقدس و بأنه جعل بيت المقدس قبله للمسلمين والحال أن قبله فى مله إبراهيم هو الكعبه وأنه صبا عن دين الله عز وجل أى خرج عن دين آباءه وأجداده كما فى قوله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَهُ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» (١).

والحال أن قريش والمشركين كان لديهم طقوس ينسبونها بالنبي إبراهيم لكنها مع ذلك كانت مبتوره عن ولاية النبي (ص). كذلك أحد أسباب كون عباده اليهود والنصارى عباده وثنيه وصنميه أن هذه الطقوس التى تتم فى الكنائس والأديرة إشراك بالله عز وجل لأنهم يعرضون عن ولاية خاتم الأنبياء والرسول (ص)، وهكذا فإن قطع الصله بين المساجد وبين ولاية النبي الأكرم هى بنفسها فعال الجاهليه الأولى فهؤلاء يفرغون التوحيد عن مضمونه بحشو وثنى.

البرهان الثانى

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذنيه، عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم» (٢).

وفى هذا البرهان العقائدى يبين الإمام عليه السلام بأن الطاعة للنبي (ص) وبولاية النبي وليس

١- البقره: ١٤٤.

٢- الكافى، ج ٤، باب اتباع الحج بالزياره.

ص: ٦٣

بأحجار الكعبة كما فى قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (١).

والهدف من استقبال القبلة هو طاعة الرسول لا كما يدعى هؤلاء (بأن التوحيد هو قطع الصلة وبتروا ولاية النبي عن العبادات) المنقطعين عن الوسائط التي نصبها الله عز وجل أبواباً لهم ونبذ الوساطة والتوجه بالنبي الأكرم بل هذه هي الوثنية بعينها.

نبذ التسليم والإقرار بولاية خاتم الأنبياء ووجود ولاية خاتم الأنبياء هي الوثنية والصنمية فى منطق القرآن الكريم لأنه طاعه لغيره سبحانه وتعالى كما نبه وأشار إلى بيانات القرآن أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام فلا بد للإنسان من واسطه بينه وبين ربه وإلا من أين له أن يستعلم ويستعلم ويقف على أوامر وإرادات وإرشادات ربه مما يتبين بأن هذه التخرصات الشيطانية هي عبادة وثنية باعتبار أن الطاعة والعبادة من دون تولى النبي واندماج طاعته فى طاعة الله تعالى لا تكون لله سبحانه وتعالى حتى طواف المسلمين حول الكعبة والتوجه به من دون أوامر الله تعتبر طواف حول الحجارة وهذه هي عبادة وثنية والطاعة لغير الله هي وثن وصنمية.

ومن يجحد ولاية النبي (ص) وولاية أهل بيته من بعده يكون نابذاً وعاصياً لله سبحانه وتعالى وعابداً لغير الله عز وجل ولا يمكن له أن يستعلم أوامر ربه ومن ثم يخاطب الباقر عليه السلام بأن هذه الفعال كفعال الجاهلية وأن هذه العبادات من دون ولاية النبي تكون عبادة وثن.

وهذا ما قاله الله تعالى: «مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» (٢).

هذا البرهان القرآنى هو بيان لنفس معنى الوثنية فى قضيه القبلة التي كان عليها النبي الأكرم صلوات الله عليه وهي اتجاه بيت المقدس وكانت صعبه على قريش وغير قريش

١- البقره: ١٤٣.

٢- المصدر نفسه.

ص: ٦٤

الذين اعتادوا على استقبال الكعبة والتي كانت قبله إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، لذلك عبر القرآن الكريم: «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ» .

من خلال هذا البرهان القرآني يتبين بأن العبادة والصلاة إلى القبلة ليس الغرض الأساسي منها بما هي بل لأجل الطاعة والتدين بولايه خاتم الأنبياء والرسول (ص) وبأنه هو القبلة الواقعيه والمركزيه في هذه العبادة وإلا فهي عباده صنميه ووثنيه.

وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه أفضل الصلاة والسلام حينما قيل له: (يا ابن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى؟ - يعني الرسول الله (ص) - فقال: لما قال الله عز وجل: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» وهي بيت المقدس - إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجده، وذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمداً (ص) من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد (ص) يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمداً فيما يكرهه فهو مصدقه وموافقه (١).

قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ» فهذه الواقعة القرآنية واضحة وصريحة الدلالة على أن التوحيد في العبادة واتباع أوامر الله ليس في نبيذ ولايه النبي الأكرم (ص) بل الطاعة بولايته التي تؤدي إلى طاعة الله عز وجل قال تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» (٢) وإلا هذه العبادات من الصلاة والاستقبال للكعبة والطواف حولها هي عباده وثنيه وجاهليه.

ومن ثم ذكرنا في بدء البحث في الجواب عن تشدقات هؤلاء بأن الشهادة الأولى من دون ضمها إلى مقتضيات ومؤديات الشهادة الثانية تعتبر وثنيه ولقلقه لسان فلا بد من ضم الشهادة الثانية إلى الشهادة الأولى.

فهذا البرهان القرآني قد بينه أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام على أن

١- بحار الأنوار، ج ٤، باب الثالث البداء والنسخ.

٢- النساء: ٨٠.

التوحيد في العبادة ونبذ الوثنية لا تتم إلا بالإقرار والتسليم لولايه خاتم الأنبياء محمد (ص) وأهل بيته.

البرهان الثالث

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (١).

في هذا البرهان يستعرض القرآن الكريم قصة إبليس لعنه الله في أكثر من سبعة سور قرآنيه وهذه القصة والحادثه هي في الواقع بدايه الفاتحه للخليقه البشريه منذ أن قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» فهذه الآيه رمز عظيم جداً تحمل بين طياتها المعاني العاليه والساميه أشار إليها أميرالمؤمنين علي عليه السلام في خطبته المعروفه (بالقاصعه) في نهج البلاغه حيث يستعرض هذه الوقاعه ويصف إبليس لعنه الله ويقول: (فعدو الله إمام المتعصّبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبيّه، ونازع الله رداء الجبريه، وادّرع لباس التعزّز، وخلع قناع التذللّ ألا ترون كيف صغّره الله بتكبره، ووضعه بترفّعه. فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخره سعيراً).

ولو أراد الله - سبحانه - أن يخلّق آدم من نورٍ يخطفُ الأبصار ضياؤه، ويبهز العقول رُؤاؤه، وطيب يأخذ الأنفاس عرقه لفعل، ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعه، ولخفت البلوى فيه على الملائكه ولكن الله سبحانه يتتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستكبار عنهم، و إبعاداً للخيلاء منهم. فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد، وكان قد عبّد الله سبحانه وتعالى ستّة آلاف سنه، ولا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخره، عن كثير ساعه واحده. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته).

ثم قال: (فاحذروا، عباد الله، عدوا الله [إبليس] أن يعديكم بدائه، وأن يستنفركم بدائه، وأن

يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ) فيبين الإمام عليه السلام هذه الواقعة الخالدة والمعاني المشيدة (١).

كما أنه من خلال التعابير الواردة في القرآن الكريم يتبين أن عبادة إبليس كفر بالله عز وجل لأنه نابذ وجاحد لولايه ولي الله قال تعالى: «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (٢).

وقوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: «يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال: الله جل جلاله: إنني أحب أن أطاع من حيث أريد» (٤).

وهذا ما عليه السلفيه فإنهم يجحدون ولايه النبي الأعظم بحجه أن العبادة لغير الله شرك وكفر بالله ويطيعون من حيث يريدون هم بحسب أهوائهم لا من حيث هو يريد وبذلك يتبين أن ما يعتقد هؤلاء وما يزعمونه هو عين الوثنية الجديدة.

لو كان العابد يريد أن يعبد المعبود من حيث يشاء العابد لكان العابد هو المعبود يعبد هوى نفسه مقدماً على هوى خالقه لذلك خاطب الله إبليس بهذا الخطاب التوحيدي: «إنني أحب أن أطاع من حيث أريد لا من حيث تريد» .

فنتع الباري في القرآن الكريم إبليس بعد أن عبد الله ستة آلاف سنة بأنه: «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» بعد أن نبذ وجحد ولايه أبي البشر آدم عليه السلام بأمر من الله عز وجل مع أنه على منطلق هذه الفئه تكون عبادة إبليس عبادة خالصة ونابذه للواسطه والحال أن الباري وصفها بأنها شرك وكفر.

١- نهج البلاغه: خطبه له عليه السلام المعروفه بالقاصعه في ذم إبليس، خ ١٩٢.

٢- الأعراف: ١٢.

٣- البقره: ٣٤.

٤- بحار الأنوار: باب هل كان إبليس من الملائكه أم لا عن قصص الأنبياء وروى نظيره عن تفسير العياشي أيضاً، ج ١١، ص ١١٩.

ص: ٦٧

والخطاب المتمثل في قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» يتجلى في كل من يتمثل به الخلافة الإلهية كما قال تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» فهذا السجود غير مختص بآدم عليه السلام بل لكل خليفه من خلفاء الله إذ قلنا للملائكة ولكل مؤمن اسجدوا لخليفه الله المتمثل في محمد (ص) وإبراهيم الخليل وداود أنى جاعلك خليفه وأولى العزم الذين هم أعلى منزله من آدم عليه السلام وهذا بحسب نفس البيان القرآنى في قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» البارى عز وجل لم يقل إنى جاعل فى الأرض نبياً أو رسولاً بل خليفه يعنى له القدره والتصرف والصلاحيه والقدره والتدبير يعنى (الإمامه) أنى جاعل فى أرض خليفه، أى أن الله عز وجل يطوع ملائكته وجميع ما خلق لخليفته فى الأرض فيخاطبهم اسجدوا لإبراهيم اسجدوا لعيسى و نوح عليهم أفضل الصلاة والسلام يعنى توجهوا فى عبادتكم وطاعتكم إلى من؟ إلى خليفه الله وإلى ولى الله.

فإن الله سبحانه وتعالى لو أمر هذه الشرذمه بالسجود لسيد الأنبياء محمد (ص) وأن يتوجهوا فى طاعتهم وعبادتهم إليه لكانوا هم أول من يأبى ويصد ويستكبر وأول من يحارب النبى الأكرم مع إبليس لعنه الله ويستكبرون كما استكبر إبليس وأبى أن يسجد لآدم والنبى (ص) وكذلك أهل البيت صلوات الله عليهم، فإن الآيه السابقه شامله لأهل البيت بنص القرآن فى آيات أخر وبنص الحديث النبوى المتواتر لدى العامه والخاصه.

عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حجهالوداع «أن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضى من أمتى اثنا عشر خليفه» ثم تكلم بشىء لم أفهمه فقلت لأبى ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (١).

فكل من يصدق عليه عنوان خليفه الله فى الأرض فإنه مصداق لهذه الآيه الكريمة: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» كما فى قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (٢).

١- مسند احمد، ج ٥، باب حديث جابر بن سمره.

٢- البقره: ١٢٤.

ص: ٦٨

فإن الإمامه والخلافه لا ينالها إلا المصطفون والمطهرون من ذريه إسماعيل وإبراهيم قال تعالى في كتابه الكريم: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» (١).

الاجتباء والاصطفاء من الله عز وجل ثابت لآل محمد لأنهم الذين أبوهم إبراهيم ومن ذريه إسماعيل وهم الذين منهم بعث الرسول خاتم النبيين في دعاء إسماعيل وإبراهيم المذكور في سورة البقره وبذلك تثبت هذه الخاصيه والأمر الإلهي في قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» وأن هذا الأمر وهذا العهد لا يناله غيرهم من الظالمين.

ويتضح من الآيات الأخرى بأن الأمر بالسجود لم يتعلق بعنوان آدم عليه السلام بما هو كما في قوله تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَبِإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» (٢) مما يعني بأن الله سبحانه تعالى أمر بالسجود لهذا الخليفه الطيني البشري وأنتم يا معشر البشر مأمورون بالسجود له ويطاعته.

وأن هذه المنزله الرفيعه لا ينالها إلا المصطفين من قبل الله عز وجل كما بينه القرآن الكريم في آيه التطهير وآيه المباهله وآيه الموده وآيه الفء وآيه الانفال والخمس وغيرها في أكثر من موقف بأن هذا المقام مختص بالأنبياء والأوصياء، كما في بيان الرضا عليه السلام عندما أمر محمد بن الفضل بإحضار المتكلمين والعلماء في دار حفص بن عمير بالكوفه ثم قال:

يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته وبكتابه وبنبيه وشريعته؟ قالوا: نعم، قال الرضا عليه السلام: فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد إلا من قام بما قام به محمد حين يفضى الأمر إليه، ولا يصلح للإمامه إلا من حاج الأمم بالبراهين للإمامه، فقال رأس الجالوت: وما الدليل على الامام؟ قال: أن يكون عالماً بالتوراه والإنجيل والزبور والقرآن الحكيم، فيحاج أهل التوراه بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل القرآن بقرآنهم، وأن

١- الحج: ٧٨.

٢- ص: ٧١ و ٧٢.

ص: ٦٩

يكون عالماً بجميع اللغات حتى لا يخفى عليه لسان واحد، فيحاج كل قوم بلغتهم، ثم يكون مع هذه الخصال تقياً نقياً من كل دنس طاهراً من كل عيب، عادلاً منصفاً حكيماً رؤوفاً رحيماً غفوراً عطوفاً صادقاً مشفقاً باراً أميناً مأموناً راتقاً فاتقاً.

فقام إليه نصر بن مزاحم فقال: يا ابن رسول الله ما تقول في جعفر بن محمد؟ قال: ما أقول في إمام شهدت أمه محمد قاطبه بأنه كان أعلم أهل زمانه، قال: فما تقول في موسى بن جعفر؟ قال: كان مثله، قال: فإن الناس قد تحيروا في أمره قال: إن موسى بن جعفر عمر بره من الزمان فكان يكلم الأنباط بلسانهم، ويكلم أهل خراسان بالدرية وأهل روم بالرومية، ويكلم العجم بألسنتهم، وكان يرد عليه من الآفاق علماء اليهود والنصارى، فيحاجهم بكتبهم وألسنتهم.

فلما نفذت مدته، وكان وقت وفاته أتاني مولى برسالته يقول: يا بني إن الأجل قد نفذ، والمدة قد انقضت، وأنت وصي أبيك فإن رسول الله (ص) لما كان وقت وفاته دعا علياً وأوصاه ودفع إليه الصحيفة التي كان فيها الأسماء التي خص الله بها الأنبياء والأوصياء، ثم قال: يا علي ادن مني، فغطى رسول الله (ص) رأس علي عليه السلام بملاءه ثم قال له: أخرج لسانك، فأخرجه فختمه بخاتمه ثم قال: يا علي اجعل لساني في فيك، فمضه وأبلغ عني كل ما تجد في فيك، ففعل علي ذلك فقال له: إن الله قد فهمك ما فهمني، وبصرك ما بصّرني، وأعطاك من العلم ما أعطاني، إلا النبوه، فإنه لاني بعدى ثم كذلك إمام بعد إمام، فلما مضى موسى علمت كل لسان وكل كتاب (١).

فمن خلال هذه الكلمات والآيات البيه الناصعه تين بأن السجود والذي هو كناية عن الطاعة المطلقة والانقياد التام والتسليم الكامل ومنتهى الخضوع لا يختص بآدم عليه أفضل الصلاة والسلام وبأن التوحيد في العبادة إنما هو بالتوجه لولي الله إلى الله وهذا هو حقيقه القبلة وليس الكعبه بما هي أحجار والطواف حولها وهذا عين ما في قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ» (٢).

١- بحار الأنوار، ج ٤٩، باب وروده عليه السلام بالكوفه.

٢- البقره: ١٤٣.

ص: ٧٠

تنصيص من القرآن كما ذكرنا في قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» تجعلونه قبله وتتجهون بولايته في عبادتكم.

إذاً هذا البرهان القرآني الدامغ الناصع دال على أن التوحيد في العبادة يكون في التوجه بولي الله إلى الله وبخليفه الله وبالوجه من قبل الله إلى الله لا قطع التوجه والصله به.

أن زياره قبر النبي (ص) وقبور عترته هي من تمام العبادات

(في عيون الأخبار وفي العلل) (١).

عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج».

وفي (الخصال) بإسناده عن علي عليه السلام (في حديث الأربعائه) قال: «أتموا برسول الله (ص) حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله فإن تركه جفاء وبذلك أمرتم [وأتموا] بالقبور التي أكرمكم الله عز وجل حقها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها» (٢).

فمن هذه الروايات والقرائن الأخرى الذي ذكرناها تظهر بأن المسلم لا بد له أن يضم جميع العبادات من زكاه وصيام إلى زياره قبر النبي (ص) وأن من تمامها وكمالها هي هذه الزيارة وإلا لا تقبل أعماله وتذهب هباءً منثوراً قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٣).

البرهان الرابع

قال تعالى: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (٤).

١- عيون أخبار الرضا، ج ١، باب في ذكر ثواب زياره الإمام عليه السلام؛ علل الشرائع، باب العله التي من أجلها وجبت زياره النبي (ص) والأئمة عليهم السلام بعد الحج فيهما: فليختم حجه بزيارتنا.

٢- الخصال، ص ٦١٦.

٣- إبراهيم: ٣٥ و ٣٦.

٤- إبراهيم: ٣٧.

ص: ٧١

«رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» يعني المسجد الحرام (الكعبة) والحرم المكي.

وذكر في (تفسير العياشي): عن الفضل بن موسى الكاتب، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أسكن إسماعيل وهاجر مكة وودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما بيكيكما فقد خلفتكما في أحب الأرض إلى الله وفي حرم الله؟

فقلت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أن نبياً مثلك يفعل ما فعلت؟ قال: وما فعلت؟ فقلت: إنك خلفت امرأه ضعيفه وغلماً ضعيفاً لا حيله لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر، ولا زرع قد بلغ، ولا ضرع يحلب قال: فرق إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى انتهى إلى باب بيت الله المحرم فأخذ بعضادتي (١) الكعبة ثم قال: اللهم «إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» (٢).

الغاية من إسكان هاجر وإسماعيل عند بيته الحرام

ما هو الهدف من إسكان هاجر وإسماعيل ونسل إسماعيل في مكة وعند بيت الله الحرام في أرض ليس فيها زرع ولا ضرع؟

«رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» الهدف والغاية منه إشادة الدين وتشديد معالم الدين وعمارته المسجد الحرام بالصلاة والحج والنسك وكل مظاهر عمارته الدين وعمارته المسجد الحرام.

وهل هي الغاية النهائية وراء إسكان إسماعيل وأمه هاجر إلا نسل إبراهيم وهو النبي (ص) وأهل بيته لكي يقيموا الصلاة عند بيته المحرم وفي وادٍ غير ذي زرع الذي هو وادٍ مقدس وإتيان كل مظاهر العبادة ماذا بعد ذلك وما وراء ذلك؟

والجواب: وراء ذلك التعبير الوارد في الآية الكريمة: «فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي»

١- عضادتي الباب: خشبته من جانبه.

٢- بحار الأنوار، ج ١٢، باب الخامس، أحوال أولاده وأزواجه صلوات الله عليه؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٣٢.

ص: ٧٢

«إِلَيْهِمْ» هذا التفریع هی الثمره والنتیجه النهائیه وفي کلمه (فاجعل) بیان لثمره التی هی وراء ما ذکر قبلها فی الآیه وأهل البیت یشرحون کل کلمه فی الآیه فی رواياتهم علیهم أفضل الصلاه والسلام.

هذا هو بیت القصید فی قوله تعالى: «فَجْعَلْ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (١).

كما إنه لا بد للفقیه أن یجمع القرائن الموجوده لکی یتکشف الأحكام الشرعیه وماهیتها من العبادات من القرآن الکریم والنصوص الوارده.

هذه الآیه الکریمه بنص مفادها كما أشار إلى ذلك الإمام الباقر علیه السلام هی من آیات الحج وینبغی علی الفقهاء أن لا یغفلوا بأن هذه الآیه من مجموع آیات ونصوص الحج.

وهی تقول بأن للحج غایه، لأن ما یقام وما یشاد ویمارس ویبنى ویؤسس عند بیت الله الحرام والوادى المقدس غایته فی قوله تعالى: «فَجَعِلْ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» تهوی إلى من؟ إلى ذریه ونسل إسماعیل وإبراهیم، تهوی إلیهم تمیل بقلوبها إلیهم، توالیهم، تمیل إلیهم، تحن إلیهم بقلبك، قال تعالى: «قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» (٢) «عَلَيْهِ أَجْرًا» علی الرساله هذه هی الغایه من هذه الطقوس فی الحج التولی والولایه لأهل البیت علیهم أفضل الصلاه والسلام.

وهذه الآیه صریحه فی موده أهل البیت علیهم أفضل الصلاه والسلام وبأنها من تمام إقامه الصلاه والطواف والاعتكاف وکل أبواب العباده كما مر فی آیه استقبال الكعبه قال تعالى: «طَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٣).

فنفس هذا المفاد الذی فی الآیه صریح فی قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ» (٤) أنظر إلى هذا التناغم والتشاهد والتوافق والاتحاد فی مفاد الآيات.

١- إبراهيم: ٣٧.

٢- الشورى: ٢٣.

٣- البقره: ١٢٥.

٤- البقره: ١٤٣.

ص: ٧٣

إذاً من تمام الصلاة والعبادات واستقبال الكعبه ماذا؟ لكي تهوى الناس إليهم، تميل إلى نسل إبراهيم وإسماعيل، وهى تلك الذرية المسلمه التى لا- تشرك بالله طرفه عين وهم دعوه إبراهيم وطلبه من الله تعالى فى قوله تعالى: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» (١) فإذاً هذه الأمه لها مواصفات خاصه وهى عتره النبي (ص) هى الغايه من الحج وهى الغايه من العباده، بولايتهم وبمودتهم وبصلتهم وزيارتهم يتم الحج.

فهل من الممكن أن لا يستجاب هذا الدعاء ولا يتحقق فى نسل إسماعيل وأن يكونوا كلهم مشركين ولا تكون فيه أمه مسلمه موحده لله تعالى؟

كما تدعى هذه الفئه الضاله التى تتجراً على أبى طالب وعبد المطلب آباء وأجداد النبي (ص).

هذا مضافاً إلى ما فى قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (٢).

وجعلها كلمه باقيه فى عقبه وفى نسله الذين لا- يشركون بالله طرفه عين، وقد جعل الله فى نسله أمه مسلمه وفى ذريته التى لها مواصفات خاصه الإمامه والخلافه الإلهيه وهى باقيه فى عقبه لكى تميل وتهوى أفئده الناس إليهم.

هذا هو دعاء إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح بأن يجعل فى ذريتهما أمه مسلمه تعبد الله عز وجل ويجعل فى ذريته الإمامه وجعلها الله كلمه باقيه فى عقبه إلى يوم القيامة وبذلك يتبين بأن مجموع هذه الآيات لا- يمكن عزلها عن بعضها البعض فى بيان ماهيه الحج وكمالات الحج والغايه من الحج وإنما احتلت الكعبه هذه المركزيه لأجل محبه هذه الذرية «تَهْوَى إِلَيْهِمْ» بولايتهم وهى أبواب معالم الدين.

«فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» هذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله قلوب

١- البقره: ١٢٨ - ١٢٩.

٢- الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

الخلق تحن إليهم لا- إلى البيت وإلا- لكان الضمير مفرداً (إليه) كما أشار الإمام الباقر في البرهان السابق في قوله: (إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم) هذه هي الغاية المركزية من الطواف وبقية العبادات.

على عكس ما تدعى هذه الشريعة بأن التوحيد في العبادة هو النفرة والقطيعة والبغض للنبي وأهل بيته وأن عماره قبر النبي وأهل بيته شرك بالله بينما القرآن الكريم يقول: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» (١).

إذاً قوله تعالى: «فَاجْعَلْ أُمَّتَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» تُبين موده أهل البيت في قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ومن أبرز مصاديق الموده والصله زياره قبر النبي (ص) وقبور عترته عليهم السلام مما يعنى بأن هذه الآية هي الآية الثانية الصريحة في موده أهل البيت بعد آية القربى والمحبه لهم والحنين إليهم لأن الحنين لهم هي من فطره البشر والذهاب إلى زياره قبورهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن الشواهد على هذه الفطره ما قام به النبي إسماعيل أنه عندما استأذن إبراهيم ساره في أن يزور ابنه إسماعيل عليه السلام:

فإنه قد روى هذه القصة على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن الصادق عليه السلام وإن اختلفت بعض ألفاظه، وقال في آخرها: «إذا جاء زوجك فقول له جاء هاهنا شيخ، وهو يوصيك بعته بابك خيراً، قال فأكب إسماعيل على المقام يبكي ويقبله» (٢).

وكذلك ما رواه المجلسي في البحار: فعندما جاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فأنزل يرحمك الله... إلى أن قال إبراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبه بابك: فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت نعم، شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وقال لي كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام، قال

١- البقره: ١٤٣.

٢- مجمع البيان، طبرسي، ج ١، باب وإذ جعلنا البيت مثابه للناس.

ص: ٧٥

لها إسماعيل: ذلك إبراهيم عليه السلام (١).

فلاحظ هذه الفطرة البشرية في الأنبياء والرسل «فأكب إسماعيل على المقام يبكي ويقبله» يحنُّ إليه، عالمٌ بمقام الأصفياء الأولياء، وببصيره الفطرة الوحيانية، فهذا العمل من صميم التوحيد والعبادة الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

فهل لقائل أن يقول بأن إسماعيل عليه السلام أشرك بالله حينما أخذ يبكي عند مقام قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام وبأن هذا العمل ينافي التوحيد بالله عز وجل كما تدعي هذه الفرقة الشاذة.

وإلى هذا المفاد يشير صدر دعاء الندبه حيث يبين منزله النبي الأكرم (ص) وأن أجر رسالته هي موده أهل بيته كما هو في القرآن الكريم: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٢).

(لولا أرسلت إلينا رسولاً مُنْذِراً وأقمت لنا علماً هادياً فنتبع آياتك من قبل أن نذِلَّ ونخزي إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك مُحَمَّدٍ (ص) فكان كما اتجنبتُه سيد من خلقته وصفوه من اصطفيته وأفضل من اجتبيته وأكرم من اعتمدته، قدّمته على أنبيائك وبعثته إلى الثقلين من عبادك وأوطأته مشارقك ومغاربك وسخرت له البراق وعرجت برؤحه إلى سمائك وادعته علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك ثم نصرته بالرعب وحففته بجبرئيل وميكائيل والمُسومين من ملائكتك ووعدته أن تُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وذلك بعد أن بوأته مَبِوَأً صدقٍ من أهله وجعلت له ولهم «أول بيتٍ وُضِعَ للناس للذي ببكة مُباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بيناتٍ مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» وقلت «إنما يريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهركم تطهيراً» ثم جعلت أجر محمدٍ صلواتك عليه وآله مودتهم في كتابك فقلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٣).

فهذه الكلمات الواردة تبين بأن الكعبة جعلت للنبي وازدادت شرفاً بالنبي الأكرم (ص) و

١- بحار الأنوار، ج ١٢، الباب الخامس أحوال أولاده وأزواجه.

٢- الشورى: ٢٣.

٣- دعاء الندبه.

أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وهذا هو مضمون الآية: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (١).

بأن يجعل الكعبة مركزاً للعبادة وإسكان ذريه إسماعيل هناك لأجل أن يُقام هذا المعلم الديني وأن تكون عاصمه دينيه تُحيى بنسل إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وأن يكون هناك اقتران بين نسل إسماعيل وإبراهيم وإحياء مشاعر ومعالم الدين وبالتالي توجه الناس إلى الكعبة في الحج والصلوة هو توجهٌ إلى الله سبحانه وتعالى من خلال توسط وتوجه إلى نسل ذريه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام «فَجَعَلَ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» .

النتيجة: الآية مشتمله على ثلاثة فقرات

الفقره الأولى: قال تعالى: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» (٢).

إسكان ذريه إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في وادٍ غير ذي زرع (الوادي المقدس) عند بيته المحرام امتثالٌ للأمر الإلهي رغم وجود هذه الشدائد التي لاقتها هاجر مع ابنها الرضيع.

كما أن هذا التكليف في حد ذاته أمرٌ شاق غير مقدور للفهم عند البشريه فكيف يأخذ نبي من أنبياء الله بزوجه وطفله الرضيع في وادٍ غير ذي زرع ويتركهم هناك؟ وهذا نظير تكليف إبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام والامتثال للأمر الإلهي.

الفقره الثانيه: قال تعالى: «رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» ليقوموا الصلاه عند بيتك المحرم نظير خطاب الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل قال تعالى: «طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٣) يعني إتيان لكل مظاهر العباده وجعل الكعبة مركزاً للعباده وإشاده الدين.

١- إبراهيم: ٣٧.

٢- المصدر نفسه.

٣- البقره: ١٢٥.

ص: ٧٧

الفقره الثالثه: قال تعالى: «فَجَعَلَ أَفْئِدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» إسكان ذريه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى بيت الله الحرام و تشييد الدين وجعلها مركزاً للعباده من خلال هذه الذريه الطاهره.

فإن وراء هذين الأمرين غايه عظيمه وهى أن يتوجه الناس إلى الكعبه وجعلها قبله لهم ومركزاً للعباده فى الصلاه والطواف وبهذا التوجه إلى الكعبه يتوجهون حينئذٍ إلى الذريه الطاهره «فَجَعَلَ أَفْئِدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» أى تُدين الله بمودتهم وبالهوى إليهم وهذه هى غايه المركزيه من استقبال الكعبه بحيث يحصل التوجه بالذريه الطاهره إلى الله عز وجل ويتقرب إليه من هذين الأمرين وهذا ما أشار إليه الباقر عليه السلام بأن: «من تمام الحج هو لقاء الإمام» (١) ولا يمكن رفع اليد عنها فى كونها من آيات الحج.

كما روى الشيخ الصدوق: قال حدثنا تميم بن بهلول عن أبيه عن إسماعيل بن مهران عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج» (٢).

وكما فى صحيحه أبى عبيده قال: «سمعتُ أبا جعفر عليه السلام - ورأى الناس بمكه وما يعملون - قال فقال: فعال كفعال الجاهليه، أما والله ما أمروا بهذا وما أمروا إلّا أن يقضوا تفثُهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم» (٣).

عن أبى جعفر عليه السلام قال: (أتدرون أى بقاع أفضل عند الله منزله؟ فلم يتكلم أحدٌ منا وكان هو الراد على نفسه قال ذلك مكه الحرام التى رضىها الله لنفسه حرماً وجعل بيته فيها، ثم قال: أتدرون أى البقاع أفضل فيها عندالله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه فقال ذلك المسجد الحرام، ثم قال: أتدرون أى بقعه فى المسجد الحرام أفضل عندالله حرمة؟ فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه قال ذلك ما بين الركن الأسود والمقام

١- الكافى، ج ٤، باب اتباع الحج بالزياره؛ علل الشرائع، العله التى من أجلها وجبت زياره النبي (ص) والائمة بعد الحج ج ٢؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، باب فى ذكر ثواب زياره الإمام.

٢- عيون أخبار الرضا، ج ١، باب فى ذكر ثواب زياره الإمام عليه السلام؛ تفسير نور الثقلين للحويزى، ج ١، باب فان حصرتم فما استيسر من الهدى.

٣- الكافى، ج ١، باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام.

وباب الكعبة وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام ذلك الذي كان يذود غنيماته ويصلى فيه والله ولو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان قام ليلاً مصلياً حتى يجيئه النهار وصام حتى يجيئه الليل ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً (١) أن أبانا إبراهيم صلوات الله عليه كان فيما اشترط على ربه أن قال «فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» أما أنه لم يقل الناس كلهم... إلى آخر الحديث (٢).

وكما جاء في تفسير العياشي: عن رجل ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إلى قوله «لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «نحن هم، ونحن بقيه تلك الذرية» وفي روايه أخرى، عن حنان بن سدير، عنه عليه السلام «نحن بقيه تلك العتره» (٣).

وكونهم ذرية إبراهيم التي أسكنت عند البيت هو بنفسه برهان مستقل على كونهم محل دعوه إبراهيم بأن يكونوا الأمة المسلمه والتي فيها الإمامه عن الآيه (٣٧) في سوره إبراهيم و لذلك عقد الكليني باباً لبيان هذا المطلب وأن الأوامر الثلاث في الآيه الكريمه مقترنه مع بعضها البعض ولا تتجزأ ولا تنفك.

وروى عبدالله بن سنان عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعلمه قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله عز وجل «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ» قال:

«لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام «وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ» تلك المناسك، فقال عبد الله بن سنان: فأنت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلني الله فداك قول الله عز وجل «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ» قال أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فإن ذريح المحاربي حدثني عنك أنك قلت له: «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام «وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ» تلك المناسك. فقال:

١- ثواب الأعمال، صدوق، باب من جهل حق أهل البيت عليهم السلام، ص ٢٠٥ وفي مصادر اخرى أيضاً مع اختلاف في الألفاظ.

٢- تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٣٣.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٣١.

ص: ٧٩

«صدق ذريح وصدقت، إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟» (١)

وكيف تتحقق الصلة ونحن نعيش في عالم الأجسام والمادة؟ وهل هي بالقطيعه وقطع الصلة كما هو عليه النواصب والمعادون لأهل البيت عليهم السلام؟

الجواب

لا تتم هذه الصلة إلا بالحضور الجغرافي والوفود إليهم والهوى إليهم والوفاده الجسمانية مع التوجه إلى الله بهم في الزيارة «فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم» وهذا ما أشار إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

البرهان الخامس

ما تشير إليه الرواية معتبره السند - على الأصح - التي يرويها الكليني بسنده:

عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندی، عن جعفر بن بشير، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال جميعاً، عن أبي جميله، عن خالد بن عمار، عن سدير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدي، ثم استقبل البيت فقال: «يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)» ٢- ثم أوماً بيده إلى صدره - إلى ولايتنا» .

ثم قال يا سدير فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفه وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا- هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) (٢).

١- بحار الأنوار، ج ٩٦، باب الخامس والخمسون: الرجوع من منى إلى مكة للزياره، ح ٢٠؛ معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٣٤٠.

٢- الكافي، ج ١، باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام.

ص: ٨٠

ومن الملاحظ بأن الكليني عقد هذا البحث في العقائد (كتاب الحج) نظير ما فعله في بحث الخمس والأنفال ليعين بأن الخمس والأنفال الذي هو من المنابع العامة أصله وتشريع هو ولاية أهل البيت على هذه الأموال، والولاية هي بحث عقائدي وبذلك يتضح النكته والغرض من جعلها في باب الحج.

كما أن بوابه الأنفال والفيء هي من الأبواب العظيمة في الإسلام وبذلك تكون هذه الأموال تحت ولاية الإمام المعصوم عليه السلام كما جاء في بعض الروايات بأن الإمام هو رب التدبير في الأرض الذي ياذنه تعالى يدير ويدبر بأمر من الله سبحانه وتعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» الذي له الولاية العظمى بأمر من الله عز وجل.

فلا بد للفقهاء أن يبحث عن هذه المقدمات العقائدية لكي يؤسس على ذلك وينطلق إلى البحث الفقهي والأبواب الفقهية المتصله والمرتبطة بذلك.

وفي هذا البرهان يشير الباقر عليه السلام إلى التوحيد في العبادة في مقابل الوثنية في قوله تعالى: «وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» (١).

هذه الآيه القرآنية تبين بأن المغفرة من الله عز وجل تكون بالإيمان بالله والعمل الصالح ومن أبرز هذه المصاديق الحج كما ورد (بأن الحاج يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) لكن مع ذلك فإن الغفران من الذنوب بأي سبب من الأسباب مشروط بشرط آخر لا بد الإتيان به وهو (الاهتداء).

«وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» ثم أوما بيده إلى صدره «إلى ولايتنا» وهذا يعني بأن الإيمان بالوحدانية والعمل الصالح لا يتم إلا بالاهتداء بأهل البيت عليهم السلام والافتداء بتعاليمهم وإرشاداتهم.

كما روى الكليني في باب معرفه الإمام والرد إليه: (إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: «وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» وقال «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله

ص: ٨١

مؤمناً بما جاء به محمد (ص)، هيهات هيهات فات قوّم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعه ولى أمره بطاعه رسوله، وطاعه رسوله بطاعته، فمن ترك طاعه ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الاقرار بما أنزل من عند الله عز وجل (١).

كما روى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: خرج رسول الله (ص) ذات يوم وهو راكب، وخرج علي عليه السلام وهو يمشى، فقال له: يا أبا الحسن، إما أن تترك، وإما أن تنصرف، فإن الله عز وجل أمرني أن تترك إذا ركبت، وتمشى إذا مشيت، وتجلس إذا جلست، إلا أن يكون حد من حدود الله لا بد لك من القيام والعود فيه، وما أكرمني الله بكرامه إلا وقد أكرمك بمثلها، وخصني بالنبوه والرساله، وجعلك ولي في ذلك، تقوم في حدوده وفي صعب أموره، والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما آمن بي من أنكرك، ولا أقر بي من جحدك ولا آمن بالله من كفر بك، وإن فضلك لمن فضلى، وإن فضلى لك لفضل الله، وهو قول ربي عز وجل: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (٢) لفضل الله نبوه نبيكم، ورحمته ولايه علي بن أبي طالب «فَبِذَلِكَ» قال: بالنبوه والولاية «فَلْيَفْرَحُوا» يعني الشيعة «هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا.

والله (يا علي) ما خلقت إلا ليعبد ربك، ولتعرف بك معالم الدين، ويصلح بك دارس السبيل، ولقد ضل من ضل عنك، ولن يهتدى إلى الله عز وجل من لم يهتد إليك وإلى ولايتك، وهو قول ربي عز وجل: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» (٣) يعني إلى ولايتك.

ولقد أمرني ربي تبارك وتعالى أن افترض من حقك ما افترضه من حقى، وإن حقك

١- الكافي، ج ١، باب معرفه الإمام والرد إليه.

٢- يونس: ٥٨.

٣- طه: ٨٢.

ص: ٨٢

لمفروض على من آمن بى، ولولا-ك لم يعرف حزب الله، وبك يعرف عدو الله، ومن لم يلقيه بولايتك لم يلقيه بشىء، ولقد أنزل الله عز وجل إلى «يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» يعنى فى ولايتك يا على «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» (١) ولو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملى، ومن لقي الله عز وجل بغير ولايتك فقد حبط عمله، وعد ينجز لى، وما أقول إلا-قول ربى تبارك وتعالى، وإن الذى أقول لمن الله عز وجل أنزله فيك وصلى الله على رسوله محمد وآله المعصومين (٢).

فيتين من مفاد الآيه أن من أسباب المغفرة التوبة والعمل الصالح ولا تتم إلا بالاهتداء والهداية ولا يهتدى العبد إلى الله عز وجل ما لم يهتد إلى ولايه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام بنص هذه الآيه الكريمة: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» لذلك أوما الإمام عليه السلام بيده إلى صدره لكى يشير إلى هذا البرهان العقائدى وأن هذه الأعمال كالحج والصلاة الذى هو من أسباب المغفرة لا نفع فيها ولا تُقبل إلا (بالاهتداء) إلى ولايه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام التى يتم بها التوحيد فى العبادة وأن مجرد التوبة وأصل الاعتقاد بالتوحيد وكثرة العمل الصالح لا يفي بتحقيق الغفران الإلهي والقبول إلا بالاهتداء زائداً على ذلك وليس وراء معرفه التوحيد إلا الولاية لله تعالى ولرسوله وللأوصياء من عترته.

انظر إلى هذا الاستدلال العام الذى يطبق على عموم أسباب المغفرة كما جاء فى روايات الفريقين أن الصلوات الخمس وهى الفرائض اليومية مطهره ومسببه للمغفرة عن الذنوب كما هو فى روايات أهل البيت عليهم السلام خاصة: عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله (ص): لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل فى كل يوم منه خمس مرات، أكان يبقى فى جسده من الدرن شىء؟ ، قلنا: لا، قال: فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجارى، كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب (٣).

١- المائدة: ٦٧.

٢- الأمالى الشيخ الصدوق باب فضائل على عليه السلام.

٣- وسائل الشيعة، ج ٤، باب وجوب صلوات الخمس، ح ٤٣٨٧.

ص: ٨٣

فهذه الصلاة المفروضة رغم أنها عبادة ومغفرة من الذنوب مشروطه بالاهتداء بالأئمة والولاية لهم عليهم أفضل الصلاة والسلام والجاهد لهذه الولاية لا تقبل له عبادة مدى الدهر كما قال: أبو عبدالله عليه السلام: «أن فوق كل عبادة عباده، وحبنا أهل البيت أفضل عبادة» (١).

سبع المثاني فاتحه الكتاب هي أم القرآن

وهذا اللسان الوارد في سورة طه بعينها أشار إليه الأئمة أهل البيت عليهم السلام في (سورة الحمد) التي جمعت فيها القرآن وبأنها القرآن العظيم كما في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» (٢).

وسورة الحمد هي من المثاني التي توضح آيتها بعضها البعض ويصدق بعضه البعض كما في قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» .

كما نزلت سورة الحمد على النبي الأكرم مرتين لأهميتها وأهميه محتواها الذي ذكره أهل البيت عليهم السلام ومنه ما روى عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» فقال فاتحه الكتاب يثنى فيها القول. وقال رسول الله (ص) إن الله تعالى منّ علىّ بفاتحه الكتاب من كنز الجنة، فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية التي يقول الله تعالى فيها «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّأَ عَلَىٰ أذْبَارِهِمْ نُفُورًا» (٣). (٤)

فإن سورة الحمد تعرضت للشهادة الأولى والشهادة الثانية والشهادة الثالثة، فقوله تعالى:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (٥) إشاره إلى الشهادة الأولى، وهي كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وقوله تعالى: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» (٦) إشاره إلى أصل المعاد، الذي هو من

١- المحاسن، البرقي، ج ١، كتاب الصفوة والنور والرحمة باب الحب.

٢- الحجر: ٨٧.

٣- الإسراء: ٤٦.

٤- بحار الانوار، ج ٨٢، ص ٢١.

٥- الفاتحة: ٢ - ٣.

٦- الفاتحة: ٤.

أصول الدين، وقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (١) إشاره إلى مقام التشريع والنبوه، لأن العباده لا تتحقق إلا بالسير على خطى النبوه والرساله.

وقوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» (٢)، إشاره إلى مقام الإمامه فى الأمه، فهناك مجموعته فى الأمه الإسلاميه ندعو الله عز وجل فى اليوم والليله أن يهدينا صراطهم المستقيم كما قال تعالى «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (٣)، وهذا الصراط هو المنزه عن الغضب فى العمل وعن الضلال فى العلم، أى صراط المعصومين علماء وعملاً وهؤلاء الهداه الهادون إلى الصراط المستقيم وصفهم الله تعالى بثلاثه نعوت:

الأول: أنهم منعم عليهم بنعمه خاصه دون بقيه الأمه وسائر البشر، نظير ما أنعم الله على النبيين.

الثانى: أنهم لا يغضب الله عليهم قط، وإلا لما كانت لهم صلاحيه الهدايه لجميع الأمه.

الثالث: أنهم لا يضلون قط، وإلا لم يكونوا هداه هادين لكل الأمه.

ولم يحدثنا القرآن الكريم عن ثله فى هذه الأمه قد خصصوا بنعمه وحظوه وحبوه إلهيه خاصه دون بقيه الأمه إلا أهل البيت عليهم أفضل الصلاه والسلام.

فبذلك اشتملت سوره الحمد على أصول الدين من توحيد الذات والصفات ونعت الله عز وجل بالرحمانيه والرحيميه والإقرار بالمعاد والنبوه والحاجه إلى النبوه وضروره الهدايه إلى الصراط المستقيم، كما لم تغفل السوره مبدأ البراءه عن «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وعن «الضَّالِّينَ». وهم أعداء الله والرسول والأئمه الطاهرين وهذا ما يطلبه الإنسان المسلم فى صلاته بأن يجعل له هداه وأئمه يهتدى بهم.

١- الفاتحه: ٥.

٢- الفاتحه: ٦- ٧.

٣- النساء: ٦٩.

كما تبين بأن المسلم المؤمن القارئ لسوره الحمد إلى ها هنا أسلم لكنه لم يهتد بعد «الهدايه التامه» مع إقراره (بالشهادتين) والمعاد ومع ذلك تخاطب السوره المسلم المصلى في يومياته بأن يدعوا الله أن يهتدى إلى الصراط المستقيم، وهذا يعنى بأن الإقرار بالشهادتين والمعاد لم تتم بها الهدايه من دون ضم الشهاده الثالثه إلى الشهاده الثانيه والأولى، لا كما تتقنع هذه الشرحه بشعار التوحيد وتدعوا إلى الوثنيه الجاهليه بحيث لا- تطعم في أدبياتها مقتضيات الشهاده الثانيه وتداعيات الشهاده الثانيه ومؤديات الشهاده الثانيه وجعلها في حساباتهم وأدبياتهم، فلا بد من ضم الشهاده الثالثه إلى الشهادتين لأن الاهتداء إلى الصراط المستقيم شرط للوصول إلى الجنه ولا تتم النجاه من النار إلا به لكي نصل إلى المطلوب فإن الإمامه شرط في الهدايه ولا تقبل العباده إلا به والنبوه إنما هي إراءه الطريق وكشف وتشريع وتمهيد للإمامه وهذا بأمر ملكوتى من الله عز وجل والنبي نبي وإمام أيضا بل هو إمام الأئمه.

كما جاءت لفظه (اهْتَدَى) بتعابير وعناوين متعدده ووجوه متعدده لتحقيقه واحده في القرآن الكريم أى اجعل لنا هداه نقتدى بهم وهادياً ومهتدياً يعنى إمام وإمامه وهذه اللفظه جاءت في سوره الحمد بلفظه الهدايه «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى اجعل لنا هادياً ومهتدياً نقتدى به ونسير على ولايته وأن الشهاده الأولى والثانيه لا تتم الهدايه بهما إلا بضم الشهاده الثالثه وهى في كبد الصلاه لا فى الأذان والإقامه فحسب، بحيث تقر بها بلسانك فى الصلاه فى سوره الحمد وقد أفتى جملة من الفقهاء باستحباب دعاء التوجه كالصدوق فى الفقيه والمفيد فى المقنعه والطوسى فى النهايه والمبسوط وهذا بعد تكبيره الإحرام لكي تكون على مله إبراهيم الذى هو على دين محمد (ص) وتخرج من الاشراك بالله من خلال منهاج على وهدى على بحيث تتوجه إلى الله بعد التكبيره وتقول: (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهاده، الرحمن الرحيم على مله إبراهيم، ودين محمد (ص) ، وولايه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حينئذ مسلماً، وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (١)).

ص: ٨٦

النتيجة

إنّ الشهادة الأولى لا تتم إلا بشروطها كما قال الإمام الرضا عليه السلام وإنّ الشهادة الثالثة هي أحد أركان الشهادة الأولى وشروطها وبها يهتدى العبد المسلم كما في سورة طه قال تعالى: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» (١) وهذه الهداية التي تشير إليها سورة الحمد هي الهداية التي ترشدنا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم بالطهاره وبنعمه خاصه دون بقية البشر المنزهين عن الرجس والمعصومين في القول والعمل وأن من تمام الأعمال والعبادات هو التوجه والتولى إلى هداية أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام والموده لهم.

وهذا هو المراد من قول الباقر عليه السلام لسدير وهو مستقبل البيت: (يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» - ثم أوماً بيده إلى صدره - إلى ولايتنا. ثم قال: يا سدير فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا- هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) (٢).

فالبرهان الخامس الذي يشير إليه الإمام الباقر مفاده: إن معنى التوحيد في العبادة في مقابل الوثنية هو الإقرار والتولى بولايتهم وبالتالي تكون الزيارة مصداق بيان التولى بولايتهم عليهم السلام زيارتهم والهوى إليهم ولقائهم في حاله معرفه لقائهم، فزياره قبورهم عليهم السلام هو نوع من تجديد العهد بهم وتوثيق العهد وإظهار المحبه إليهم.

فزياره قبورهم والولاية لهم هي من تمام العبادات وهي من شرائط الحج واستقبال الكعبه وأن مشاهد قبر النبي وقبور عترته هو ركن من معالم الدين وقبول الأعمال والعبادات

١- طه: ٨٢.

٢- أصول الكافي، ج ١، باب الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم.

ص: ٨٧

ومن يحارب هذا الركن يريد إرجاع الناس إلى عبادات قريش الوثنية وعزل الأوامر الإلهية عن بعضها البعض وممارسه طقوس وعبادات الجاهلية.

البرهان السادس

قال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (١).

فهذه الآية المباركة تبين الغاية من الحج وغايه مجموع العبادات وأن إبراهيم عليه السلام هو المتكلم الأول والناطق الرسمي عن الله عز وجل في الندبه إلى الحج، فهو يأمر الناس بحج بيت الله الحرام (وَأَذِّنْ) يعنى أعلن أذان الإعلام وأمر الناس بالحج كما نصت على ذلك روايات الفريقين.

ثم إن التعبير الآخر في الآية المباركة بعد الأذان في الناس بالحج «يَأْتُوكَ رِجَالًا» فالمجىء ليس إلى البيت ولا إلى الله عز وجل مباشرة وإلا عبر البارى تعالى بـ(يأتونى) بل المجىء أولاً إلى إبراهيم عليه السلام.

فالإتيان إلى الحج تلبيه وإجابه للنداء الإلهى إنما يتم بالوفاده على ولى الله، ويكون الحج الذى هو قصد إلى الله تعالى بواسطة الإتيان إلى إبراهيم عليه السلام، الذى هو وجيه عند الله تعالى، يتوجه إليه ويقصد لإقامه الصلاة والطواف وسائر مناسك الحج العباديه، فلا بد من الوفود على إبراهيم عليه السلام ومحبه وهوى الأفتده إليه.

وهذه الآية المباركة تتوافق فى المضمون مع ما تقدم من قوله تعالى:

«رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِعَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» (٢) ،
فإبراهيم عليه السلام وذريته أسكنهم الله عز وجل البيت

١- الحج: ٢٦ و ٢٧.

٢- إبراهيم: ٣٧.

ص: ٨٨

الحرام وبوأهم فيه لإقامه الصلاة وتشيد الدين وتطهير البيت للطائفين والقائمين والركع السجود، والإيدان في الناس بالحج، ولكن لا قيمة للحج ولا- مقبوله عندالله عز وجل إلا بالمجىء إلى إبراهيم عليه السلام وذريته من ولد إسماعيل عليه السلام، وهوى القلوب والأفئدة إليهم ومحبتهم ومودتهم وتوليهم وإبراز الطاعة لهم وجعلهم واسطه فى القصد إلى الله تعالى.

فبؤى الله عز وجل لإبراهيم البيت، وإسكان إبراهيم ذريته فيه من أجل الوفود عليهم ومودتهم، هو الذى جعل من البيت الحرام مكاناً ومقصداً لإقامه العباده فيه، والأحجار بما هى أحجار لولا ذلك تكون وثناً يعبد من دون الله عز وجل، كما كان الحج فى الجاهليه.

ولذا ورد أن من المستحبات عند الدخول إلى البيت الحرام إلقاء التحية والسلام على سيد الأنبياء محمد (ص) ثم السلام على النبي إبراهيم عليه السلام فكأن الحاج وافد عليهما وزائرلهما (١).

فعن أبى عبدالله عليه السلام قال: «وقل وأنت على باب المسجد: السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والسلام على رسول الله (ص)، والسلام على إبراهيم عليه السلام والحمد لله رب العالمين» (٢).

فالمجىء إلى النبي الأكرم (ص) ثم إلى إبراهيم عليه السلام مجىء وإتيان وقصد إلى الله عز وجل، وكذا أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم الذريه والأمه المسلمه الذين دعا إبراهيم والنبي الأكرم إلى مودتهم ومحبتهم.

و الوفاده إلى أهل البيت التى تتحقق بالمجىء وزيارتهم هو وفاده إلى الله عز وجل كما روى فى تهذيب الأحكام عندما سأل زيد الشحام الإمام الصادق عليه السلام: «ما لمن زار رسول الله (ص)؟ قال: كمن زار الله فوق عرشه» (٣).

١- الوسيله ابن حمزه: ص ١٧٢.

٢- المقنع، الشيخ صدوق، ص ٢٥٥، آداب دخول مسجد الحرام.

٣- وفى التهذيب: قال الشيخ (ره) معنى قول الصادق عليه السلام: من زار رسول الله (ص) كان كمن زار الله فوق عرشه، هو أن لزائره (ص) من المثوبه والأجر العظيم والتبجيل فى يوم القيامة، كمن رفعه الله إلى سمائه، وأدناه من عرشه الذى تحمله الملائكه، وأراه من خاصه ملائكته ما يكون به توكيد كرامته، وليس على ما تظنه العامه من مقتضى التشبيه، ج ٦، ص ٤.

وهذه الخصوصية كذلك في أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين كما هو في كامل الزيارات: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زار قبر الحسين بن عليٍّ عليهما السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه» (١).

وهذه الأماكن تقصد لإقامه العبادة وتقام فيها الشعائر وإلا- الأحجار بما هي أحجار والطواف حولها من دون ولي الله والأصفياء المصطفون هي عبادة خاوية وثنيه في منطق القرآن لا كما تدعى هذه الشذمه، إذن الأنبياء والأوصياء هم أبواب الله التي يتجه إليه بها، ولولا ذلك لا يكون الحج حجاً إبراهيمياً بل حج الجاهليه.

مقام إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٢).

والتعبير ب- (مقام) في الآية الكريمة للدلالة على التفضيم والتعظيم لذلك المكان وهو حجر من الأحجار كما في قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» (٣) وقوله تعالى: «عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» (٤)، وليس ذلك إلا- لكونه لامس بدن إبراهيم عليه السلام، حيث كان يقف عليه عند بناءه للبيت الشريف فتقدس بذلك وأصبح ذا حرمة يتولد منها وجوب اتخاذه مصلى، فهذا الحجر عظمه الله تعالى وفخمه وسماه مقاماً، وأمرنا أن نتخذه مصلى، أى نتخذه قبله بالاتجاه إليه وإلى الكعبة أثناء صلاة الطواف وغيرها في شعيره الحج والعمرة، التي هي القصد والتوجه إلى الله عز وجل، فالحاج عندما يريد أن يقصد ويتوجه إلى ربه بعمره أو حج في الطواف وفي بيت التوحيد ومعقله، لا بد له من التوجه بالحجج والوسائط والآيات إلى الله تعالى، وهو مقام إبراهيم والكعبة المشرفة.

١- كامل الزيارات، باب ٧١، ثواب من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؛ مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٢٩١.

٢- البقرة: ١٢٥.

٣- النازعات: ٤٠.

٤- الإسراء: ٧٩.

ص: ٩٠

وإذا كان الحجر بلامسته بدن إبراهيم عليه السلام اكتسب هذه المكانة، فكيف بك بنفس النبي إبراهيم؟ ألا يتوجه به إلى الله عز وجل بالأولوية، فيقال: يا وجهاً عند الله اشفع لنا عند الله؟

فالمثابه إلى بيت الله الحرام من دون اتخاذ مقام إبراهيم مصلى يكون عملاً وثنياً وشركاً كعمل المشركين ومناسكهم فلا بد من ضم رمزاً آخر بالإضافة إلى رمزيه الكعبة، وهو التوجه بالحجج والوسائط والآيات إلى الله عز وجل.

بيان آخر للآية الكريمة

ثبت في علم الأصول أن الحكم معلول لموضوع نفسه ولا يمكن أن يكون عله له، ففرض الموضوع سابق ومتقدم على فرض الحكم، والحكم في قوله تعالى: «وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (١) هو وجوب اتخاذ المقام مصلى، والموضوع هو مقام إبراهيم عليه السلام، ومتعلق الحكم هو استقبال مقام إبراهيم عليه السلام في الصلاة.

وحيث أن الموضوع سابق على الحكم سبق العله على معلولها، فلا بد من فرض المفروغيه عن جعل سابق لتحقيق الموضوع في نفسه، وهو كون مقام إبراهيم عليه السلام محل للقربات والتعبد والبركة والقداسه، وحيث وبعد الفراغ عن ذلك يأتي المحمول، وهو وجوب اتخاذه مصلى باستقباله في الصلاة إلى جهه الكعبة.

فالحكم دال على أن للموضوع أسبقيه في القداسه وكونه معلماً من معالم الدين، ومن ذلك يتضح أن البيت الحرام إنما يجب أن يقصد بشرط، وهو أن تُقرن العباده التوحيديه للحج بولى الله إبراهيم عليه السلام وأن المقامات المقدسه والمشاعر المشرفه إنما تقصد للوصول إلى آثار الأنبياء ومقاماتهم؛ لكونها مواطن شعرها الله عز وجل وجعلها أسباباً ووسائط لنيل القربى والزلقى إليه تعالى.

وإذا كانت صخره لامست قدمى إبراهيم عليه السلام لها تلك القداسه والعظمه والبركه، فكيف بمشاهد النبي الأعظم (ص) وأهل بيته عليهم السلام الذين هم أفضل وأعظم من إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام، حيث نص القرآن على كون على عليه السلام بمنزله نفس النبي (ص)، وهذا مقام لم يحظ به

أحد من الأنبياء والمرسلين، وكذلك قرنهم الله تعالى بنبيه في مواطن عديده، واختصهم دون بقية الأنبياء والمرسلين.

إذن هذه الآيه المباركه تفيد عموم التبرك بمواضع الأنبياء والأولياء وأنه من صميم التوحيد وأن نبذه من صميم الوثنيه والجاهليه.

وليس ذلك إلا- لكونها من شعائر الله، فيجب تعظيمها تعظيماً لله تعالى، فهذه الآيه الكريمة داله بالنص على تشعير مواطن الأنبياء والمصطفين للقربى والعباده.

ثم إنه لا- يخفى ما في التعبير ب- (المقام) في الآيه المباركه من الدلاله على ما تقدم؛ لأن التعبير ب- (مقام) له دلالة شرعيه أديانيه بكون ذلك المكان محلاً يتبرك به.

وهكذا إضافه المقام إلى إبراهيم مُشعر بالعليه، فليس ذلك الحكم حكماً لكل حجر، بل الحجر المنتسب إلى إبراهيم عليه السلام.

بل قد حكى القرطبي في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وعكرمه وعطاء أن مقام إبراهيم الحج كله، وعن عطاء أنه عرفه ومزدلفه والجمار وقال الشعبي النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقاله مجاهد (١).

فعلى هذه الأقوال في تفسير مقام إبراهيم يتضح جلياً أن الحج والحرم كله قد مُلأ ببصمات وإضافات منتسبه إلى النبي إبراهيم عليه السلام وأنه لأجل ذلك استأهلت تلك الأماكن أن تكون مواطن لعباده الله، وأن الحج جعل عباده توحيديه عظيمه بوسيله التوجه بالأنبياء إلى الله تعالى في الأعمال والنسك التي يؤتى بها، حيث أضيفت إليهم عليهم السلام، فلا يستطيع المسلم أن يتجنب أو يستبعد آيات الله وحججه في إبراز معالم التوحيد.

التبرك بمواضع الأنبياء

وبذلك نستفيد من هذه القاعده الأديانيه الشريفه التي نحن فيها قاعده أخرى ذات الصله بالبحث وهي قاعده التبرك بمواضع الأنبياء التي لها أدلتها الخاصه بها.

١- تفسير القرطبي، تفسير قوله: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ»، ج ٢، ص ١١٣.

ص: ٩٢

ونستعرض في هذا البحث عدة نماذج تتعلق بمواضع الأنبياء، وأن هذه المواضع تيركت وتقديست ببركه ملامستها لمواضع أبدانهم الشريفه وأنهم الوسيله لقضاء الحوائج عند البارى تعالى.

النموذج الأول

قال تعالى: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (١) وهذا يعنى أن عيسى عليه السلام جعله الله عزوجل مصدر البركه والتبرك أين ما حل؛ ولذا كان ببركته يبرئ الأكمه والأبرص ويحى الموتى بإذن الله تعالى، فهو وجيه وواسطه فى قضاء الحوائج فى كل مكان حل فيه، فما بالك بخاتم الأنبياء (ص) وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ومن يصلى عيسى خلفه عند نزوله ويكون وزيراً له؟

النموذج الثانى: تعظيم الصحابه للنبي (ص)

عندما رجع عروه بن مسعود إلى قريش من عند النبي (ص) فى صلح الحديبيه وقد رأى ما يصنع به أصحابه قال الزهرى:

«إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَزُمُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ (ص) بِعَيْنَيْهِ. قَالَ قَالَ اللَّهُ مَا تَنْخَمُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَيْ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلِكًا قَطُّ، يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (ص) مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنْخَمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ» (٢).

كما ذكر فى سيره لابن هشام بأنه رأى ما يصنع الصحابه بالرسول الأعظم (ص) وبأنه

١- مريم: ٣١.

٢- صحيح البخارى، ج ٣، ص ١٨٠، باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه (١).

وهذا في كتب الصحاح بأن الصحابه كانوا يأخذون من الماء الذي توضع به النبي (ص) ويتبركون حتى بنخامته وهذا هو إقرار بأن النبي (ص) وهو أعظم المخلوقات يتبرك به وجعله وسيله لقضاء الحوائج وواسطه إلى الله عز وجل.

فالآيه السابقه فى سورة مريم تتناغم مع سورة البقره فى قوله تعالى «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» (٢).

النموذج الثالث: السامرى والعجل

قصه السامرى صاحب العجل، التى وردت فى قوله تعالى فى بنى إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السلام إلى ربه: «قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ» (٣) إلى أن قال الله عز وجل حكاية عن لسان موسى عليه السلام «قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» (٤).

والرسول فى الآيه الكريمة كما فى بعض الروايات هو جبرائيل عليه السلام، عندما هبط وتمثل على حصان ليستنقذ موسى عليه السلام وبنى إسرائيل من فرعون وجنوده ويرشدهم إلى الطريق، من أجل العبور من مصر إلى الطرف الآخر، فكان على حصان نورى تمثلى، وكان السامرى من خواص النبي موسى عليه السلام، فلاحظ أن حافر حصان جبرائيل عليه السلام عندما كان يخطو الحصان ينبت الزرع دفعه واحده من تحته، فقبض قبضه من أثر حصان الرسول فنبت لها فى العجل فإذا هو له خوار.

١- السيره لابن هشام، ص ٥٠٢، أمر الحديدية.

٢- البقره: ١٢٥.

٣- طه: ٨٧ و٨٨.

٤- طه: ٩٥ و٩٦.

وقد وردت هذه القصة في روايات الفريقين

ففي تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (وكان السامري على مقدمه موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرائيل وكان على حيوان في صورته رمكه (١) فكانت كلما وضعت حافرهما على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من تحت حافر رمكه جبرائيل وكان يتحرك، فصره في صره، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل، فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري هات التراب الذي معك، فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل، فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار) (٢).

وفي جامع الطبري قال: (وقوله: «فَقَبِضْتُ قَبْضَهُ مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ»، يقول: قبضت قبضه من أثر حافر فرس جبرائيل) ثم أخرج عن ابن عباس قوله: (لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسرت، ورأى السامري أثر فرس جبرئيل عليه السلام، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها، وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان للبلاء والفتنة) وفي حديث آخر عنه أيضاً: (فألقي القبضه على حليهم فصار عجلاً جسداً له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى).

وأخرج أيضاً عن مجاهد في قول الله تعالى: «فَقَبِضْتُ قَبْضَهُ مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا» قال: من تحت حافر فرس جبرائيل، نبذه السامري على حليه بنو إسرائيل، فانسبك عجلاً جسداً له خوار (٣).

فإذا كان أثر التراب الذي لامس حافر فرس جبرئيل عليه السلام له ذلك التأثير مع أن السامري استخدمه في طريق الضلاله والغوايه فما بالك بمن هو أشرف من جبرئيل عليه السلام؟ ألا تكون المواضع التي وقف فيها الرسول الأكرم (ص) وقبره والمواطن التي لامست بدنه

١- الرمكه: الأنتى من الخيل.

٢- تفسير القمي، ج ٢، ص ٦٢.

٣- جامع البيان، الطبري، ج ١٦، صص ٢٥٤ و ٢٥٥، تأويل قوله تعالى: «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ».

الشريف ذات برّكه وتأثير خارق لما هو المعتاد، لاسيما إذا كان في طريق الهدايه والانصياع للأوامر الإلهيه؟

بيان آخر بأن أهل البيت والأنبياء والأوصياء هم معدن الطهاره والبركه والقداسه

١- آيه التطهير

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١) في هذه الآيه القرآنيه أراد الله أن يبين للعباد بأن أهل البيت هم معدن الطهاره والقداسه وهذه الإراده هي إرادته تكوينيه لا تشريعيه فلذلك عبر البارى تعالى ب- «يُرِيدُ اللَّهُ» وخاصه بوجود كلمه (إنما) الداله على الحصر والتأكيد لا على العموم التشريعي لكل الناس، وهذه الإراده نوع من الإمداد الإلهي الذي به اكتسب أهل البيت عليهم السلام القداسه والبركه حيث طهرهم الله من الرجس الظاهري والباطني بدلاله (ألف لام الجنس) الذي يشمل جميع المعاصي والذنوب وكذلك القذاره الظاهريه كالخمر والقمار والنجاسه، وهذه القداسه والطهاره هي هبه من عندالله البارى تعالى شأنه لما وجد أهليتهم لذلك وعلم بمستقبل طاعتهم، ولذلك فهي من الجزاء المتقدم على العمل اللاحق، وبذلك تكون مواضعهم الشريفه مقدسه ومباركه، وأن أهل البيت هم الحجج والوسيله التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى.

٢- مريم بنت عمران عليها السلام

قال الله تعالى «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» (٢) ففي كلمات جمله من المفسرين بأن الله اصطفى مريم بنت عمران مرتين:

الأولى: بمعنى الاختيار والثاني: حملت من غير فحل (٣)، وطهرها من الدنس والرذيله،

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- آل عمران: ٤٢.

٣- تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٣٦. تفسير قوله: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ» .

ص: ٩٦

جواباً على التهمة التي نُسبت إليها من علماء بنى إسرائيل وأنها طاهره مطهره طيبه قدسيه، وهذا عين مفاد الآيه السابقه من سوره الأحزاب «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» والتقدير هنا بمعنى مباركتهم وطهارتهم (١) وهذه المنزله العظيمة لا ينالها إلا الأنبياء والأوصياء بإرادته الله سبحانه وتعالى.

٣- يوسف عليه السلام

قال تعالى: «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * لَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٢) هذه الآيه تشير إلى قصه يوسف عليه السلام وما له من منزله عظيمه عند الله سبحانه وتعالى، حيث أمر إخوته أن يلقوا قميصه على وجه أبيه ليرتد بصيراً بركة ذلك القميص، وذلك في قوله تعالى: «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً» فالمشافي في هذه الآيات المباركه نبى كبير من الأنبياء، وهو يعقوب عليه السلام، والشفاء حصل بتوسط قميص لابس بدن يوسف عليه السلام، وهو نوع من التوسيط والتبرك في إفاضه الشفاء من الله عزوجل، فإن الشفاء حقيقه من الله تعالى والفيض كله منه تعالى؛ لأنه الخالق الحقيقي لكل الممكنات بما فيها الشفاء والاستشفاء، كما في قول إبراهيم عليه السلام: «وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» (٣) ثم إنه ليس في المورد وهو القميص خصوصيه، بل ذلك شامل لكل ما له نسبه وإضافه إلى نبى من الأنبياء أو وصى من الأوصياء بما يوجب حصول البركه فيه، وذلك لأن الفعل يحمل في طياته الطبيعه العامه والسنة الإلهيه الشامله، ولذا قال الله عز وجل في نفس سوره يوسف: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَائِلِينَ» (٤)، وقال تعالى أيضاً في السوره ذاتها:

١- بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٢٥٩.

٢- يوسف: ٩٣-٩٦.

٣- الشعراء: ٨٠.

٤- يوسف: ٧.

«لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى» (١).

إذن إذا كان نبي من الأنبياء يتبرك ويتوسل بجاه نبي آخر من الأنبياء، وهو ابنه يوسف عليه السلام، وذلك ببركه قميصه بجعله واسطه فيض في الشفاء، فكيف ببدن يوسف عليه السلام، فهذا تكون آثارهم مقدسه بشهادته القرآن الكريم فكيف ببدن وآثار خاتم الأنبياء والرسل.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا - أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» (٢) وكذلك هذه الآية التي تؤكد طهاره الأوصياء والأنبياء من الدنس والمعاصي، فذكر الله تعالى شأنه في الآية الكريمة بأن يوسف عليه السلام من «الْمُخْلَصِينَ» فصرف السوء والفحشاء عنه، كما ذكر الباري تعالى بقوله «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ»، أي نمنع عنه السوء والفحشاء، ولم يقل نصرفه عن السوء والفحشاء، أي نبعد السوء عن أن يقترب إليه، وليس إبعاد يوسف عن أن يقترب إلى السوء والفحشاء؛ إذ لم يكن من قبل النبي يوسف إقبال على الفحشاء والسوء كي يُبعد عنه، بل الفحشاء في فعل زليخا حيث أرادت أن تقبل على يوسف فصرفت عنه، وهذا في قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» على أن يوسف عليه السلام لم يهم بها، بل هي همت به كما هو في جواب الرضا عليه السلام على سؤال المأمون عن عصمه الأنبياء، فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا - أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام انه قال: همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن (٣) فكان يوسف عليه السلام طاهر مطهر من الأرجاس لا يدنسه شيء لا كما يدعى البعض بأنه هم بها وكاد أن يرتكب الفاحشه والعياذ بالله.

البقعه المباركه

قال تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ»

١- يوسف: ١١١.

٢- يوسف: ٢٤.

٣- عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٧٩.

«نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» (١).

وقال تعالى: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» (٢) وكذا قال تعالى: «وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» (٣).

وقوله عز وجل: «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (٤).

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» المقدَّس: المطهر، والقدس: الطهارة، والأرض المقدسه أى المطهره، إلى أن قال: وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زياده فضل على بعض، كما قد جعل لبعض الأزمان زياده فضل على بعض (٥).

وقال صاحب الميزان في تفسيره للوادي المقدس: «بأن أصل الوادي الموضع الذي يسيل منه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين واديا وجمعه أوديه» .

وبأن المراد من الأيمن مقابل الأيسر وهو صفة الشاطئ والبقعه المباركه قطعته خاصه من الشاطئ الأيمن فى الوادى كانت فيه الشجره التى نودى منها (٦).

كما قال تعالى: «وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» (٧).

والمقصود بالطور كما جاء من طرق أهل السنه بأنه الجبل الذى كلم الله عزوجل فيه

١- طه: ٩ - ١٢.

٢- النازعات: ١٥ و ١٦.

٣- مريم ٥١ و ٥٢.

٤- القصص: ٢٩ و ٣٠.

٥- تفسير القرطبي، ج ١١، ص ١٧٥. تفسير قوله تعالى: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» .

٦- تفسير الميزان، ج ١٦، ص ٣٢.

٧- مريم: ٥١ و ٥٢.

ص: ٩٩

موسى عليه السلام (١)، ولا- تنافى فى ذلك إذ لا يأبى الانطباق على الوادى المقدس بين جبل طور والكوفه، كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

وقد ورد فى الحديث أن محل قبر أمير المؤمنين عليه السلام أول طور سيناء، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان فى وصيه أمير المؤمنين عليه السلام، أن أخرجونى إلى الظهر [أى ظهر الكوفه] فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفونى وهو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك» (٢).

وهذا التقديس والتبرك لهذا الوادى لأن البارى تعالى كلم موسى عليه السلام فيه وأمره بأن يخلع نعليه لكى يطأ الأرض حافياً تعظيماً لهذه البقعه المباركه التى نزل فيها الوحي إنما هو لكونه حظيره لقرب وموطن الحضور والمناجاه.

والحاصل: إن القرآن الكريم يؤكد بأن هنالك بقاع وأماكن مقدسه مباركه لا بد أن تُقدّس وتُعظّم وهذا جعل إلهى، ينزل فيها الوحي من السماء ويُتقرب إلى الله عز وجل ويزداد الأجر والثواب بالعباده فى هذه الأماكن دون سواها لا كما يدعى البعض بأن هذا التعظيم والتبرك شركٌ وكفر بالله عز وجل.

فقوله تعالى: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» تشعيرٌ من الله عز وجل وجعلٌ بأن هذه المقامات مقدسه ووقفٌ خاص وتسبيل دينى من الله عز وجل وأنها أحب المواضع التى يريد الله أن يُعبّد فيها كالسعى بين الصفا والمروه والوقوف بعرفات وإنها حقاً لله عز وجل.

كما هو المشهور عند فقهاء الإماميه (قدس الله أنفسهم): بأنه يشترط فى صحه إحياء الأرض الميتة أن لا تكون الأرض المقصوده من الأراضى التى جعلت فى دين الإسلام مشعراً من مشاعر العباده للمسلمين مثل أرض عرفات والمزدلفه ومنى فلا يصح إحياء الأرض من هذه الأوديه إذا كانت ميته.

هكذا أفادوا، وفى صحه هذا الاشتراط إشكال، بل الظاهر منع ذلك، فإن عظمه شأن هذه المواقع فى دين الإسلام وجعلها فيه حقاً مقدساً لله سبحانه وحقاً ثابتاً معظماً لعموم

١- زاد الميسر، ابن الجوزى، ج ٨، ص ٢٧٥.

٢- تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٤.

ص: ١٠٠

المسلمين، لأداء مناسكهم في مر الأزمان و العصور قد أبعد هذه الأمكنه أشد البعد وأعلى مقامها أعظم العلو والارتفاع عن اعتبارها أرضاً مواتاً أو مباحه كسائر الأرضين فُتَحَجَّرَ أو تُحَاز ويملكها الأفراد أو تجرى عليها الاعترارات المتعارفه في المعاملات بين الناس (١).

أهل البيت عليهم السلام أنوارٌ إلهيه

قال تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِضَةٌ بِأَخٍ فِي زُجَاجِهِ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» (٢).

القرآن الكريم يشير في هذه الآيات القرآنيه بأن هناك بيوت مقدسه مباركه أذن الله أن ترفع وتعظم ويذكر فيها اسمه، وفي تلك البيوت يسبح لله عز وجل وتقبل العباده فيها ويسمع الذكر، وتحت قبتها يرفع الدعاء وتفتح أبواب السماء وتحصل القربه إلى الله تعالى، فهى بيوت مباركه ومقدسه جعلها الله تبارك وتعالى وسيله وواسطه ومحلاً لقبول العباده والذكر والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، وهذه البيوت هى بيوت خاصه تحيطها وتصدر عنها القداسه.

والشاهد على ذلك أن الجار والمجرور فى قوله تعالى: «فى بُيُوتٍ» متعلق بذلك النور الذى ضربه الله عز وجل مثلاً للناس، فالنور فى بيوت أذن الله أن ترفع، وقد ذكرت الآيه المباركه أن هذا النور نور السماوات والأرض، أى محيط بهما ومهيمن عليهما وأشرف منهما فى الخلقه والرتبه الوجوديه.

ثم إن ذلك النور مخلوق من مخلوقات الله تعالى، أضيف إليه عز وجل فى الآيه إضافه

١- كلمه التقوى، ج ٥، ص ١٥٩.

٢- النور: ٣٥ - ٣٧.

ص: ١٠١

الفعل إلى فاعله، وهو عبارته عن أنوار خمسه شامخه، ضرب الله تعالى لكل واحد منها تشبيهاً و مثلاً حسياً لتقريب الفكره وتنزيل الحقيقه إلى صورته يفهمها البشر، وليس هذا النور عين الذات الإلهيه، لأنها آحاديه المعنى لا تعدد ولا تكثّر فيها، و النور المذكور فى الآيه المباركه متعدّد ومتشعب إلى خمسه أنوار، مستقل بعضها عن البعض الآخر.

والأنوار الخمسه التى ضربت مثلاً هى:

أولاً: المشكاه.

ثانياً: المصباح.

ثالثاً: الزجاجه.

رابعاً: الكوكب الدرى.

خامساً: الشجره المباركه.

ثم تقول الآيه الكريمه بعد ذلك: «نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» وفى اللغه العرييه يقول علماء البلاغه كل تشبيه جمله مستقلة برأسها، وتفيد معنىً ومغزىً مستقلاً، فالآيه بصدد التعرض إلى خلقه النور، وأن أحد مراحل الخلقه الإلهيه هى المخلوقات النوريه، وهى أنوار خمسه، تعظم فى الخلقه على الملائكه والروح والجن والإنس ومطلق الموجودات الأخرى، وهى أنوار مشتقّ بعضها من بعض، ومرتبطة بعضها بالبعض الآخر كما هو ظاهر الآيه المباركه.

وهذه الأنوار المباركه المحيطة بالسموات والأرض، هى الأسماء والكلمات التى لم تعلم بها الملائكه، مع أن الملائكه ملأت أركان السموات والأرض؛ لأنها هى التى تدبرها وتدير شؤونها، وهذه الأنوار الخمسه هى الأسماء المشار إليها فى تعليم آدم الأسماء وعرض الله تعالى لها على الملائكه، فلم يعلموا بها، فأنبأهم آدم بها، إذ قد وصفها الله بأنها غيب السموات والأرض (١)، وكما ورد هذا المعنى فى روايات الفريقين (٢).

١- البقره: ٣١-٣٣.

٢- بصائر الدرجات، ص ٨٩؛ المعجم الأوسط، الطبرانى، ج ٤، ص ٤٤.

ص: ١٠٢

ولو كانت تلك الأسماء من عالم السماء والأرض لعلمت بها الملائكة، ومن ذلك يعلم أن الأسماء التي علمها الله عزوجل آدم وجهلتها الملائكة، كانت مخلوقات محيطة بعالم السماوات والأرض وينطبق هذا المعنى مع الأنوار الخمسة في سورة النور.

وهذا نوع من أنواع التشاهد بين الآيات القرآنية، فالأنوار الخمسة المذكورة في سورة النور هي الأسماء التي خفيت عن الملائكة وعلمها الله تعالى آدم، وهي كما سيأتي موجودات حيه عاقله شاعره من عالم النور، كما عبر عنها في سورة البقره بضمير (هم) واسم الاشارة (هؤلاء) وهما لفظتان لا تستعملان في الذوات الجامده، بل في الذوات الحيه الشاعره العاقله.

ويتحصّل من ذلك وجود مخلوقات خمسه نوريه محيطة بالسماوات والأرض، أفضل من الملائكة ولا تحيط الملائكة بها علماً، بل إن الله تعالى شرّف آدم على جميع مخلوقاته، بما فيهم المقربين من كبار الملائكة، كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل بفضل تلك الأنوار، وبفضلها أيضاً استحق مقام الخلافة الإلهيه، و سجد له الملائكة كلهم أجمعون.

ومن ذلك يتضح أن هذه الأنوار الخمسه هي باطن (غيب) وملكوت السماوات والأرض؛ لأن نور كل شيء بمنزله الروح له، ومن دونه يكون ظلامياً، والنور في المقام ليس هو النور الحسى الذى يظهر الصفات العارضه على الشيء، بل هو نور الخلقه الذى يوجد الشيء ويكوّنه ويظهره من كتم العدم إلى الوجود، فنور السماوات والأرض أى ملكوتها وباطنهما ومظهرهما من ظلمه العدم إلى نور الوجود، وهو اسم الله الأعظم الذى هو غير المسمى، يفوق فى قدره والعظمه كافة المخلوقات فى السماوات والأرض.

وسيأتي أن تلك الأنوار الخمسه المباركه - وهي الأسماء التي علمها الله تعالى آدم وتاب بفضلها عليه من خطيئته، وابتلى بها إبراهيم لنيل مقام الإمامه - هم خمسه أصحاب الكساء وأهل آيه المباله، محمد (ص) وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام، فهم أهل البيت، وهم النور الإلهي الذى حل فى بيوت أذن الله أن ترفع، لتكون محلاً للذكر والتسبيح والعباده والتوجه إلى الله عز وجل وتشيد معالم الدين.

ولذا أخرج السيوطى فى الدر المنثور عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريده، قال قرأ

ص: ١٠٣

رسول الله (ص) هذه الآية «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ» فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهم السلام، قال: «نعم من أفاضلها» (١).

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ» قال: «هي بيوت النبي (ص)» (٢).
كذلك عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، في قوله «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» قال: «هي بيوت الأنبياء وبيت علي منها» (٣).

وقد أخرج الحاكم في المستدرک (٤) أن من الكلمات التي تاب الله بها على آدم، وهي الأسماء التي شُرف آدم بها على الملائكة كخليفه، لأن الكلمات أعظم مقاماً من آدم؛ إذ بها تاب الله عليه، أن من أعظم تلك الكلمات والأسماء هو خاتم النبيين (ص)، وأنه لولاه لما خلق آدم ولا الجنة ولا النار (٥).

وينص هذان الحدیثان النبویان علی أن أول الأنور الخمسة والأسماء التي تعلمها آدم وتوسل بها هو خاتم النبيين (ص).

هذا بالنسبة إلى الأنوار الخمسة المباركة.

الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام في آية النور

وأما قوله تعالى: «نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» فهو إشاره إلى استمرار وديمومه قانون الإمامه والخلافه الإلهيه بعد تلك الأنوار الخمسة إلى يوم القيامة، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء و (على) أي على إثر وعقب لغه في أحد المعاني المستعمله في لفظ (على)

١- الدر المنثور، ج ٥، ص ٥٠.

٢- الكافي، ج ٨، ص ٣٣١.

٣- تفسير القمي، ج ٢، ص ١٠٣.

٤- المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج ٢، ص ٦١٥.

٥- المصدر نفسه، استغفار آدم عليه السلام بحق محمد (ص).

ص: ١٠٤

بالتضمنين لمعنى الإثر.

والشاهد على ذلك ما تقدم من أن الهداية هي الإيصال إلى المطلوب، وقد جاء ذكر الهدايه تفسيراً وبياناً لمقام الإمامه والولاية، كما فى قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»، فالتعبير بالهدايه فى الآيه المباركه يراد منه الإمامه وهو مقتضى معنى النور أيضاً؛ إذ هو الهادى إلى صراط الله تعالى.

ولذا ورد عن الإمام محمد بن على بن الحسين عليه السلام فى قوله تعالى «نُورٌ عَلَى نُورٍ» قال «يعنى إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمه فى إثر إمام من آل محمد عليهم السلام، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعه» (١).

وعن الفضيل بن يسار عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام، قال: قلت: «نُورٌ عَلَى نُورٍ»؟ قال: «الإمام فى إثر الإمام عليه السلام» (٢).

وورد أيضاً عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام فى قوله تعالى: «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» قال: «يهدى الله لولايتنا من أحب» (٣) وفى روايه لولايتنا من يشاء.

بيان آخر للآيه المباركه

هناك بيان آخر للآيه الكريمه التى نحن بصدد الاستدلال بها، أدق وأعمق وأدل على المطلوب من البيان الأول، وهو:

بعد أن تبين أن قوله تعالى: «فى نُيُوتٍ» متعلق بالنور، وأن النور فى بيوت أذن الله أن ترفع، نقول: إن الآيه الثالثه التى ذكرناها فى المقام، وهى قوله تعالى: «رِجَالٌ لَمَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَمَّا بَيَّعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» (٤) هذه الجملة من المبتدأ والخبر كلها بدل من قوله تعالى ذكره «فى نُيُوتٍ»، أى أنها فى محل جر

١- توحيد، الصدوق، ص ١٥٨، بيانه فى قوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

٢- المصدر نفسه، ص ١٥٧.

٣- مناقب ابن المغازلى، ص ٣١٦؛ بحار الأنوار، ج ٤، باب الثالث تأويل آيه النور، وفيه سبعة أحاديث.

٤- النور: ٣٧.

ص: ١٠٥

بدل من البيوت.

ويكون المعنى على ذلك «أن البيوت رجال لا تلهيهم تجارته، وليست هي بيوت حجاره ولا طين» .

والشواهد على ذلك من نفس الآيات المباركة كثيرة نشير إلى بعضها:

أ - قوله تعالى: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ» ليس فاعلاً - لقوله عز وجل «يُسَبِّحُ» وذلك طبقاً لقراءة أهل البيت عليهم السلام، حيث أن قراءتهم لكلمه (يسبح) بفتح الباء مبنياً للمجهول، وبناءً على هذا لا تكون كلمه «رِجَالٌ» فاعلاً ل- «يُسَبِّحُ» وإنما تكون مبتدأً والجمله التي بعدها خير، والجمله بتمامها عطف بدل على بيوت، فالبيوت هي رجال لا تلهيهم تجارته ولا بيع، وإلى ذلك يشير قول الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام إلى قتاده البصرى فقيه أهل البصره عندما سأله قائلاً:

(أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدامك؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ويحك أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي «فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصِيَالِ * رِجَالٌ لِمَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَمَّا بَيَّعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ». فأنت ثم ونحن أولئك»، فقال له قتاده: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجاره ولا طين» (١).

وكذلك ما ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، حيث قال: «إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ من غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعه ولى أمره بطاعه رسوله (ص) وطاعه رسوله بطاعته، فمن ترك طاعه ولاه الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الاقرار بما نزل من عند الله عز وجل أخذوا زيتكم عند كل مسجدٍ والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم «رِجَالٌ لِمَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَمَّا بَيَّعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» (٢).

١- الكافي، ج ٦، ص ٢٥٦.

٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨١.

ص: ١٠٦

فاليوت البشريه التي أذن الله أن ترفع وتعظم ويذكر الله عندها كما أمر بالاستغفار وهو ذكر الله عند المجيء إلى النبي (ص) «جَأْوُوكَ فَاسْتَعْفِرُوا اللَّهَ»، «تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» فهذه البيوت البشريه هي مساجد عظيمه لله تعالى ومواطن يذكر الله تعالى عندها ويستغفر ل- «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» والزينة تكون الإيمان والإقرار بما افترض الله تعالى من طاعتهم وولايتهم.

ثم إن تلك القراءة بفتح الباء في (يسبح) قرأ بها أيضاً ابن عامر وأبو بكر وابن شاهي عن حفص (١) «إذن يتحصل أن النور في بيوت هي رجال منعوتون بالعصمه وهي «لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ».

ولا شك بأن الرجال الذين اختصهم الله عز وجل بنوره هم أهل البيت عليهم السلام، وهم البيوت التي أذن الله أن ترفع وتعظم ويتوسل بها إلى الله عز وجل، ويذكر في حضرته اسمها، ويسبح له بالعدو والآصال.

ولا يتبادر إلى الذهن أن من أهل البيت فاطمه عليها السلام، فكيف تكون من الرجال المقصودين في الآية المباركة؟

فإن الجواب: عن ذلك واضح؛ لأن كلمة الرجل والرجال في الآية المباركة بمعونه القرائن والشواهد التي احتفت بها يراد منها الشخصيه العظيمه، الثابته الأقدام في المقامات الشامخه، فيراد من الرجال في الآية المباركة تلك الشخصيات التي تسنمت بأرجل قدره المقامات العاليه والدرجات الرفيعه في مجال العصمه والتقوى، وقد جاء التعبير القرآني بالرجل عن الأعم من الذكر في آيات عديده، كقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (٢)، فالمراد في هذه الآية الكريمة الإقدام بأرجل الإيمان إلى دعوه إبراهيم عليه السلام للحج أعم من كون القادم ذكراً أو أنثى، ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى: «صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (٣)

١- لاحظ التبيان، طوسی، ج ٧، ص ٤٣٩؛ زاد المسير، ابن الجوزي، ج ٥، ص ٣٦٤.

٢- الحج: ٢٧.

٣- الأحزاب: ٢٣.

ص: ١٠٧

فوصفهم بالرجولية هنا للثبات والاستقامه والصدق.

ولاشك أن هذا كله مع القرينه لا مطلقاً، والقرائن الداله على إرادته الأعم من الذكر والأنثى فى الآيه التى هى محل بحثنا كثيره جداً، منها ما ذكرناه سابقاً من القرائن الداله على أن المقصود بالرجال فى الآيه هم أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمه الزهراء عليها السلام.

خلقه أهل البيت عليهم السلام النوريه

ونختم الحديث فى هذه النقطة بذكر بعض الشواهد الداله على أن الله تعالى خلق أهل البيت أنواراً مضافاً إلى ما تقدم فى آيه النور:

الأول: قوله تعالى لرسوله الأكرم (ص): «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (١)؛ فهذه الآيه صريحه فى أن الله عز وجل أوحى إلى نبيه الأكرم (ص) نوراً وهو الروح من أمره، ولاشك أن الإيحاء الخفى إنما هو إلى ذات وحقيقه النسي الأكرم المباركه، فيتحد ذلك النور بشخص النبي (ص)؛ ولذا قالت الآيه المباركه أن من آثار ذلك النور «نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» ثم جعلت ذلك الأثر بعينه لخاتم الأنبياء (ص)، حيث قالت: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» وهذا صريح فى اتحاد الذات النبويه الطاهره مع ذلك النور فى الحقيقه والأثر.

وإذا كانت ذات النبي الأكرم نوراً يهدى إلى صراط مستقيم، فكذلك أهل بيته عليه السلام الذين هم نفس النبي (ص) بنص آيه المباهله وآيه التطهير، بل وبنص هذه الآيه المباركه نفسها فى المقام، حيث ذكر فيها أن هذا الروح الأمرى الذى أوحى إلى النبي (ص) يهدى به الله ويوحيه إلى من يشاء ويجتبيه من عباده، فلم يخص ذلك بالأنبياء أو بكونهم أنبياء أو رسل، ونظير ذلك قوله تعالى: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» (٢).

١- الشورى: ٥٢.

٢- النحل: ٢.

ص: ١٠٨

فَمَذَكَرَ لَفْظَ الْعِبَادَةِ وَلَمْ يَخْصِصْ بِلَفْظِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الرُّسُلِ وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يَشَأَهُمُ اللَّهُ وَتَتَعَلَّقُ مَشِيئَتُهُ بِهِمْ وَيَجْتَسِبُهُمْ غَيْرَ مَنْحَصَرِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، بَلْ يَعْمُ مِنْ يَصْطَفِيهِمْ لِلْعَصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْوَصَايَةِ، وَهَكَذَا الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي كَوْنِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بَضْعَهُ مِنْهُ (ص) (١)، وَكَوْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ النَّبِيِّ (ص) وَهُوَ مِنْهُمْ (٢)، وَكَذَا قَوْلُهُ (ص): «عَلَى مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» (٣).

الثاني: قول النبي الأكرم (ص): «كنت أنا وعلى بن أبي طالب نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعه آلاف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، جزء أنا وجزء على بن أبي طالب» (٤).

الثالث: الروايات المتضافرة التي دلت على أن النبي (ص) كان نوراً ينتقل من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة، وقد أضاء منه (ص) نوراً عند ولادته ملاً الخافقين، كما نقلت ذلك آمنة بنت وهب عليها السلام أم النبي (ص) حين ولادته، قالت: «إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني نور أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام» (٥).

إلى غير ذلك من الشواهد الدالة على الخلقه النوريه للنبي الأكرم (ص) وأهل بيته عليهم السلام.

والحاصل: بأن هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع شُعْرَتُهَا مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى «فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ تَعَمَّرَ وَتُشَادَ بِالْعِبَادَةِ بِأَمْرِ إِلَهِي نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» وَتَتَّخِذُ الْمَوْضِعَ وَالْمَكَانَ لِلْعِبَادَةِ حَتَّى لَوْ اسْتَخْرَجَ نَفْسَ هَذَا الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ عَنِ الْكَعْبَةِ وَهَذِهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفِيَّةٌ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِحْيَاءٌ لَذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا هُوَ التَّحْلِيلُ الَّذِي نُرِيدُ أَنْ نَسْتَخْلَصَهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ.

١- لاحظ فضائل الصحابة، ابن حنبل، ص ٧٨.

٢- مسند أحمد، ج ٤، حديث عبد الله بن زبير بن العوام، حديث قطبه بن مالك.

٣- فضائل الصحابة، ص ١٥.

٤- نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص ٧؛ الخصال، الصدوق، ص ٦٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢، ص ٦٧؛ ميزان

الاعتدال، الذهبي، ج ١، ص ٥٠٧.

٥- المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٤، ص ٢١٥؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣٨٤.

ص: ١٠٩

التوجه بالنبي الأكرم (ص) وأهل بيته شرط في قبول العبادة

العبادة التوحيدية لا بد أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لكي تقبل وإلا هذه العبادات تكون عبثية لا فائدة فيها، بل تكون هذه العبادة وثنية جاهلية لأنها عبادة لم يأمر الله بها وليست طاعة لله عز وجل، فالمعرفة والإيمان القلبي بالله عز وجل هي من صميم العبادات، بل أعظم الفرائض الإلهية لأنها التسليم والخضوع لله عز وجل، به يحصل التوجه واللقاء للباري عز وجل والوفود على الحضرة الربوبية، وهذه العبادة التوحيدية القلبية العظيمة وهي معرفة الله تعالى ممتنعه بلا واسطه، وذلك لعظمة الله عز وجل، فلا إحاطه ولا مماسه ولا ملامسه ولا- مواجهه جسميه أو عقليه أو نفسيه؛ إذ لا- يُجابه الجسم إلا- ما يماثله في الجسميه، ولا يُجابه النفس أو العقل إلا ما يماثلها، والله تعالى منزّه عن كونه جسمًا أو نفسًا أو عقلاً؛ لكونها من الممكنات المحدوده بحدود الماهيه والفقير والحاجه.

إذن لا بد من الوسيله والواسطه في الإيمان ومعرفة الله تعالى، الذي هو أعظم العبادات وأعظم أنواع التوجه إلى الله تعالى، والواسطه هي الإيمان بالنبي الأكرم (ص) والإقرار بالشهاده الثانيه في مقام الإدلاء بالشهاده التوحيديه المقبوله عندالله تعالى، والموجه للخروج من حظيره الشرك إلى التوحيد الإسلامى الخالص؛ لأنه أعظم آيه للحق سبحانه.

وهذا عكس ما يدعيه أولئك المارقون حيث يزعمون بأن العباده التوحيديه يجب أن لاتتجلى في الآيات والأسماء المخلوقه ولا تكون مقترنه بها، فالواسطه شرك بالله عز وجل حتى ولو كان ذلك المقترن نبي أو وصي، وهو عين ما كان تدعيه قريش في الجاهليه الأولى، حيث كانوا لا يدينون الله تعالى بطاعه وولايه نبيه الأكرم (ص).

فإذا كان إقحام الشهاده الثانيه في الشهاده الأولى شرك بالله عز وجل، فبماذا يحصل التوحيد والعبوديه للباري عز وجل والوفود على الله عز وجل؟ فلا يتحقق التوحيد ولا يكون المرء مؤمنًا، إلا إذا توجه بقلبه إلى الله تعالى بالشهاده الأولى والثانيه، ومن ينفي أى اسم أو واسطه ظهور وتجلي لله تعالى عند التوجه إليه فهو واقع في مغبه الشرك والوثنيه، وإذا كان حال الإيمان والمعرفة كذلك فكيف بباقي العبادات التي هي أقل شأنًا وخطوره؟

ص: ١١٠

والحاصل: أن المعرفة والإيمان والتوحيد الذي يتضمن الدين بأجمعه لا يحصل إلا بالتوسط والتوسل بآيات الله الكبرى، ومزاوجه الشهادة الثانية بالشهادة الأولى، وهذا يعني أن أى شأن من الشؤون الدينية كالتوبة أو العبادة أو نيل مقام من المقامات الإلهية لا يمكن أن يتحقق إلا بالمحافظة على الشهادة الثانية، والإقرار بها وبمعطياتها وتداعياتها ومقتضياتها فى كافة أصول وفروع المعارف التوحيدية، ولا- شك أن الإيمان بالشهادة الثانية توجه قلبى بالنبي الأكرم إلى الله عز وجل، إذ الإيمان كما أسلفنا طلب وزلفى للقاء الله تعالى، وهذا القرب إنما يتحقق بتوسط الشهادة الثانية، وهى شهادة أن محمداً رسول الله ووليه وخليفته فى أرضه.

فالإسلام يدعو إلى التوجه بالنبي (ص) فى الإيمان والاعتقاد وهو أعظم وأفضل عباده، فضلاً عن بقيه العبادات الأخرى، والإباء عن التوجه فى العبادة بخاتم الأنبياء إنكار للشهادة الثانية، ودعوه إلى الشرك باسم التوحيد، وهذا ما أخفق فيه السلفيون، حين جحدوا التوسل بالنبي (ص)، فلا تراهم يقرنون لون الشهادة الثانية ومؤداها ومعطياتها بلون الشهادة الأولى فى رسم بناء التوحيد فى أدبيات كتبهم، فيقتصرون على تفسير الشهادة الأولى فى التوحيد، من دون أن يهتدوا إلى كيفية ركنيه مؤدى الشهادة الثانية فى أركان التوحيد، وكيفية ضروره الربط والارتباط بين مؤدى كل من الشهادتين فى رسم أصل التوحيد، ومنه يظهر أن التوسل والتوجه بالنبي (ص) ضروره وليس مجرد خيار مشروعيه.

اقتران اسم النبي (ص) وأهل بيته بأعظم العبادات

لقد قرن البارى تعالى اسم النبي (ص) فى مجمل العبادات، لعظيم شأنه وجلالته وقربه عنده، كما ذكرنا فى الفصل السابق بأن التقرب والتوجه لله عز وجل لا يتم إلا بالشهادة الثانية والإقرار به وإنه شرط فى قبول العبادات، ونشير فيما يلى إلى بعض تلك الشواهد فى هذا المجال:

الشاهد الأول: الإتيان باسم النبي الأكرم (ص) فى تشهد الصلاة، حيث إن الصلاة على النبي وأهل بيته راجحه بإجماع المسلمين (١).

١- لاحظ المجموع، النووى، ج ٣، ص ٤٦٠، استحباب الإشاره بالمسبحه وتعين لفظ التشهد وما بعد.

ص: ١١١

وهي شرط واجب في الصلاة عند بعض المذاهب الإسلامية، كمذهب أهل البيت عليهم السلام (١) وبعض فقهاء المذاهب الأخرى (٢)، تمسكاً عندهم بما روته عائشه من الوجوب، حيث روت عن النبي (ص) أنه قال: «لا- تقبل الصلاة إلا بطهور وبالصلاة عليّ» (٣) وقد بين النبي الأكرم الصلاة عليه عندما سُئِلَ عن كيفيةها، فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» (٤)، كذلك يستحب الصلاة على النبي محمد (ص) بعد القنوت في الصلاة، جزم بذلك النووي تبعاً للغزالي في المذهب ونسبه إلى الجمهور (٥).

ولا شك أن ذكر الصلاة على النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام نوع من دعاء لهم وتحيه وسلام، ونوع توجه لهم والدعاء.

وهذا يعني أن المصلي في صلاته التي هي الركن الركين في العبادات، والموجبه للعروج والقربان من الله تعالى، إن قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّتْ رُدَّتْ ما سواها، إنما تُقْبَلُ بالصلاة على النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام ومفادها أن يتوجه بالدعاء وإلقاء التحية والسلام للنبي وآله، لكي تقبل صلاته وتوجب مزيداً من القرب إلى الله تعالى، فالصلاة التي هي من دعائم الدين مقرونة بالوسائط والأبواب الإلهية، لكي تكون صحيحه مقبولة عند الله تعالى أو موجبه لمزيد القرب منه، وإذا كانت الصلاة كذلك فكيف يباقي العبادات الأخرى؟

فإقتران اسم النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام في الصلاة والتوجه إليهم بالقلب موجباً لتوحيد الله في العبادة ومن ثم كان الأمر بها فيها على هذه الحال، فالفرق بين صلاة المشركين حول البيت الحرام وصلاة الموحدين في أن صلاة المشركين تفتقد لذكر النبي الأكرم (ص) فيها، بخلاف صلاة المسلمين، حيث يقرن فيها إسم النبي الأكرم إلى جانب ذكر الله تعالى.

١- النهاية، الشيخ طوسي، ص ٨٩، باب فرائض الصلاة ومن ترك شيئاً.

٢- فتح العزيز، الرافعي، ج ٣، ص ٥٠٤؛ المجموع، النووي، ج ٣، ص ٤٦٧ وغيرهم.

٣- سنن الدارقطني، ج ١، ص ٣٤٨، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي (ص).

٤- صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١٨؛ الوسائل، ج ٧، ب ٣٥، باب كيفية الصلاة على محمد.

٥- المجموع، ج ٣، ص ٤٩٩.

ص: ١١٢

اقتران الصلاة على النبي (ص) في بقيه العبادات

وقد قرن وجوب أو استحباب بعض العبادات الأخرى غير الصلاة باستحباب الصلاة على النبي الأكرم (ص)، كاستحباب الصلاة على النبي (ص) إذا فرغ الحاج من التلبيه في الحج (١)، واستحباب الصلاة على النبي (ص) عند ذبح الهدى أو الأضحية (٢)، وقد جعلت الصلاة على النبي (ص) أحد أركان الخطبه في صلاه الجمعة (٣).

كذلك من أركان صلاه الميت الصلاة على النبي (ص). (٤)

ويستحب أيضاً الصلاة على النبي وآله قبل الأذان والإقامة وبعدهما، كما نص على ذلك عبد العزيز الهندي نقلاً عن النووي في شرح الوسيط في كتابه الفقهي فتح المعين (٥)، إلى غير ذلك من الموارد التي لا تحصى في الفقه، والتي قرنت فيها جملة وافره من العبادات باسم النبي المبارك (ص) وأهل بيته الطاهرين، وليس ذلك إلا- توجه وتوسل بهم عليهم السلام لقبول العباده وحصول القرب من الله تعالى، ولفتح أبواب السماء لصعود العمل وهو مفاد قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» (٦) وهذا ما ورد النص عليه في روايات عديده ومتضافره من طرقنا وطرق السنه، حيث نصت على أن الدعاء محجوب عن السماء ما لم يصل على النبي وآله:

منها: ما ورد عن الإمام على عليه السلام قال: «الدعاء محجوب عن السماء حتى يتبع بالصلاه على محمد وآله» (٧).

ومنها: ما ورد عن أبي ذر عن النبي (ص) قال: «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصل على علي وعلى

١- الأم، الشافعي، ج ٢، ص ١٧١.

٢- المجموع، النووي، ج ٨، صص ٤١٠ و ٤١٢.

٣- روضه الطالبين، النووي، ج ١، ص ٥٣٠.

٤- المصدر نفسه، ص ٦٤٠.

٥- فتح المعين، ج ١، ص ٢٨٠.

٦- الأعراف: ٤٠.

٧- لسان الميزان، ابن حجر، ج ٤، ص ٥٣؛ شعار أصحاب الحديث، ابن إسحاق الحاكم، ص ٦٤.

ص: ١١٣

أهل بيتي» (١).

ومنها: ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله (ص): صلواتكم على إجابته لدعائكم وزكاه لأعمالكم» (٢).

ومنها: ما ورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال «إن رجلاً- أتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله، إني جعلت ثلث صلواتي لك؟ فقال له خيراً، فقال له: يا رسول الله إني جعلت نصف صلواتي لك، فقال له: ذاك أفضل، فقال: إني جعلت كل صلواتي لك، فقال: إذن يكفيك الله عز وجل ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك، فقال له رجل: أصلحك الله كيف يجعل صلواته له؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: لا يسأل الله عز وجل شيئاً إلا بدأ بالصلاة على محمد وآله» (٣).

ومنها: ما رواه فضالة بن عبيد، حيث قال: سمع رسول الله (ص) رجلاً يدعو في صلواته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي (ص)، فقال رسول الله (ص): «عجل هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم يصلي على النبي (ص)، ثم يدعو بعد بما شاء» (٤).

وعن ابن مسعود قال: «إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدح والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصل على النبي (ص)، ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح» (٥)، قال الهيثمي في زوائده: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٦).

ومنها: ما عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ص): «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معالقه، وملاً قدحاً ماء، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ توضأ، وأن يشرب شرب، وإلا أهرق فاجعلوني في وسط الدعاء، وفي أوله، وفي آخره» (٧).

١- كفاية الأثر، الخزاز القمي، ص ٣٨.

٢- الأمالى، الطوسى، ص ٢١٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٩٣.

٤- سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٣.

٥- المعجم الكبير، الطبراني، ج ٩، ص ١٥٦.

٦- مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ١٥٥.

٧- المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، ج ٢، ص ٢١٦.

ص: ١١٤

ومنها: ما أخرجه القاضي عياض عن رسول الله (ص) قال: «كل دعاء محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة على سعد الدعاء» (١).

ومن الروايات التي من طرقنا أيضاً ما في موثقه السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من دعا ولم يذكر النبي (ص) رفرق الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبي (ص) رفع الدعاء» (٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسأله الصلاة على النبي (ص) ثم سل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويمنع الأخرى» (٣).

كذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبي (ص)، فإن الصلاة على النبي (ص) مقبولة، ولم يكن الله ليقبل بعض الدعاء ويرد بعضاً» (٤).

وعن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام عن النبي (ص) قال: «إن الله سبحانه يقول: عبادي من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبون أحبتم دعاءه، ألا- فاعلموا أن أحب عبادي إلى وأكرمهم لدى محمد وعلى حبيبي ووليي، فمن كانت له حاجة إلى فليتوسل إلي بهما، فإنني لا أرد سؤال سائل يسألني بهما وبالطيبين من عترتهما، فمن سألني بهم فإنني لا أرد دعاءه، وكيف أرد دعاء من سألني بحبيبي وصفوتي ووليي وحجتي وروحي ونوري وآيتي وبابي ورحمتي ووجهي ونعمتي؟ ألا وإنني خلقتهم من نور عظمتي، وجعلتهم أهل كرامتي وولايتي، فمن سألني بهم عارفاً بحقهم ومقامهم أوجبت له مني الإجابة، وكان ذلك حقاً علي» (٥).

وهذه الروايات بمجموعها والأحكام التي سبقت للصلاة على النبي وآله في الصلاة وغيرها من العبادة كاشفه عن اقتران اسم النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين بأعظم العبادات بل معظمها، وهذا يعني أن الله عز وجل جعل تلك الأسماء المباركة واسطه لفيضه وشرطاً

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ٢، ص ٦٦. وقال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحه وأسباب... وأسبابه الصلاة على محمد (ص).

٢- وسائل الشيعة، ج ٧، صص ٩٣ و ٩٤.

٣- المصدر نفسه، ص ٩٧.

٤- المصدر نفسه، ص ٩٦.

٥- المصدر نفسه، ص ١٠٢.

ص: ١١٥

حقيقياً للتوسل إليه في التوبة وفي سائر العبادات القريبه و المقامات الإلهيه، وأن أبواب السماء مغلقة إلا عن سيبلهم عليهم السلام وطريقهم، الذي نصبه الله تعالى مناراً لعباده ومحججه واضحه لخلقه.

هذا كله في الشاهد الأول وهو اقتران الصلاه على النبي صلى الله عليه وأهل بيته عليهم السلام بالصلاه وغيرها من العبادات.

الشاهد الثاني: وهو كذلك اقتران اسم النبي المبارك (ص) بالصلاه، وذلك بالإتيان به في جزء التسليم من الصلاه، وهو قول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته، فإن التسليم الذي هو جزء من أجزاء الصلاه ولا تتم الصلاه إلا بإتمامه والفرغ منه يجعل شرط منه التسليم على النبي الأكرم (ص)، فقبل إتمام الصلاه وفي حاقها يستحب للمصلي أن يسلم على نبي الإسلام باتفاق فرق المسلمين.

ولا شك أن هذا التسليم بالكيفية المذكوره نوع زياره للنبي الأكرم (ص) وخطاب ونداء عن قرب بـ(أيها) وتوسل واستغاثة وتوجه إليه وبه إلى الله عز وجل؛ وذلك لأن الله تعالى عندما شرع التسليم والتحيه للنبي الأكرم (ص) في الصلاه التي شرعت لذكره عز وجل والتقرب منه والعروج إليه، فإن ذلك يعنى أن ذكر النبي هو ذكر الله تعالى ونداءه نداء للبارى عز وجل، وليس ذلك إلا لكون النبي (ص) الآيه العظمى والوسيله المحموده بين الله وبين خلقه في الصلاه التي هي من عظيم العبادات والقربات عندالله تعالى.

إذن طبيعه الزياره والنداء والندبه والاستغاثة والتوجه بالنبي (ص) لنيل مقامات القرب في الصلاه التي هي قربان كل تقى موجوده في نفس الصلاه التي هي أكبر العبادات التوحيديه ويمارسها الفرد المسلم في يومه عدة مرات.

والحاصل: إذا كانت الصلاه التي هي من دعائم الدين مقرونه بذكر النبي (ص) لنيل مقامات القرب عندالله تعالى فكيف هو الحال بباقي العبادات والقربات الأخرى في الدين؟

وعلى هذا كيف يقال: إن ذكر النبي وآله هو غير الله تعالى في التوجه إليه عز وجل وشرك؟ «وهل هذا إلا طمس لمعالم الشهاده الثانيه في عقيدته التوحيد والإسلام؟»

الشاهد الثالث: وهو اقتران أهل البيت عليهم السلام بالنبي (ص) في قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ»

ص: ١١٦

« بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (١).

فلم يُنزل أحد كنفس النبي (ص) إلا على عليه السلام، وقرن الله تعالى بالنبي (ص) أهل بيته عليهم السلام في الحجية، فالخمس عليهم السلام معاً حجج على جميع الأديان السماوية والبشرية عموماً إلى يوم القيامة، فهم عليهم السلام شركاء النبي (ص) في الرسالة؛ لأن المباهلة نوع محالفة ومقاضاة إلهية أخروية، وفي الحلف لابد أن يحلف الأصيل ولا وكالة في الحلف، وهذا يعني أنهم عليهم السلام شركاء في الرسالة أصاله، ولكنهم تابعون في ذلك للنبي (ص) وهو سيدهم وبشفاعته نالوا الأصالة في الحجية.

والحاصل: إن أهل البيت عليهم السلام مقرونون بسيد الأنبياء في المقامات تبعاً له (ص) ماعداً مقام الوحي بالنبوه، وهذا يعني أن الإيمان بأهل البيت والتولى لهم من الدين الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته لأجل نيل المقامات العاليه عند الله تعالى.

هذا تمام الكلام في شرطيه التوجه بالنبي (ص) وأهل بيته لصحة الإيمان وللتوبه وسائر العبادات و نيل مقامات القرب.

برهان آخر: طاعه الله ورسوله وأولى الأمر

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (٢) حيث تشير هذه الآية القرآنية بأن إطاعه ولي الله من طاعه الله سبحانه وتعالى فلا بد من التوجه إليه بقلبك وجوارحك والخضوع له والتسليم له بأمر من الله تعالى فمن عصاهم عصى الله سبحانه وتعالى كما ذكر هذا المعنى الكليني في كتاب الحجية:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ»

١- آل عمران: ٦١.

٢- النساء: ٥٩.

ص: ١١٧

« مُلْكًا عَظِيمًا » (١) قال: جعل منهم الرُّسل والأنبياء والأئمة فكيف يُقرون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد (ص)؟ قال: قلت: «وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة؛ من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم.

لكي تتضح الصورة نقول بأن الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وغيرها، هي فرائض إلهية في أصل وجوبها في الدين، وأما تفاصيلها وأجزائها وشرائطها وأقسامها فهي سنن نبوية وصلتنا عن طريق أمر النبي (ص) لكل المسلمين بتلك التفاصيل والتشريعات الخاصة، ومن أمثله ذلك ما ورد في روايات الفريقين من أن الصلوات كان فرضها من الله تعالى ركعتين لكل صلاة وما زاد عليها في كل صلاة كان من سنه النبي الأكرم (ص) وأمره وفرضه (٢) وهكذا بقيه التفاصيل والتشريعات القانونية النبوية ضمن الفرائض الإلهية، وكتب الحديث مليئه بالأوامر النبوية في مجمل الأبواب الفقهية وغيرها.

إذن فيكون الإتيان بالصلاة والزكاة والحج وغيرها طاعة لأمر الله وأمر رسوله (ص)، ولا تُستعلم طاعة الله عز وجل من دون طاعة الرسول الأكرم في أوامره ونواهيه، فهو (ص) باب طاعته تعالى؛ لأنه هو الدال والمبين والناطق الرسمي عن أوامر الله عز وجل ونواهيه، وهذا البيان جارٍ في جملة الأبواب العبادية أيضاً بلحاظ تفاصيل الشروط والأجزاء فإنها بأوامر من عتره النبي (ص) وسنن منهم مفضّله ومبينه لفرائض الله تعالى وسنن نبيه (ص) فيكون الإتيان بالعبادات التي هي خضوع لله تعالى بتوسط طاعة أوامره تعالى وأوامر رسوله وأوامر أولى الأمر من عترته عليهم السلام.

وهذا ما كنا نُعبر عنه بتداعيات ومقتضيات الشهادة الثانية والثالثة؛ إذ هي تستدعي الإتيان والالتزام بجملة الدين طاعة لله ولرسوله.

وهذا ما تكاثرت ودلت عليه جملة من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى:

١- النساء ٥٤.

٢- وسائل الشيعة، ج ٦، ب ١، ح ٤ (٧٢٨٣)؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٤١ مسند عائشه؛ مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٢، ص ١٥٤.

ص: ١١٨

«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (١).

ثم إن الله عز وجل حذر المسلمين من المخالفة لأوامر الرسول الأكرم، وبين في آيات عديده العواقب الوخيمة التي تترتب على مخالفة النبي (ص) في أوامره: كما في قوله تعالى: «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٢).

كذا قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا» (٣).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» (٤).

وقوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ» (٥).

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي جاءت في ضمن السلك العام والسنة الإلهية الشاملة لطاعة الرسل كافة، كما في قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (٦).

ومن يريد أن يفصل في صلواته وحججه وصومه طاعه الله عن طاعه الرسول يكون على الوثنية الجاهلية التي يشنؤها الله عز وجل وعبر عنها في قرآنه الكريم بالشرك والنجس، وطاعه كل من لم يأمر الله بطاعته وثن من الأوثان، بل حتى صلواته تصبح وثناً إذا كانت صادرة عن طاعه غير من أمر الله بطاعته، وإن كان ذلك المطاع هو الهوى وتحكيم سلطان الذات على سلطان الله عز وجل، كما في الوثنية القرشية التي ذمها القرآن الكريم.

ومن ذلك يتضح أن أي عبادة من العبادات أو قربه من القربات أو نيل المقامات القريبه أو الفوز بحضوه عند الله تعالى لا يمكن أن تتحقق من دون طاعه النبي الأكرم (ص) في تلك

١- آل عمران: ١٣٢.

٢- النور: ٦٣.

٣- المائدة: ٩٢.

٤- الأنفال: ٢٠.

٥- محمد: ٣٣.

٦- النساء: ٦٤.

ص: ١١٩

العبادة، لكن هذه الشرذمة لم يزدادوا من الله إلا بعداً، وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم في غيهم وضلالهم يعمهون.

ففي مقام التقرب والنية والقصد جعلت القبله المعنويه هي طاعه النبي (ص) والتدين بولايته والخضوع له، الذي هو خضوع لله عز وجل، كخضوع الملائكة لآدم لأنه باب الله تعالى.

هذا كله في مقتضيات الشهادة الثانيه وضروره اقترانها بالشهادة الأولى.

كذلك أكدت الآيات القرآنيه على ضروره الشهاده الثالثه واقترانها بالشهادة الثانيه تبعاً للشهادة الأولى، والشهادة الثالثه عبارته عن طاعه أولى الأمر، الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١)، حيث قرن طاعتهم بطاعته وطاعه رسوله (ص).

وقد بين الله تبارك وتعالى في قرآنه الكريم المراد من أولى الأمر الذين تجب طاعتهم، بعد أن بين تعالى المقصود من الأمر الذي هم أوليائه، وأنه أمر ملكوتي من عالم كن فيكون، كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (٢)، وكذا قوله عز وجل: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالْبَصِيرِ» (٣)، وكذا قوله عز وجل «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا» (٤)، وقوله تعالى: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (٥)، ثم أفصحت الآيات القرآنيه عن كون الأمر عبارته عن تدبير السماوات والأرض، قال تعالى: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» (٦).

١- النساء: ٥٩.

٢- يس: ٨٢.

٣- القمر: ٥٠.

٤- الشورى: ٥٢.

٥- الأعراف: ٥٤.

٦- السجده: ٥.

ص: ١٢٠

إذن أولو الأمر هم الذين ينزل عليهم الأمر في ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم، قال تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ» (١)، وقال عز وجل في وصف ليلة القدر: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةً إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (٢).

ثم بين الله عز وجل أن شريعته النبي الأكرم من ذلك الأمر الحكيم الذي يفرق في ليلة القدر، حيث قال عز وجل مخاطباً نبيه الأكرم (ص): «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيْعِهِ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (٣).

وقد صرحت آيات أخرى بأن الأمر الملكوتي ينزل على عباد الله من دون أن تخصص من لهم الأمر بالأنبياء والرسل، قال عز وجل: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» (٤).

وحاصل ما ذكرناه من الآيات أن الأمر من عالم الملكوت والغيب، وأنه مرتبط بتدبير السماوات والأرض وغير مختص بالشؤون الدنيوية المادية، وأن الشرائع وهداياه الناس وإنذارهم مرتبطة به، وأنه شامل لأولياء الله الأصفياء المجتبيين وليس خاصاً بمقام النبوة والرسالة، وذلك لارتباطه المباشر بمقام الهداية والإيصال إلى المطلوب وهو مقام الخلافة والإمامة كما تقدم؛ ولذا قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (٥) والصبر واليقين للأئمة من أولى الأمر في هذه الآية المباركة إشارته إلى العصمة في مقام العلم والعمل.

ولا يوجد أولو أمر في هذه الأمة بعد رسول الله تجب طاعتهم غير أهل بيته (ص)، الذين

١- القدر: ٣ - ٥.

٢- الدخان: ٣ - ٦.

٣- الجاثية: ١٨.

٤- النحل: ٢.

٥- السجدة: ٢٤.

ص: ١٢١

أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، لأن الأمر الملكوتي المتمثل في ليله القدر الليله المباركة المرتبط بنزول ما في القرآن كما في سورة القدر والدخان هو مرتبط بمقامات القرآن الغيبية ولا يمس تلك المقامات إلا المطهرون كما في قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (١).

إذن الطاعة في الدين بطاعة الله، وطاعة الله بطاعة النبي الأكرم (ص) وأولى الأمر، فالولي بعد الله تعالى رسوله (ص) وبعد الرسول أولى الأمر، الذين لهم حق استنباط الدين وبيانه وتفصيله، قال تعالى «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (٢) والذي يتضح مما ذكرناه أن طاعة أولى الأمر على حد طاعة رسول الله مقترنه بها وشامله للدين كله، كما أن ولاية الله تعالى وطاعته كذلك غير مختصه ببعض الشؤون السياسيه أو الاجتماعيه.

فالإتيان بجميع العبادات والطقوس الدينيه طاعة لأمر الله وأمر رسوله وأولى الأمر من بعده وهم أهل بيته (ص)، فالعبد ينقاد ويفد على الله تعالى ويتقرب ويتوجه إليه بطاعة الرسول وطاعة أولى الأمر، وهذا يعنى أن الشهاده الثانيه والثالثه مأخوذتان واسطتان في عباده الله تعالى بما فيها عباده المعرفه، التي هي أعظم العبادات.

ومن ثم كان الدين عبارته عن ولاية الله وولاية الرسول وولاية أولى الأمر والطاعة لهم، قال تعالى: «إِنَّمَا وَدَّعَى اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٣).

والولاية والطاعة أصله الله وبالاتباع للنبي وأولى الأمر بإذن وأمر من الله تعالى، كما أخضع الله عز وجل ملائكته ومن خلق من الجن وغيرها لولي الله وخليفته آدم، بما هو النموذج والمصدق لخليفته الله في الأرض، فكل من يتسنى مقام الخلافه الإلهيه لابد من الإنقياد

١- الوقعه: ٧٧ - ٧٩.

٢- النساء: ٨٣.

٣- المائدة: ٥٦ ٥٥.

ص: ١٢٢

الخضوع والطاعة له.

وحيث أن التوجه والقربة والزلفى لا- تحصل إلا- بالطاعة لله وللرسول، كذلك لا- تحصل إلا- بطاعة أولى الأمر مقترنه مع طاعة الله ورسوله، فلا- يمكن قصد القربة فى العباده ولا- يحصل القرب إلى الله تعالى فى العبادات إلا- بالخضوع والطاعة لولى الأمر والإتيان بالعباده امتثالاً لأمره، تبعاً لأمر الله والرسول (ص)، حيث يستعلم أمرهما بأمره.

والحاصل من ذلك البيان أيضاً أن جميع العبادات فرائض من الله تعالى وسنه من نبيه ومنهاج وهدى من أهل بيته عليهم السلام وعلى جميع المستويات الاعتقادية والعبادية.

كذلك تبين أن من يعبد الله من دون التوجه بحجه الله ووليه، بطاعته وامتثال أمره عمله هباء؛ إذ لا تتحقق منه القربة لعدم الطاعة فى مقاماتها الثلاث وعدم ضم الشهادات الثلاث إلى بعضها البعض، فلا يُصار إلى التوجه إلى الله تعالى إلا عن طريق آياته وبيئاته، وهم الوسيله إليه فى المقامات الثلاث التى ذكرناها فى صدر البحث، بل فى الدين كله.

إقران اسم النبى (ص) وذكره والتوجه إليه وإلى أولى الأمر موجباً للتوحيد فى العباده وإلا- لما قرن الله تعالى طاعته بطاعتهم، فليس إنكار التوسط والواسطه إلا- دعوه إلى التفريق بين الله ورسوله وأولى الأمر، وفصل الشهادات الثلاث وبتربعضها عن البعض الآخر، والفصل هو عباده الشرك التى آمن بها إبليس الذى أراد أن يفرق بين طاعة الله وطاعة خليفته، بخلاف الملائكة أهل عباده التوحيد الذين خضعوا لله ولوليه آدم عليه السلام.

ثم إن مورد هذه الآيه وهى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (١) التى حكمت بوجوب الطاعة فى الدين كله، فكما أن طاعة الله عز وجل فى الدين كله، كذلك ما اقترن بها من طاعة الرسول الأكرم (ص) وأولى الأمر من أهل بيته عليهم السلام.

إذن التوجه إلى الله تعالى من دون التوجه إليه بطاعة نبيه ووليه نجس وشرك ووثنيه قرشيه، ونيه القربة إذا لم تكن على هذا المنوال فى العباده لا تقبل؛ لعدم التوجه إلى الله بآياته وأبوابه التى أمر الله بها.

ص: ١٢٣

التوسل عباده توحيديه

١- التوسل آيه للزلفى والقربى إلى البارى تعالى

والتوسل على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهره على أربعة جهات:

الجهه الأولى: حقيقه التوسل فى اللغة والاصطلاح.

الجهه الثانيه: أنه عباده توحيديه.

الجهه الثالثه: الأدله العقليه والتاريخيه على العباديه.

الجهه الرابعه: الأدله التحليليه.

وهنا سوف نتعرض إلى خلاصه ذلك ضمن النقاط التاليه:

النقطه الأولى

بأن الواسطه التى جعلها الله سبحانه وتعالى ونصبها لخلقها هو عين التوحيد والربوبيه للبارى، والقطيعه والإبء والاستكبار على إرادته البارى تعالى كفرٌ وشرك، والوسائط والحجج الإلهيه هى أبواب التوحيد لأنها خضوعٌ وانصياعٌ وتذللٌ وتقربٌ إلى البارى سبحانه وتعالى بطاعه أو امره فى ذلك كقوله «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» وقوله تعالى «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصَدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» وغيرها من عشرات الأوامر فى السور والآيات والأحاديث الشريفه، والتوجه والانشداد إلى الآيات الإلهيه والوسائط والوسائط الربانيه تقرب العبد إلى خالقه تعالى.

النقطه الثانيه

التواضع والخضوع فى التوجه والوفود على الله تعالى، سببٌ لزياده الرفعه والقرب الإلهى، والعبد إذا أنكر الواسطه التى نصبها الله تعالى بينه وبين عبيده، لا يبقى له طريق لاستعلام أوامر الله ونواهيه، كما إن التواضع حاله استثنائيه وتوحيديه خالصه، ورفض التوسل استكبار وجفاء لا يناسب الأدب التوحيدى، بل إن الله سبحانه وتعالى ذم الذين

ص: ١٢٤

يصدون عن الوسائط ويطلبون الاتصال المباشر والارتباط بالسماء مع عدم أهليتهم لذلك كما في قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا» (١) وقوله تعالى «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً» (٢) وهذا لقصور في القوابل والاستعدادات في تقرب العبد بذاته المنفردة من ذاته تعالى المقدسه بل لا بد من شفاعه المتوسل بالمتوسل به.

النقطه الثالثه

لا شك أن التقدم في الرتبة الوجوديه بين المخلوقات معناه أن المخلوق الأسبق رتبه أشرف وأكرم وأقرب إلى الله تعالى من المخلوق اللاحق، وهذا البيان العقلي واضح دال على ضروره التوجه والتوسل بالمقربين وبالمخلوقات الكريمة على الله تعالى وهم «أولياء الله» من الأنبياء والرسول.

النقطه الرابعه

قطع الصله بالنبي (ص) وعدم الرجوع إليه والابتعاد عنه والتخلي عن ولايته، وعدم الخضوع و الطاعه له، وعزل الشهاده الثانيه وفصلها وبتراها عن الشهاده الأولى، فإن ذلك كله يجعل العبادات والمناسك بأجمعها شركاً ووثناً وجاهليه، كالطواف حول الكعبه مثلاً وطاعه وعباده لغير الله عز وجل فيما إذا افتقد الشهاده الثانيه والتولى لنبي الإسلام (ص).

من أهم الفروق بين حج المشركين وحج المسلمين هو أن المشركين يأتون بالمناسك من دون الخضوع والتسليم والتولى لخليفه الله تعالى، وأما المسلمون فهم يأتون بمناسك الحج مع خضوعهم لولاياه النبي (ص) وإقرارهم بالشهاده الثانيه، ولذا كان حجهم طاعه وعباده خالصه لله عز وجل.

١- الفرقان: ٢١.

٢- المدثر: ٥١.

ص: ١٢٥

ومما لا شك فيه بأن الإنكار للواسطة المنصوبه من الله تعالى هو ما قام به إبليس لعنه الله تعالى الذي يدعى التوحيد في العباده، فإنكار الواسطه يستلزم الاعتراض على البارى سبحانه وتعالى.

٢- شرطيه التوسل بالنبي (ص) في طلب المغفره

قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» (١).

هذه الآيه القرآنيه تكشف حقيقه هذه الشرحه التي تدعى بأن التوسل برسول الله أو بالإمام شرك، حيث تصرح الآيه بأن التوسل بالنبي (ص) والاستشفاع به إلى الله، وطلب الاستغفار منه لمغفره المعاصي، شرط ركني في قبول التوبه وشمول الرحمه الإلهيه.

فلو كانت الواسطه بالنبي (ص) شركاً، كيف يأمر الله العصاه والمذنبين بمثل هذا الأمر؟

ومن البديهي أن النبي (ص) ليس من شأنه أن يغفر الذنوب، بل شأنه في المقام أن يطلب من الله المغفره والصفح، وهذه الآيه دليل مفحم للجاحدين الذين ينكرون مشروعيه التوسل و الواسطه في العباده.

والطريف في الآيه الكريمه بأن القرآن الكريم لم يقل: استغفر لهم يا رسول الله، بل قال «وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ» وبهذا يستفاد بأن النبي (ص) يستغفر للعصاه والمذنبين حيث جعل الله له هذا المقام و المنزله.

فالشفيح لا- يمكن أن يشفع للآخرين إلا- وقد أذن له عز وجل بذلك في قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا» (٢) ولنا على ذلك من الشواهد الواضحه الداله على مشروعيه التوسط والتوجه بالنبي (ص)، والإقبال عليه بالاستغفار والتوبه والأوبه.

١- النساء: ٦٤.

٢- طه: ١٠٩.

ص: ١٢٦

الشاهد الأول: استغفار آدم عليه السلام وتوبته أيضا - كانت بالمجىء للنبي الأكرم (ص) ولكن كان مجيئه إليه في أفق القلب والقصد، فقد ورد في روايات الفريقين أن رسول الله (ص) قال: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» (١) فهذه الرواية داله على أن مجيء آدم إلى النبي (ص) ولو أنه به كان بالتوجه القلبي به إلى الله تعالى، وهذا الاقتران بين الشهادتين هو من أعظم وأشرف العبادات التوحيدية.

الشاهد الثاني: «القمي» قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكي قال: دخل مولى لامرأة على بن الحسين على أبي جعفر عليه السلام يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر، يغرون الناس ويقولون: «شفاعه محمد شفاعه محمد» فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تبرد وجهه، ثم قال: «ويحك يا أبا أيمن أغرك إن عف بطنك وفرجك؟ أما لو قد رأيت إفزع القيامة لقد احتجت إلى شفاعه محمد (ص)؟ ويلك، فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟ ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعه محمد (ص) يوم القيامة، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله (ص) الشفاعه في أمته، ولنا الشفاعه في شيعتنا ولشيعتنا الشفاعه في أهاليهم ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعه ومضر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخدمه ويقول: يارب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد، وهو قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا» (٢) (٣).

أقول: يعني من جعل مبدأ ذلك النور ورضى له القول بالولاية.

الشاهد الثالث: هي من روايات كتب الصحاح لدى أهل السنة الذي تبين بأن النبي (ص)

١- المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، ج ٢، ص ٦١٥.

٢- طه: ١٠٩.

٣- تفسیر القمی، ج ٢، ص ٢٠١.

ص: ١٢٧

هو سيد الناس يوم القيامة، فيشفع لهم بعد أن يتوجهوا إليه ويطلبوا منه الشفاعة.

عن أبي هريره: قال كنا مع النبي (ص)

في دعوه، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسه وقال «أنا سيد القوم يوم القيامة» هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمئهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم... في (في حديث طويل) فيأتون آدم عليه السلام يقول لهم اذهبوا إلى غيري، فيأتون نوحاً فيقول لهم، نفسي نفسي، ائتوا النبي (ص)، فيأتوني، فأشجد تحت العرش فيقال يا محمد ارفع رأسك واشفع تسمع، وسل تعطه. قال محمد بن عبيد لا أحفظ سائرته (١).

منها:

عن أنس بن مالك، عن النبي (ص) قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو اشتشفنا على ربنا عز وجل فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله عز وجل بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربنا عز وجل يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيسبحي ربك عز وجل ويقول ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم ويذكر لهم خطيئته وسؤاله ربك عز وجل ما ليس له به علم فيسبحي ربك بحدك ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن عز وجل فيأتون فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عليه السلام عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيسبحي ربك من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبداً لله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً (ص) عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني قال الحسن هذا الحرف فأقوم فأمشي بين سباطين من المؤمنين قال أنس حتى أسأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجداً إلى ربي عز وجل فيدعني ما شاء الله أن يدعني قال ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تسمع فأرفع رأسي فأحمد بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحذ لي حداً

١- صحيح البخاري، ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح ٣٣٧٥.

ص: ١٢٨

فَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَقَعْتُ أَوْ حَزَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالُ اِرْفَعْ مُحَمَّدٌ قُلْ تَسْمِعْ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمِدُهُ بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ أَوْ حَزَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالُ اِرْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ تَسْمِعْ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمِدُهُ بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ إِلَّا مِنْ حَبْسِهِ الْقُرْآنُ (١).

ومنها: ما أخرجه النووي عن العتبي قال: «كنت جالسا عند قبر النبي (ص) فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» (٢) وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

t فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرف، فحملتني عيناي فرأيت النبي (ص) في النوم، فقال لي: يا عتبي، إالحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له» (٣).

ومنها: ما أخرجه البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال: «حج أعرابي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله (ص) أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله (ص) فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله جئتكم مثقلا بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم كتابه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» وقد جئتكم بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا

١- مسند احمد، ج ٣؛ مسند أنس بن مالك، ح ١١٧١٠.

٢- النساء: ٦٤.

٣- الأذكار النووية، النووي، كتاب أذكار الجهاد باب استحباب سؤال الشهادة، ص ٢٠٦؛ كذلك في تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٣٢.

ص: ١٢٩

استشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن يشفع في» (١).

منها: قال القسطلاني (ت ٩٢٣): «وقد روى أن مالكا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي - ثاني خلفاء بني العباس - يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله؟ فقال (مالك): ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى» (٢).

ولا يمكن لقائل أن يخصص هذا المجيء والاستغفار بحياه النبي الأكرم (ص)، لأن مفاد تعاليم القرآن خالده بخلود القرآن والسيره دلت على الشمول والعموم وعدم الاختصاص بالفترة الزمنية التي عاشها النبي (ص)، فطلب المغفرة والمجيء ليست مختصه بحياته (ص) الدينويه وإلا عطل العمل بهذه الآيات، وتقوضت أركان التوبه في الدين.

والمقامات الإلهيه والقربى والزلفى لرب العالمين لا- تكون إلا- بالتوجه بالنبي الأكرم (ص)، وهذه شرط في قبول العباده وصحه الإيمان.

شرطيه التوسل بالنبي (ص)

وهذه الآيه كشفت النقاب عن شرطيه التوسل بالنبي (ص)، جاءت بشكل رتبي ترتيبى، حيث أخذت المراتب بعين الاعتبار وهى كالتالى:

الشرط الأول: قبول الأعمال وصحه الإيمان هو بالمجيء إلى الحضرة النبويه والاتجاء إليه، واللوذ به، والاستعاذه والاستجاره به (ص)، والمجيء إلى النبي الأكرم (ص) هو عين التوجه إليه والتوسل به فى قبول التوبه.

الشرط الثانى: ابراز الندامه والاستغفار وإعلان التوبه والخشيه الرجوع إلى الله تعالى والاقتراب منه وقصد التوجه إليه.

١- الدر المنثور، ج ١، ص ٢٣٨.

٢- شرح المواهب، ج ٨، صص ٣٠٤ و ٣٠٥؛ المدخل، ج ١، صص ٢٤٨، ٢٥٢؛ فناء الوفاء، ج ٤، ص ١٣٧١، وما بعدها؛ الفواكه، الدوانى، ج ٢، ص ٤٦٦؛ شرح أبى الحسن على رساله القيروانى، ج ٢، ص ٤٧٨؛ القوانين الفقيهيه، ص ١٤٨.

ص: ١٣٠

الشرط الثالث: إمضاء النبي (ص) توبه التائبين وعباده العابدين لله تعالى وشفاعته في توبه مذنبى الأمة عند الله.

وأول شرط لقبول توبه المذنب والظالم لنفسه ليس إظهار الندامة من العبد أمام الله تعالى مباشرة وابتداءً، بل الشرط الأول هو المجيء إلى الحضرة النبويه والالتجاء إليه، واللواذ والاستعاذه والاستجاره به (ص)، فأولاً لا بد أن يأتي العبد إلى النبي (ص) ويلوذ به، ثم بعد ذلك يُظهر الندامة والاستغفار لله عزوجل؛ إذ الترتيب للشرط في الآيه المباركه ترتيب رتبى، حيث أخذت بعين الاعتبار، لا أنه ذكرى فقط بقريته العطف بالفاء.

ثم إنه سبحانه ترك باب التوبه والإنابه - عقيب تلك الآيه - مفتوحاً للعصاه والمذنبين حيث جعل الله تعالى الملاذ والملجئ هو النبي (ص)، فلا بد من الكينونه في الحضرة النبويه ثم إظهار عباده الاستغفار، لأنه (ص) باب الله تعالى الذى منه يؤتى، فيكون اللواذ بالله عز وجل باللواذ بنبيه الأكرم (ص)؛ ولذا بعد الاستجاره بالنبي (ص) قال تعالى: «لَوْحَدُوا اللَّهَ تَوَاباً رَحِيماً» واللجوء والإنابه إلى الله بنبيه أخذ شرطاً في أعظم المواقف للعبد مع ربه وهو التوبه وغفران الذنوب فكيف بما دونه من العبادات التى هى ذخيره أخرويه خالده فكيف بالحاجات الدنيويه الزائله التى هى متاع قليل فى جنب متاع الآخره.

إذن استغفارهم لأنفسهم عندالله تعالى لا يغنيهم عن التوجه بالنبي (ص)، ومعنى ذلك أن للمجئ عند النبي ثم الاستغفار موضوعيه فى حصول المغفره.

ولاشك أن الاستغفار وطلب المغفره عباده من العبادات ونوع خاص من أنواع الدعاء وحاله من الارتباط بين العبد وربّه، وللكون عند النبي الأكرم (ص) والمجئ عنده دخاله فى قبول تلك العباده وتوثيق الدعاء والارتباط بين العبد وربّه والإقبال على الله تعالى.

وهذا هو معنى أن الله عز وجل مواضع ومواطن مُشرفه يُقبل الدعاء بالكون فيها والمثول تحت قبتها، كما فى الكون فى عرفه وتحت الميزاب عند الكعبه وعند الملتزم والمستجار وغيرها، وكما ورد من أن الصلاه فى البيت الحرام تعدل كذا ألف ركعه، وهذا يعنى أن للكون فى البيت الحرام دخاله فى توثيق الارتباط بين العبد وبين الله تبارك وتعالى.

ص: ١٣١

ومن الواضح أيضاً أن الظلم المذكور في الآيه المباركه ليس مختصاً بالذنوب الفرديه التي بين العبد وربّه، وإنما هو شامل للظلم الاجتماعي السياسي أو النظام الاقتصادي المعاشي أو التعدي على المنظومه الحقيقه والأخلاقه، ومعنى ذلك أن استعلام ومعرفه تلك الأمور الفرديه والاجتماعيه لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الالتجاء واللواذ بالنبي (ص)، فكل حيف أو زيغ يحصل من الفرد أو المجتمع في تلك الأمور لابد من الرجوع فيها إلى الرسول الأكرم (ص)، وفي مقابل تعدد أنواع الظلم يتعدد أنواع اللجوء والتولي والتوجه للنبي (ص).

ثم إن ذكر التوبه والاستغفار في الآيه الكريمه لا لخصوصيه فيها، وإنما ذكرت بما هي عباده من العبادات، لكونها أوبه ورجوع إلى الله تعالى واقتراب منه وقصد وتوجه إليه، فليست الآيه في ذكرها لشرطيه التوسل بالنبي (ص) خاصه بالتوبه، بل هي شامله في ذلك لكل العبادات.

خصوصاً وأن التوبه هي الأوبه، من آب يؤوب، والأوبه الرجوع إلى الله تعالى، أي الاقتراب والزلفي منه عز وجل، ولاشك أن العبادات بمجموعها طلب الأوبه والقرب والزلفي إلى الله تعالى، فهي نوع من أنواع التوبه، وبناءً على ذلك لا تكون التوبه عملاً منحازاً ومنفصلاً عن سائر العبادات كالصلاه والحج وغيرهما، بل هي عمل عام وشامل لكافه العبادات.

وهذه الآيه الكريمه الداله على شرطيه التوجه والتوسل وضرورته في جميع المقامات ليست خاصه بحياه النبي (ص)؛ إذ ليس المراد من المجيء الحضور الجغرافي الجسماني لبدن المذنب عند النبي الأكرم (ص) فقط، بل المجيء الفيزيائي والبدني المكاني أحد المصاديق المقصوده في الآيه الكريمه، والتعبير بالمجيء كناية، يراد به مطلق الاستغاثه والتوسل والتوجه القلبي إلى النبي (ص).

والحاصل: إن هذه الآيه المباركه جاءت لبيان ماهيه التوبه وشرائطها العامه، التي يشترك فيها كافه المسلمين وفي جميع الأزمنه، فلا يمكن أن تكون مختصه بالفترة التي عاشها النبي الأكرم (ص) أو بمن زامن وعایش تلك الفترة، فالمراد من المجيء مطلق الارتباط بالنبي (ص)، بالتوجه إليه والكيونونه في حضرته المباركه، ثم الاتيان بعباده الاستغفار، وهذا المضمون

ص: ١٣٢

متطابق مع مفاد قوله تعالى: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصِئًا»، إذ معنى ذلك أن حضره الأنبياء ومحضرهم مشاعر شعرها الله تعالى ليتقرب بها إليه.

ويتضح هذا الشاهد أكثر إذا علمنا أن النبي الأكرم (ص) بُعث رحمه للعالمين، وهذه من الرحمات العامه للنبي الأكرم (ص) على هذه الأمة، وغير مختصه بمن حضر الحضور الفيزيائي البدني عند النبي (ص).

كما إنه نفس التعبير في قوله تعالى «جَاءُوكَ» يتضمن معنى اللواذ واللجوء والاستغاثة والتوسل والتوجه القلبي، وليس فيه دلالة على الاختصاص بالحضور الجسماني.

كذلك لا بد أن يعلم أن الآية الخاصة في المقام غير مختصه بالرسول الأعظم (ص)، بل هي سنه إلهيه جاريه في النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فالآية عامه؛ كما يشير هذا التعميم إلى عتره النبي (ص) آية عرض الأعمال «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»، حيث شملت الذين آمنوا وهم أولوا الأمر من أهل البيت عليهم السلام، كما نص على ذلك قوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» (١) إذ هم الأمة المسلمه من ذريه إبراهيم وإسماعيل المجتباة الذين بعث فيهم النبي (ص) وجعلهم الله شهداء على الناس وعلى أعمالهم وعقائدهم، ويدل على العموم أيضاً الآيات المتقدمة التي نصت على وجوب المجيء إلى إبراهيم في الحج ووجوب الصلاة عند مصلاه وهوى القلوب إلى ذريته.

إذن التوجه إلى النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام في التوبة والعبادة ونيل المقامات شرط ومشارطه إلهيه لا بد من توفرها لنيل ما يبتغيه العبد.

التوسل بالرسول (ص) ميثاق الأنبياء

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ حَرَّأْتُمْ رَسُولَ مُصِئًا قُلُوبًا لَمَا مَعَكُمْ لَكُمْ تَوَمَّنْ بِهِ وَلَنْ تُضْمِرُوهُ قَالُوا أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالُوا»

ص: ١٣٣

«فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (١).

هذه الآية توسعه لمضمون الآية السابقة من سورة النساء، فالميثاق المذكور في هذه الآية المباركة معناه أن هناك تعاقداً بين الله تعالى والأنبياء عليهم السلام، والطرفان اللذان وقع عليهما التعاوض في الميثاق والتعاقد هما النبوه والمقامات الغيبية التي أعطاها الله تعالى للأنبياء في مقابل أمر مهم وخطير لا بد أن يؤمنوا به، وهو قوله تعالى: «جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَتَنْصُرُوهُ» فالمقامات الإلهية والمنح الربانية إنما تعطى للأنبياء بشرط الإيمان بخاتمهم ونصرته، ولاشك أن الذي يكون ناصراً إنما هو تابع للمنصور والمنصور قائد له، فالأنبياء كلهم مأمومون والرسول الأكرم إمامهم، والأنبياء سبقوا الناس بالاصطفاء الإلهي الخاص وحُجوا بالنبوه والرسالة والمقامات الغيبية بتوسط إيمانهم بولاية النبي (ص) وتعهدهم بنصرته ومؤازرته، وهم أسبق الناس شيعة وإسلاماً لخاتم الأنبياء (ص).

وفي صحيح البخارى: عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه ميثاقاً لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمروا باتباعه (٢)، (٣).

فلذلك أخذ الميثاق من جميع الأنبياء والرسول على الإيمان بنبوه النبي (ص)، ونصرته والتبشير به، ودعوه أممهم إلى تصديق دعوته والإقرار بها.

الأنبياء على دين النبي الأكرم (ص)

ومن ثم فإن هذه الآية المباركة تدل على أن الأنبياء بعد إيمانهم بالله عز وجل هم آمنوا بخاتم الأنبياء وبمشايعة و بمؤازرته، فالأنبياء كانوا على دين النبي (ص) وهو الإسلام.

قال تعالى في الآية المباركة «مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ» معناه أن النبي الأكرم (ص) ليس تابِعاً للأنبياء والتعبير بمصدق وليس التعبير بمؤمن أى أنه (ص) مشرف على مقامات الأنبياء،

١- آل عمران: ٨١.

٢- البدايه والنهائيه، ابن كثير، ج ٢، باب مبعث رسول الله (ص) تسليماً كثيراً.

٣- وهذا لا يخص طائفه من الأنبياء دون غيرهم، بل بمن فيهم من أولى العزم من الرسل صلوات الله عليهم.

ص: ١٣٤

وليست مقاماتهم غيب بالنسبة إليه ليقال مؤمن بهم وهذا بخلافهم مع مقامه فإنهم يؤمنون به لأن مقامه غيب لهم وليسوا بمشرفين مستعنين على مقامه، بل تابع للوحي الإلهي جملة، الذي هو فعل الله تعالى؛ ولذا لم يأمر الله عز وجل نبيه الأكرم (ص) بالافتداء بالأنبياء وإنما بالهدى الذي هم عليه، قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَاهُمْ اِقْتَدُوا» (١).

فالنبي الأكرم (ص) ليس عل هدى نبي من الأنبياء وليس هو تابعاً لأحد من الرسل، بل هو على هدى الله عز وجل، وهو أول المسلمين، والفتاح الأول للهدى الإلهي والدين الإسلامي الواحد هو خاتم الأنبياء، ولم يُعبر عن نبي من الأنبياء في القرآن الكريم بأنه أول المسلمين على الإطلاق سوى النبي محمد (ص)، وذلك في قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (٢) وقوله تعالى: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» (٣).

وأما سائر الأنبياء فقد عُبر عنهم في القرآن الكريم بأنهم من المسلمين، بما فيهم الأنبياء من أولى العزم، فقد حكى الله عز وجل على لسان نوح قوله:

«فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (٤) ولم يُعبر عنه بأنه أول المسلمين، ولا شك أن الدين عند الله عز وجل واحد، قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (٥)، ولا يتقبل من أى مخلوق من المخلوقات غير الإسلام، قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٦)، فالنبي الأكرم (ص) أول المسلمين وأول من نطق بالميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء والمرسلين كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قَبْلَ نَبِيِّنَا أَنْ يَخْبُرُوا أُمَّهَم

١- الأنعام: ٩٠.

٢- الأنعام: ١٦٢ و ١٦٣.

٣- الزمر: ١١ و ١٢.

٤- يونس: ٧٢.

٥- آل عمران: ١٩.

٦- آل عمران: ٨٥.

ص: ١٣٥

بمبعثه ونعته، ويششروهم به، ويأمرهم بتصديقه (١) وفي الهداية الكبرى للخصبي في حديث له (ص) حيث يقول: وقد علمتم أن الميثاق أخذ لي على جميع النبيين، وأنا الرسول الذي ختم الله بي الرسل، وهو قوله «رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» (٢).

«فكنت والله قبلهم وبعثت بعدهم وأعطيت ما أعطوا وزادني ربي من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيري، فمن ذلك إنه أخذ لي الميثاق على سائر النبيين ولم يأخذ ميثاقى لأحد، ومن ذلك ما نبأ نبياً ولا أرسل رسولاً إلا أمره بالإقرار بي وأن يبشر أمته بمبعثي ورسالتي» (٣).

فهو بذلك أفضل الأنبياء والرسل وهو الإمام المتبوع وهم المأمومون التابعون له في دين الإسلام، فضلاً عن غيرهم من المخلوقين، ولذا ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن بعض قريش قال لرسول الله (ص): بأى شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين: «وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسِيْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله» (٤).

فمن خلال هذه الأحاديث يُعلم بأن النبي (ص) له منزله عظيمه عند الله سبحانه وتعالى فهو سيد ولد آدم عليه السلام فلماذا بُعث لجميع الأمم والأزمنة والعصور، بعكس الأنبياء والرسل حيث منهم من بُعث لأجل قومه والمدينه التي كان يعيش فيها وبعضهم أرسل لبعض الأمم دون سواها، فإقرار الأنبياء بنبوه الرسول الأكرم (ص) ونصرته لإعلاء كلمه واحده وهى التوحيد، فلذلك آمن به حتى من لا يدين بدين الإسلام كاليهود والنصارى فى حياته ومماته لصراحه البشائر الكثيره فى التواره والأنجيل.

فالنبي الأكرم هو على هدى الله سبحانه وتعالى، ومصداق لما مع الأنبياء، أى شاهد على ما هم عليه من دينه الحنيف وبامضائه يُصدق ما هم عليه، أما الأنبياء فهم يؤمنون بخاتم الأنبياء (لئؤمنن به) لا أنهم يؤمنون بما معه، فإيمانهم بذات النبي (ص)، فهو (ص) شاهد مطلع

١- بحار الأنوار، المجلسى، ج ١٥، باب ٢، البشائر بمولده ونبوته.

٢- الأحزاب: ٤٠.

٣- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، ص ٣٨٠.

٤- الكافي، ج ١، ص ٤٤١.

ص: ١٣٦

مصدق على ما عندهم، وأما هم فيؤمنون به، وهذا يعني أنه لا يوجد في مقامات الأنبياء ودرجاتهم عند الله تعالى ما هو غيب عن النبي (ص)، وأما الذي يؤمن بذات النبي (ص) وهم سائر الأنبياء عليهم السلام فهو يؤمن بأمر غيبي، فمقام النبي (ص) بالنسبة إلى باقي الأنبياء غيب الغيوب، وأما مقامات سائر الأنبياء فالنبي الأكرم (ص) مطلع عليها ويعلمها ويشهد لها على صدقها، والأنبياء في أصل نيلهم لمقام النبوه إنما استأهلوه بعد أن آمنوا بخاتم الأنبياء قبل سائر الأرواح في عالم الأرواح وشرطوا على أنفسهم التولى لسيد الأنبياء (ص) ولذا فإنه (ص) شفيع الكل، والأنبياء لم ينالوا ما نالوا إلا بالديانته لخاتم الأنبياء، فهو الشفيع لقبول الأعمال، وهو باب رحمه الله العامه قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (١).

ومن ذلك كله يتضح ان هذه الآيه المباركه نص في المقام الثالث، وأن التوجه إلى الله لنيل أى مقام أو قربى أو زلفى لا يتم إلا بالتوسل بالنبي (ص) والتشفع به، وبالتشفع به (ص) يعطى للعبد أعظم الأرزاق بعد إيمانه بسيد الأنبياء والمرسلين.

ثم إن الآيه الكريمة رسمت خطوره الأمر في ضمن تأكيدات مغلظه، حيث جاء فيها قوله تعالى: «أَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِكُمْ إِصْرِي» وبعد أن تم الإقرار والمعاهده والمعاقده المشدده أشهدهم الله تعالى على ذلك، حيث قال: «فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (٢).

أهل البيت عليهم السلام شركاء النبي (ص) في دائره الميثاق

من خلال البحث السابق تبين لدينا بأن الأنبياء لم ينالوا ما نالوا من مقام النبوه إلا بالديانته لخاتم الأنبياء والمرسلين ونصرتة والإيمان بما معه، وتترتب على هذا بأن أهل بيته يشتركون مع النبي الأكرم (ص) في دائره الميثاق والدين الحنيف، الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به والدعوه إليه.

وإن كان أهل البيت عليهم السلام تابعين للنبي (ص) وهم يتوجهون به إلى الله تعالى، وبشفاعته

١- الأنبياء: ١٠٧.

٢- آل عمران: ٨١.

ص: ١٣٧

يكونون معه (ص) في مقامه، وهو مقام الشفاعة العظمى في يوم القيامة.

وهناك وجوه عديدة على اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبي (ص) في دائره الميثاق ما دل على الذي أخذ على الأنبياء لينصروه ويدعون إليه وإليك بعضها مضافاً إلى الآيات الداله على شراكه المقامات كآيه المباهله في الحجية «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» وآيه التطهير وآيه الطاعه وآيات أخرى هذا مضافاً إلى ما في الروايات:

١- من هذه الوجوه بأن الأنبياء والمرسلين سوف يقاتلون بين يدي إمام المهدي المنتظر (عج) كما نصت على ذلك الروايات المتظافره في ما يختص برجعه الأئمه عليهم السلام، حيث جاء فيها أن عيسى عليه السلام وإدريس والخضر عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدي الإمام المهدي عليه السلام عند قيامه بدوله الحق والعدل.

وهذا من طرق الفريقين، بل إن بعض الروايات الصادره عن أهل البيت والرساله نصت بأن جميع الأنبياء والمرسلين سوف يقاتلون مع الأئمه عليهم السلام عند رجوعهم وقيام الدوله العالميه المباركه.

ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الرزوايات التي وردت في هذا المجال:

منها: الروايات التي دلت على أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ينزل لنصره المهدي عليه السلام، ويبايعه ويصلي خلفه.

عن حذيفه بن اليمان قال: قال رسول الله (ص):

«يلتفت المهدي عليه السلام وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء (١) فيقول المهدي: تقدّم وصل بالناس، فيقول عيسى بن مريم: إنما أقيمت الصلاه لك، فيصلي عيسى خلف رجل من ولدي، فإذا صُليت قام عيسى حتى جلس في المقام فيبايعه» (٢).

منها: عن الإمام الصادق عليه السلام: أتى يهودى إلى النبي (ص)، فقام بين يديه يحد النظر إليه،

١- أى إن شعر رأسه يلمع كأنما دهن شعره.

٢- عقد الدرر، صص ٢٢٩ و٢٣٠، وقال بعد ذكر الحديث: أخرجه الحافظ أبو نعيم في (مناقب المهدي) والطبراني في مُعجمه.

ص: ١٣٨

فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذى كلمه الله تعالى، وأنزل عليه التوراه والعصا وقلق له البحر وأظله بالغمام؟ فقال له النبي (ص):

«إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكن أقول: إنَّ آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد لئلا غفرت لي فغفر الله له، وأن نوحاً عليه السلام لما ركب فى السفينه وخاف الغرق، قال: اللهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد (لما أنجيتنى) من الغرق، فنجاه الله منه، وإنَّ إبراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمّد لما أنجيتنى منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه فأوجس فى نفسه خيفه، قال:

اللهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد (لما آمنتني) منها، فقال الله جل جلاله: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» (١).

يا يهودى: إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى وبنبوتى ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوه، يا يهودى من ذريتى المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدمه وصلى خلفه» (٢).

وذكر الإمام أبو إسحاق الثعلبي فى تفسير القرآن العزيز فى قصه أصحاب الكهف قال: وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي عليه السلام يقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله عز وجل ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة (٣).

وجاء فى بعض الروايات بأن أهل الكهف هم من أعوان المهدي ووزارته، كما يمد الله الإمام بثلاثه آلاف من الملائكة، وروى المفضل بن عمر، عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

«يخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفه سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً» (٤).

نصره عيسى عليه السلام والأوصياء للإمام المهدي عليه السلام وأعوانه نصره للنبي (ص)، فإنه بنصر الإمام عليه السلام كما

١- طه: ٦٨.

٢- الإرشاد، المفيد، ج ٢، ص ٣٦١.

٣- البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان، المتقى الهندي، ص ٨٧.

٤- الأرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، باب سيره القائم عليه السلام عند قيامه.

ص: ١٣٩

هو مقتضى التكليف بذلك أستأهل النبي عيسى عليه السلام النبوه، فتسليم الأنبياء لهؤلاء الحجج هو تسليم لغيبه تعالى، وهذا من أعظم ما ابتلى به الأنبياء من أخذ الميثاق لهم.

منها: الروايات الواردة التي دلت على أن نصره الأنبياء للرسول (ص) إنما تحصل بالنصره لوصيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

فمن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله (ص) قال:

«وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق وموآثيق أنبيائي ورسلي، أخذت موآثيقهم لي بالرؤييه، ولك يا محمد بالنبوه، ولعلي بن أبي طالب بالولاية.» (١).

وكذلك الروايات الداله على نصره أمير المؤمنين عليه السلام والقتال بين يديه في دولته المباركه، نظير ما أخرجه سعد بن عبد الله القمي عن فيض بن أبي شيبه، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول، وتلا هذه الآية: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ»: «ليؤمنن برسول الله (ص) ولتنصرن علياً أمير المؤمنين عليه السلام» .

قال: «نعم والله من لدن آدم فهلم جراً، فلم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب» (٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوساً ننظر رسول الله (ص) فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

قال أبو بكر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل (٣) الترغيب في نصره علي» .

فمن الواضح بأن نصره أمير المؤمنين عليه السلام نصره لرسول الله (ص) ولا تتعلق بالقرابه التي هي متصله بالرسول بل هذا أمر إلهي جاء من عند الله سبحانه تعالى، كما إن ولاية النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام أخذت من جميع الملائكه وسائر الكائنات، لأنها لا تختص

١- بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٨.

٢- مختصر بصائر، الحسن بن سليمان الحلبي، ص ٢٥.

٣- خصائص أمير المؤمنين، النسائي، الترغيب في نصره علي، ص ١٣١.

ص: ١٤٠

بالموجودات الأرضية فقط، بل هم سفراء الله بينه وبين خلقه في كل المقامات العلمية والتكوينية.

اقتران أهل البيت عليهم السلام بالنبي (ص) في الطهاره

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١)، حيث قرنت هذه الآيه المباركه بالنبي الأكرم (ص) أهل بيته عليهم السلام وجعلتهم شركاء له تابعون في الطهاره، وهى تعنى درجه العصمه التى للرسول (ص)، فهو (ص) سيد الأنبياء ويفوق الكل فى درجه العصمه والطهاره، إلا أن سنخ العصمه التى لأهل البيت عليهم السلام متقاربه مع سنخ عصمته (ص)، ففى الوقت الذى قرن الله تعالى بنبيه (ص) أهل بيته فى العصمه والطهاره، لم يقرن أحداً من الأنبياء فى نمط التطهير والعصمه الذى له (ص).

كذلك فى قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِدِ مِآ حِاءِ كَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٢)، فلم يُنزل أحد كنفس النبى (ص) إلا على عليه السلام، وقرن الله تعالى بالنبي (ص) أهل بيته عليهم السلام فى الحجية، فالخمسه عليهم السلام معاً حجج على جميع الأديان السماويه والبشرية عموماً إلى يوم القيامة، فهم عليهم السلام شركاء النبى (ص) فى مسؤوليه الرساله؛ لأن المباهله نوع محالفه، وفى الحلف لا بد أن يحلف الأصيل ولا وكاله فى الحلف، وهذا يعنى أنهم عليهم السلام شركاء فى الرساله أصاله، ولكنهم تابعون فى ذلك للنبي (ص) وهو سيدهم وبشفاعته نالوا الأصاله فى الحجية.

والحاصل: إن أهل البيت عليهم السلام مقرونون بسيد الأنبياء فى المقامات تبعاً له (ص)، وهذا يعنى أن الإيمان بأهل البيت والتولى لهم من الدين الذى أخذ على الأنبياء ومن الإيمان به ونصرته لأجل نيل المقامات العاليه عندالله تعالى.

وهذا هو المستفاد من الآيات المباركه الداله على عموم شرطيه التوسل بالنبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام لصحه الإيمان وللتوبه وسائر العبادات ولنيل مقامات القرب.

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- آل عمران: ٦١.

ص: ١٤١

النبي وأهل بيته هم كلمات الله التامات «صلوات الله عليهم أجمعين»

قال الله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (١) ورد لفظه الكلمه والكلمات في عدة سور من الآيات الكريمة، والكلمه مقاربه في معناها لمعنى لفظ الآيه، حيث إن معناها العلامه الداله على معنى ومدلول ما، وقد أطلق لفظ الآيه على الوجودات التكوينية في موارد عديده من القرآن الكريم.

كما أن لفظه (الاسم) قريبه من معنى (الكلمه والآيه) التي هي بمعنى السمه وهو العلامه أيضاً الداله على شيء أو معنى ما.

وهناك شواهد كثيره في القرآن الكريم على معنى لفظه (الكلمه) وإليك بعضها:

منها: ما أطلق تعالى على عيسى بن مريم عليه السلام في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» (٢)، وهذا الإطلاق ليس مجازياً، بل حقيقياً؛ لكون الأصل في معنى الكلمه هو الشيء الموجود لأجل الدلاله على المعنى الخفى، وأى دلالة أعظم على صفات الله من أنبيائه ورسله والأوصياء والحجج الذين يقتدى ويهتدى بهم كما يهدى الله بكلماته، والآيه الكريمة ناظره إلى هذا المعنى.

منها: إذ امتحن الله إبراهيم الخليل عليه السلام بالعهود والمواثيق والأوامر وأعظم ما ابتلى به إبراهيم من أخذ الميثاق لهم عليهم أفضل الصلوات والسلام قال الله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» (٣) حيث جاءت الكلمات بمعنى الامتحان والاختبار الذى تتعلق بشؤون (الإمامه) والتي أشرف مصاديقها على الإطلاق وأكرمها عند الله عز وجل هم محمد وآل بيته الطاهرون عليهم أفضل الصلاه والسلام وقد مرث آيه أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان بسيد الرسل كشرط لنيل النبوه وكل مقام غيبى كالإمامه وغيرها.

فهذه الكلمات هي ميثاق إبراهيم عليه السلام لما أتمها وآمن وأسلم بواسطتها لله رب العالمين

١- البقره: ٣٧.

٢- آل عمران: ٤٥.

٣- البقره: ١٢٤.

ص: ١٤٢

استحق مقام الإمامة الإلهية، فامتحن إبراهيم بالإيمان والتصديق بها نظير ما ورد في شأن مريم أنها صدقت بكلمات ربها، فهذه الكلمات هي حجج الله الناطقة من نبي أو رسول أو وصي وكان إتمامها سبباً لنيل المقامات العاليه وهي محمد (ص) الطاهرين عليهم السلام.

منها: ما أطلق على حجج الله تعالى (الكلمات) من باب تشبيههم بكلمات الله التي يهتدى بها المهتدون، وقد أطلق عليهم كلمات الله «التامه» في كثير من الأخبار لدى الفريقين والزيارات الخاصه بهم عليهم الصلاه والسلام.

وقد ورد في جملة من هذه الأحاديث عن الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام ففي مناقب ابن المغازلي الشافعي، بإسناده عن ابن عباس: «سألت النبي (ص) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت على فتاب عليه» (١).

وجاء في ينابيع الموده للقندوزي الحنفي عن المفضل قال: سألت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله عز وجل: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يارب أسألك بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت على، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت: يا ابن رسول الله فما يعنى بقوله: «فَأَتَمَّهُنَّ»؟ قال: يعنى أتمهن إلى القائم المهدي اثني عشر إماماً تسعه من ولد الحسين عليهم السلام (٢).

وهذه الأسماء هي التي كانت في باطن عالم الملكوت لم يكن يعلم بها الملائكة، تلقاها آدم من ربه وهي أعظم الكلمات الحيه العاقله الشاعره قال الله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» ومن تلك الأسماء هو خاتم النبيين صلوات الله عليه، وقد ورد في المستدرک أنه لولاه لما خلق آدم ولا الجنة ولا النار (٣).

وإذا كان أبرز مصاديق الأسماء هو النبي (ص) فبقية الكلمات والآيات هم أهل بيته

١- مناقب ابن المغازلي، ص ٦٣؛ وعنه: ينابيع الموده، ج ١، ص ٢٨٨؛ تفسير الدر المنثور، ج ١، صص ٦٠ و٦١ ذيل الآيه عن ابن النجار.

٢- ينابيع الموده، القندوزي الحنفي، ج ١، باب الرابع والعشرون في تفسير قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ» .

٣- المستدرک، ج ٢، صص ٦٧١ و٦٧٢.

ص: ١٤٣

عليهم أفضل السلام بقريته الروايات الواردة والآيات القرآنية المقرنة أهل البيت بالنبي (ص)، ولا سيما أن العقائد الإسلامية ليست خاصة ببعته النبي (ص) بل بُعث به كافة الأنبياء والرسل.

والميثاق الذي تحمله آدم وآمن به ونال بواسطته مقام الخلافة هو الولاية للنبي الأكرم (ص) وأهل البيت عليهم السلام، وهو شرط لنيل المقامات العظيمة عند الله تعالى كالنبوه والرسالة.

وبذلك كل ما هو داخل في دائره الدين يكون من الميثاق الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته والتسليم له، ومن الدين ولاية أهل البيت عليهم السلام بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (١) حيث نصت روايات الفريقين على أن هذا المقطع من الآية المباركة نزل عند تنصيب الله عز وجل أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الخلافة والإمامه بعد رسول (ص) وذلك في واقعه غدیر خم (٢) وبهذا تكون الإمامه والولاية داخله في منطق الدين وليست داخله في فروع الشريعة، بل هي تتلو أصل النبوه، والذي كُمل به الدين أمر بنبوي ومحوري.

ومن ثم كان (الدين) عبارته عن ولايه الله وولايه الرسول وولايه أولى الأمر والطاعه لهم، قال تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٣).

والولاية والطاعه أصاله الله وبالتبع للنبي وأولى الأمر بإذن وأمر الله تعالى، كما أخضع الله عز وجل ملائكته ومن خلق من الجن وغيرهم لولي الله وخليفته آدم.

إذن الولاية والخلافة بعد رسول الله (ص) من الدين الذي بُعث به جميع الأنبياء، وهم مخاطبون بآيات الولاية والقربى والموده عند رجوعهم للنصره، ومأمورون بطاعه أولى الأمر والموده للقربى والتوجه بهم إلى الله تعالى.

١- المائدة: ٣.

٢- كتاب الغدير، الإمينى، ج ١ - ١١، وشرح إحقاق الحق، ج ٥، الحديث الثالث والستون، حيث تتبعا الروايات في هذا المجال.

٣- المائدة: ٥٥ و ٥٦.

ص: ١٤٤

فيعسى عليه السلام عند نزوله من السماء يعمل بالقرآن الكريم ويشمله الخطاب في قوله تعالى: «إِنَّمَا وَكَّيْتُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ويصلى خلف ولي الله الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ويشمله خطاب آيات الفىء والخمس، كما فى قوله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِخْوَتِهِ الَّذِينَ قَرَّبُوا وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ» (١).

فإن الآيه المباركه تبين أن أولياء الخمس الذين لهم حق التصرف والولاية على ضريبه اقتصاد الدوله الإسلاميه هم الله تعالى ورسوله وذوى القربى، بقربينه الاشتراك بـ(اللام) الداله على ملكيه التصرف فى أموال الدوله الإسلاميه، وأما اليتامى والمساكين وابن السبيل فهم موارد مصرف الخمس؛ ولذا تغير التعبير فيهم بحذف اللام.

فعلى الأنبياء نصره ولى الله والإيمان بذات الرسول (ص)، لأنها من المواثيق والعهود الذى أخذه الله على أنبيائه، وتسليمهم بما أنزل إليهم مظهراً تاماً من مظاهر العبوديه لله سبحانه وتعالى فعن أبى عبد الله عليه السلام عن رسول الله (ص) قال: «وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائى ورسلى، أخذت مواثيقهم لى بالربوبيه، ولك يا محمد بالنبوه، ولعلى بن أبى طالب بالولاية. . .» (٢) وهذا يعنى بأن ولاية على عليه السلام بُعث بها جميع الأنبياء والرسل.

كذلك بنفس البيان مفاد ما ورد فى قوله تعالى: «مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِخْوَتِهِ الَّذِينَ قَرَّبُوا وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَّمَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» (٣) والفىء هو ثروات كل الأرض، فلاقامه العداله المالىه والاقتصاديه على الأرض لابد أن تدار الأموال العامه التى ترجع إلى بلاد الإسلام بولاية الله ورسوله وذوى القربى، وهم قربى الرسول الأكرم الذين جعلت مودتهم أجراً وعدلاً لما جاء به النبي الأكرم من الدين الحنيف، وذلك فى قوله تعالى: «قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٤).

١- الأنفال: ٤١.

٢- بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٨.

٣- الحشر: ٧.

٤- الشورى: ٢٣.

ص: ١٤٥

فموده ذوى القربى أمر عظيم إذا سَلِمَ سَلِمَت بقيه أصول الدين كما يشير إلى ذلك تقابل المعادله فى الآيه أى العدليه بين الموده وكل الدين الحنيف، ولا- يوجد قربى للنبي الأكرم (ص) بهذا الشأن الخطير سوى المعصومين من أهل بيته، فولايتهم عاصمه من الضلال وهى ركن ركين فى الدين الذى بُعث به الأنبياء كافة.

كما تقدم فى الأبحاث السابقه بأن الولايه دين الله الذى بالتسليم به استحق الأنبياء مقام النبوه كل بحسب ما بلغه من درجه التسليم، فإن للولايه والتسليم درجات وبحسب درجه التسليم لكل نبي يعطى ذلك النبي مقام الحظوه عندالله تعالى ويستحق مقام النبوه، وإذا ازدادت درجه التسليم كان ذلك النبي من أولى العزم، تفضيل الأنبياء الوارد فى قوله تعالى: «لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» (١)، كذلك تفضيل الرسل، كما فى قوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» (٢)، كل ذلك التفضيل بحسب درجه التسليم والتولى لدين الله عز وجل، وذلك بعد الولايه لله تعالى بالولايه للنبي الأكرم (ص) وأهل بيته، فالتسليم للنبي وأهل بيته والإيمان بولايتهم نوع توجه قلبى إلى الله عز وجل بهم، وهو شرط لنيل المقامات العظيمه عندالله تعالى كالنبوه والرساله، فضلاً عن غيرها من العبادات وقبول التوبه واستدراار الأرزاق الإلهيه.

والمسؤوليات التى وضعها الله على عاتق الأنبياء هى عبارته عن اختبار من قبله سبحانه وتعالى، وهذا المقام العظيم لا يناله إلا الطاهرون والمعصومون من ذريته لكى يمنحه الله الوسام الكبير: «قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» (٣) من ثم لم يُبعث نبي من الأنبياء إلا بعد أن آمن وسلم بالدين الذى هو ولايه النبي (ص) وولايه أهل بيته ومن ثم كان التعبير فى الآيه بالكلمات وهى التى يصدق بها كما ورد فى شأن مريم «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» أى آمنت

١- الإسراء: ٥٥.

٢- البقره: ٢٥٣.

٣- البقره: ١٢٤.

ص: ١٤٦

بها واطلقت الكلمه على حجج الله تعالى من البشر كالنبي عيسى عليه السلام فلا محاله تلك الكلمات التي امتحن بها النبي إبراهيم عليه السلام من الحجج هم أفضل مقاماً من إبراهيم وعيسى وهو سيد الأنبياء (ص) وعترته عليهم السلام والإمامه في ذريه إبراهيم أبرزهم سيد الأنبياء ثم عترته المطهرين فأشير إليهم في الآيه «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» .

قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسِئُوا تَسْلِيماً» (١) فولايه الله وولايه الرسول وأولى الأمر والتسليم لهم فيها درجات، لكل نبي يعطى ذلك المقام على قدر درجه التسليم.

قال أبو عبدالله عليه السلام «عليكم بالتسليم» . (٢)

وفيه بإسناد صحيح عنه عليه السلام قال: «إنما كلف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه» . (٣)

فنقول بأن «التسليم» هو عبارته عن زياده الخضوع القلبى الباطنى، فإذا كان كذلك تتحقق العباده الخالصة لله سبحانه وتعالى وحده من دون استكبار النفس، وبهذه المرتبه الإيمانيه تصح بها الأعمال العباديه، وتفتح بها أبواب السماء كما يشير إليه قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» (٤) فلا بد فى الامتثال لأوامر الله من التوجه بالنبي وأهل بيته الطاهرين والتمسك بولايتهم.

التسليم زياره للنبي (ص)

قد اتفقت أيضاً كلمه جمهور مذاهب المسلمين على رجحان التسليم على النبي (ص) بلفظ: «السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته» وذلك قبل التسليم المخرج من الصلاه، أى أن التسليم على النبي (ص) يأتى به المصلى ولما يخرج بعد من الصلاه.

١- النساء: ٦٥.

٢- الكافي، ج ١، ص ٣٩٠.

٣- المصدر نفسه.

٤- الأعراف: ٤٠.

ص: ١٤٧

ومؤدى هذا التسليم من المصلى وهو فى صلاته أنه زياره من المصلى إلى النبى (ص) من كل الأمة، من كل مؤمن ومسلم، فى اليوم خمس مرات، بل فى كل صلاة يأتى بها، كما أن هذه الزيارة والتسليم للنبى ينطوى على مخاطبه النبى بـ(كاف) الخطاب، كما ينطوى على نداء النبى ومخاطبته (ص) بـ(ياء) النداء القريب: «أيها».

وهذا كله من التسليم والزيارة للنبى (ص) ومخاطبته بالنداء القريب والمصلى فى صلاته ونجواه لربه وخطابه مع بارئه، ففى محضر الوفاة الربانية والضيافة الإلهية يتوجه المصلى بالالتفات لنبىه؛ إذ هو باب الله الأعظم، فكما بدأ صلاته بالإقرار بالرسالة للنبى (ص) بعد الإقرار بالتوحيد فى الأذان والإقامة وتوجه به فى بدو الصلاة، عاود وتوجه إليه وبه إلى الله، فهذه الصلاة التى هى عمود الدين ومعراج المؤمن إلى ربه ونجواه مع خالقه يزدلف إلى ربه بالولاية لنبىه والتعظيم له وتوقيره.

قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١).

حبط الأعمال وقبولها

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَمَّا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (٢).

فهذه الآيه الشريفه تبين بأن الخضوع للنبى (ص) والإقبال عليه والتوجه إليه وتوقيره

١- الأعراف: ١٥٧.

٢- الحجرات: ٢ - ٤.

ص: ١٤٨

وتعظيمه وحفظ الأدب في حضرته سبب وواسطه في قبول الأعمال، وأن رفع الصوت فوق صوته (ص) والجهر له بالقول من سوء الأدب وقلة الاحترام والتوقير الموجب لحبط الأعمال؛ وذلك لأن الخضوع للنبي (ص) تعظيم له بما هو آية كبرى من آيات الله عز وجل وشعيره من شعائره ومعلماً من أعلام دينه، كما في قوله تعالى «ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (١).

وفي ذلك دلالة واضحة على عظمه الرسول الأكرم (ص) وبأنه أكرم الخلق على الله سبحانه وتعالى، فهذا المقام والتقديس من البارئ هدايه منه تعالى إلى باب الذي منه يؤتى، والصد عن هذا الباب الأعظم وعن الالتجاء إليه من صفات المنافقين قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَتْهُمُ بِصُدُونٍ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» (٢).

الحاصل: تبين مما مر أن التصديق بالآيات و «الكلمات» والتوجه والخضوع لها عبارته عن التسليم لولايتهم والانقياد والتعظيم لهم سلام الله عليهم، وقد تقدم أن الكلمات التي تلقاها آدم من نصوص الفريقين منها اسم النبي (ص).

ومقتضى التعبير أن هناك أسماء أخرى توجه بها آدم ليتوب الله بها عليه، كذلك في الكلمات التي امتحن بها إبراهيم لنيل مقام الإمامه، الامتحان كان بكلمات، لا بكلمه واحده، وأن هناك جناس في لفظ «الكلمات» في قصة آدم وإبراهيم عليه السلام وأن أبرز تلك الكلمات هي اسم النبي (ص) كما في روايات الفريقين، فهناك أسماء مقرونه مع اسم النبي، وولايتها مقرونه بولاية النبي (ص).

التكذيب بآيات الله تعالى موجب لحبط الأعمال

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفُخَنَّ لَهُمُ أُنُوفَهُمْ وَلَيَكُونُنَّ مِنَّا جَنًّا وَمَا يَكُونُونَ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (٣) هذه الآية المباركه تتعرض

١- الحج: ٣٢.

٢- المنافقون: ٥.

٣- الأعراف: ٤٠.

ص: ١٤٩

لبعض الأحكام المترتبة على التكذيب بآيات الله تعالى.

والمقصود من الآيات هي الحجج الإلهية، حيث أطلق الله عز وجل لفظ الآية على مريم وعيسى عليهما السلام «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» (١)، وإذا كان عيسى عليه السلام لم ينل ما ناله إلا بولايته وإقراره وإيمانه بسيد الأنبياء فكيف بنفس النبي الأكرم (ص)، فهو أعظم آية لله تعالى؟ وإذا كان عيسى عليه السلام من وزراء الإمام المهدي عليه السلام وتابعا له في دولته، فكيف لا يكون أهل البيت عليهم السلام من أعظم آيات الله تعالى؟ خصوصاً وأن الله تعالى قرن بالنبي الأكرم (ص) أهل بيته عليهم السلام في الطهاره والعصمه والحجيه والولاية وغيرها من المقامات التي تقدم التعرض لها آنفاً، فلا شك أن النبي الأكرم (ص) وأهل بيته عليهم السلام المصدق البارز للآية التي نحن بصدد بيانها، فهم عليهم السلام أوضح وأبرز وأعظم آيات الله تعالى.

والذين يكذبون بآيات الله تعالى ويصدون ويستكبرون عنها - كما فعل إبليس مع آدم عليه السلام - لا تفتح لهم أبواب السماء، فلكى تفتح أبواب السماء لقبول الأعمال والعبادات والعقائد وجميع المقامات، وقد قال تعالى:

«إِلَيْهِ يَصِيرُ عَدُوُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ» (٢) والكلم الطيب هو العقيدة، فبينت الآية أن الإيمان والعقيدة لا بد له أن يصعد في مسير قبوله عند الله تعالى، والصعود إلى السماء لا بد أن تفتح له أبواب السماء، وقد بينت الآية السابقة أن مفتاح أبواب السماء هو كل من التصديق بالآيات الإلهية والخضوع لها واللجوء إليها وعدم الصد عنها، ومن أجل الرقى والعروج إلى السماء لا بد من التوجه إلى آيات الله تعالى واللجوء إليها والتصديق بها وعدم الصد عنها، فالآية صريحة في أن التوبة والعبادة وأي قربى أو زلفى إلى الله عز وجل تفتقر إلى تفتح أبواب السماء وأنها لا تفتح أبداً مع الاستكبار على الآيات الإلهية، فليس الإيمان بآيات الله فحسب كافٍ في قبول العبادات ورقى المقامات، بل لا بد من المودة والصله والإقبال والتوجه إلى الآيات والتوسل بها إلى الله، وعدم الصد والإعراض والاستكبار عنها، لأن

١- المؤمنون: ٥٠.

٢- فاطر: ١٠.

ص: ١٥٠

الآية جعلت شرطين لفتح أبواب السماء ولدخول الجنة:

الأول: عدم التكذيب، أي التصديق والإيمان والمعرفة بآيات الله الحجج.

والثاني: عدم الاستكبار عنها، وهذا الأمر يتضمن شيئين:

أحدهما: عدم الاستكبار أي الخضوع والتواضع، وثانيتهما: عدم الصد الذي قد ضُمن في فعل الاستكبار بقريته (عن)، نظير ما ذكرته الآيات في سبب كفر إبليس «أَبَى وَاسْتَكْبَرَ» فالإباء هو الجحود مقابل التصديق، والاستكبار مقابل الخضوع والاتباع.

ونظير ذلك ما ورد في سورة المنافقين في قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَتْهُمُ بِصُدُونٍ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» (١).

وهذه الآية الكريمة صريحة في أن الاستغفار وقبول التوبة متوقف على المجيء إلى النبي (ص)، وأن صفة المنافق الصد عن الآيات الإلهية والاستكبار عليها والابتعاد عنها وعدم اللجوء واللواذ إليها، وهذا نوع من التشاهد بين الآيات القرآنية، فالآية تدل على أن الأوبه إلى الله تعالى والقرب إليه لا بد فيه من التوجه أولاً إلى الحضرة النبويه والتوسل والاستشفاع بالنبي (ص) ثم شفاعته.

فالتوسل خيار حصري لا بدى شرطى منحصر بالمجيء واللجوء إلى الحضرة النبويه واللواذ بها والاستغائه به (ص)، ثم إبداء التوبة والاستغفار وإمضاء النبي (ص) له باستغفاره وشفاعته لهم من أجل تحقق التوبة ومقام المغفرة وقبول العبادة التي منها عباده التوبة

ونظير هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٢).

ومن الشواهد أيضاً على أن المراد من الآيات هنا هم الأنبياء والخلفاء الأوصياء الحجج هو التعبير بـ «كَذَّبُوا» فإنه مقابل التصديق فيما يزعمون من مناصب وفيما لهم من دعوى، وأما الآية الكونية فليس فيها تكذيب أو تصديق، بل إنما يقع الغفله والإعراض عنها؛ إذ لا

١- المنافقون: ٥.

٢- الأعراف: ٣٦.

ص: ١٥١

يوجد فيها زعم أو دعوى معينه كى يصدق فى حقها التصديق أو التكذيب، فالتصديق أو التكذيب إنما يكون للحجج الإلهية التى تدعى مقاماً إلهياً وكذا فيما تبلغه عن الله تعالى، فالمراد بالآية والآيات فى المقام الحجج الإلهية من الأنبياء والرسل والأصفياء والأوصياء، الذين أسندت إليهم المقامات الإلهية.

والحاصل: إن هذه الآيات المباركة تبين أن مفتاح أبواب سماء الحضرة الربوبية هو الإقرار بالحجج والآيات و التوجه إليها والتوسل والتشبث بها والإنقطاع إليها لا عنها، وأبرز وأعظم تلك الآيات النبى (ص) وأهل بيته عليهم السلام، فهم مفاتيح أبواب السماء فى قبول وصعود التوبة والعبادة والمعرفة والإيمان والعقيدة ونيل المقامات، فلا ترتفع أى عبادة ولا ينال مقام ولا تتحقق التوبة مع عدم التصديق بالآيات وصلتها ومودتها والتوجه إليها والتوسل بها، والإعراض عنها يوجب حبط الأعمال وامتناع دخولهم الجنة فى الآخرة كما فى قوله تعالى: «وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» (١)، ويضيف تعالى للمزيد من التأكيد قائلاً: «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ»، فشرط النجاة يوم القيامة هو الارتباط بالآيات الإلهية والانتماء إليها والتوسل بها، لكونها قنوات غيبية توجب القرب إلى الله تعالى.

فالتوجه إليهم عليهم السلام شرط فى تفتح الأبواب لقبول وصحة الإيمان والتوبة وقبول الأعمال وسائر المقامات.

التوجه إلى خليفه الله لنيل المقامات وقبول الطاعات فى جميع النشآت

القرآن الكريم يحكى لنا فى آيات عديده كيفيه خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، وهذه الآيات التى تحمل معانٍ عظيمة تختص بمقام الإمامه والخلافه، ومن المعلوم إن الأمر بسجود الملائكة وخضوعها وانقيادها ليس خاصاً بآدم عليه السلام، لأنها معادله دائمه فى عالم الخلقه لكل من يتحلى بمقام الخلافه الإلهيه، فمن يتحلى بهذا المقام يطوع الله عز وجل له الملائكة

ص: ١٥٢

ويدنون بأجمعهم لله تعالى بطاعته بما فيهم كبار الملائكة المقربين، وهم في كل ما يقومون به من أدوار عظيمه في عالم الإمكان والكون خاضعون لولى الله، وهو خضوع حقيقى قائم على أساس العلو الرتبى التكوينى لخليفه الله تعالى.

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» (١) حيث عبر البارى تعالى «فَقَعُوا» ولم يكتف بذكر ماده السجود بل عبر بالوقوع الفورى، وهذا فيه نوع من التشديد والتأكيد لمعنى الخضوع والتعظيم الخاص بشؤون الخليفه.

فإذا كل خليفه لله هو الباب الأعظم لملائكته، وحينئذ يكون الأمر بالسجود والخضوع للخليفه شامل للأنبياء، وخصوصاً أولى العزم منهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى والرسول الأكرم (ص) وأوصيائه عليهم السلام، فالملائكة المقربون وغيرهم بابهم إلى الله تعالى خليفه الله الذى يُنبئهم بالأسماء والمقامات.

كما عقب البارى تعالى بعد هذه الآيه بقوله «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» (٢) على أن الأمر بالسجود كان لجميع الملائكة ولم يكتف بدلاله الجمع المحلى بأل «الْمَلَائِكَةُ» بل أردف بالتأكيد بـ «أَجْمَعُونَ» و «كُلُّهُمْ» للدلاله على الاستغراق، وبذلك شامل لجبرئيل واسرافيل وميكائيل عليهم أفضل الصلاه والسلام الذين لهم دورٌ فى شؤون الخلقه والوحى النبوى.

ففى عالم الغيب الذى هو خال عن نشأه التشريع الأرضى، وليس خالٍ عن الدين الإلهى، كما قال تعالى: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٣)، افتقرت الملائكة إلى أن يكون بينهم وبين الله تعالى واسطه فى الخضوع والانباء والمعرفه والعباده والتقرب إلى الله تعالى، وهذه الواسطه هو خليفه الله آدم عليه السلام وولىه حيث أمرهم الله التوجه إليه والخضوع له، وهو شرط أوبتهم وقبول عبادتهم وحظوتهم بالمقامات العاليه، فما بالك بالنشآت الأخرى؟

١- الحجر: ٢٨ و ٢٩.

٢- الحجر: ٣٠.

٣- آل عمران: ٨٣.

ص: ١٥٣

وإذا كان أبو البشر نبي الملائكة وقناه الإنباء والفيوضات العلمية وغيرها عليهم من الله تعالى، وهو وليهم وهم طائعون له لا يتمردون عليه ولا ينبغي لهم ذلك، فكيف بسيد البشر؟ «ألا تكون الملائكة منقادته وطائعه له؟» .

ومن هنا تكون الملائكة مشموله بقوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (١) من غير اختصاص بالنشأ الأرضيه، وهذا لوحده الدين وشموله لجميع المخلوقات.

فالخليفة نبي الملائكة وله مقام إنبائهم وتعليمهم؛ لأنه مزود بالعلم اللدني الأسمائي، فهو نبي المعارف وإن لم يكن نبي شريعته للناس في الأرض.

فإن السجود لآدم هو تعبير عن الهدايه الإيصاليه والمتابعه العمليه التي بدونها لا يحصل لهم أى كمال، وهذا الانقياد لم يكن لمجرد مخلوق بل إنما هو لمقام الخلافة الذى جعله الله تعالى لآدم فلازم مقام الخلافة عندالله هو متابعه وانقياد الملائكة والجن (بناء على المشهور ان إبليس من الجن) وهذا هو مفاد الإمامه وهى المتابعه العمليه والعلميه والهدايه الإرائيه والإيصاليه، ويثبت بذلك أن شؤون الإمامه ليست للناس فقط وإنما هى تشمل الملائكة والجن.

وبهذا نعلم بأن لآدم عليه أفضل الصلاه والسلام الولايه التكوينييه على الملائكة، وتكون شؤون الملائكة كلها تحت يده وفى تصرفه.

النتيجه

إن الخلافة ليست محدوده فى الأرض وغير مقيده بهذه النشأ وإن كان المستخلف ذى بدن وسنخه أرضياً، كما أن ولاية النبي عليه أفضل الصلاه والسلام وأهل بيته الطاهرين أخذت على جميع الملائكة وسائر الكائنات، وذلك لكونها من الدين غير الخاص بنشأه من النشآت.

ص: ١٥٤

إذن فنبوه خاتم الأنبياء وولايه سيد الأوصياء لا تختص بالموجودات الأرضيه، وهذا يعنى أن الشهاده الثانيه والثالثه لم تؤخذ على أهل هذه الدنيا فحسب، لأن الإنبياء ونيل الفيوضات عموماً يحتاج إلى وجود خليفه الله ولا بد من التوجه إليه لنيل المقامات وقبول الطاعات فى جميع النشآت؛ لأنه واسطه الله وسفيره بينه وبين خلقه فى كل المقامات العلميه والتكوينيّه.

تأييد رساله الرسول (ص) ووساطته فى الوحي الإلهي لجميع النشآت

فمفاد الشهاده الثانيه والثالثه إقرار بالواسطه الأبدية غير الخاصه بالنشأه الأرضيه، وهذه هى تداعيات ومقتضيات الشهاده الثانيه والثالثه، التى لا يتم التوحيد بدونها، ومن دونها لا يتحقق قرب المخلوق إلى ربه، ذلك المخلوق البعيد عن المقامات الربوبيه وعظمه الصفات الإلهيه.

والخليفه كما ذكرنا له مقام الإخبار والتعليم، فى سائر النشآت وليس هو نبي الشريعه للناس فى الأرض بل معلم إلهي للمعارف وسفير الله بينه وبين خلقه ولا يمكن الاستغناء عن هذا الوسيط الإلهي بالنشأه الأرضيه كما أعتقد قائلهم: «لقد غلبه الوجد حسبنا كتاب الله» (١).

وفسر البعض هذا القول بأنه أراد التخفيف عنه (ص) حين غلبه الوجد، لكن الهدف الحقيقى وراء ذلك محو آثار وأحاديث النبي (ص) وبرر هذا الهدف بقوله: «إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله!! وإني والله لا أشوب - وفى روايه لا- ألبس - كتاب الله بشيء» (٢) ثم قال: «أمنيه كأمنيه أهل الكتاب رأى حتى لا ينشغل الناس بالسنة عن القرآن» (٣) وهذا لعدم المعرفه بمقام النبي الأعظم (ص) وأهل بيته.

وذكرنا فى الأبحاث السابقه بأن مؤدى الشهاده الثانيه ومقتضياتها مفقوده عند هذه الفئه تحت ذريعه أنها تدل على التوسل والتوسط والتوسل بغير الله شرط وإلحاد.

١- شرح النهج البلاغه، ج ١١، فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث؛ الغدير، ج ٥، ص ٣٤١.

٢- كنز العمال، ج ١٠، ص ٢٩٢؛ تدوين القرآن، ص ٣٧١.

٣- تقييد العلم، ص ٥٣؛ الأحكام، ابن حزم، ج ١، ص ١٥٩.

ص: ١٥٥

والذين يكذبون بآيات الله تعالى وأسمائه وكلماته ويستكبرون عنها كما فعل إبليس لا تفتح لهم أبواب السماء، فلا يمكنهم أن يدعوا الله أو يتقربوا إليه، ولا يستجاب لهم دعاؤهم قال تعالى: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَّرَةً» (١).

فالآيات القرآنية صريحة بأن البشر لا يمكنهم أن يتقربوا إلى الباري أو يوحى إليهم بصورة مستقلة من دون الواسطة الربانية قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ» (٢) فالنبي وأهل بيته سفراء الله قبل الخلق وبعد الخلق، فالملائكة محتاجة إلى واسطة علمية بينها وبين الله وإن كانت من عالم السماوات والغيب والدلائل كثيرة في ذلك.

وقد نُقِّحَ في المباحث العقلية بأن الموجود الإنساني حقيقته ليست جهته البدنية التي يحيى بها على هذه الأرض بل إن له مدى أعمق من ذلك، وأن وراء تلك الحقيقة البدنية الأرضية حقيقته بعيدة عن عالم البدن هي الروح التي تكون سابقه على الوجود الأرضي مخلوقه قبل خلق البدن، فلذلك نحتاج إلى ولي يتوجه به إلى الله تعالى ووسيط يخبرنا عن الله، ومن يأبى ذلك يحصل له العتو والاستكبار في نفسه والتعظيم لها، مع أن نفسه صغيرة فقيره بعيدة عن ساحة عظمة الصفات الإلهية قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نُنزَلُ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا» (٣).

الخلاصة

نستفيد من آيات السجود لآدم بأن مؤدى رساله الرسول (ص) ومقتضياتها مرتبطة بالمعارف الدينية الأبدية الشاملة للملائكة والجن والإنس والبرزخ والجنه والنار والآخرة، فضلاً عن النشأة الأرضية، كذلك الواسطة والشهادة الثانية والثالثة شاملة لعالم العقول والأرواح، ولذا نجد أن مجرى الفيض في تكامل عقول علماء هذه الأمة ومستوياتها العلمية

١- المدثر: ٥٢.

٢- الشورى: ٥١.

٣- الفرقان: ٢١.

ص: ١٥٦

في الدين هو النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام، حيث تم بجهودهم المباركة تشييد المعارف الصحيحة ورفض الجبر والتفويض والتجسيم والتشبيه والتعطيل وغيرها من العقائد الفاسدة، فهم عليهم السلام وسائط الفيض وسفراء الأرواح والعقول.

وهذا بيان عقلي لمعطيات الشهادة الثانية والشهادة الثالثة يُضاف إلى البيانات السابقة المعتمده على الآيات القرآنية المباركة.

فنشير إلى القاعده التي نحن فيها ونقول: بأن التوجه والتقرب في المقامات الثلاثة المذكوره تعم جميع الأنبياء والرسل وكل المخلوقات من الملائكة وغيرها.

أهل الكهف آيات للعالمين

حيث بنى على قبورهم وعندها مسجداً تقام فيه الصلاة والعباده لله تعالى.

قال تعالى: «كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا» (١).

الآيه المباركه تشير إلى قصه أصحاب الكهف الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد فقال لنبيه (ص): «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» لوجود آيات عديده أكثر عجباً هي موجوده في السماوات والأرض، والمعجز التي تتعلق بالنبي الأكرم لهي خير مثال في ذلك.

ذكر المفسرون: أن أصحاب الكهف لما بعثوا بأحدهم إلى المدينة بورقهم لجلب الطعام عثر عليهم أهل المدينة وعلموهم بأمرهم جاؤوا إلى الكهف، فلما دخل الذي هو من أصحاب الكهف دعا الله تعالى مع أصحابه أن يميتهم لئلا يكونوا فتنه للناس، فأماهم الله تعالى، وخفى على أهل المدينة مدخل الكهف، فلم يهتدوا إليه (٢).

١- الكهف: ١٩.

٢- لاحظ التبيان، الشيخ الطوسي، ج ٧، ص ٢٦؛ جامع البيان، الطبري، ج ١٥، ص ٢٨١.

ص: ١٥٧

حيث دلت الروايات بأنه كان لهم في ذلك الزمان ملك يقال له: دقيانوس، يعبد الأصنام فبلغه عن الفقيه خلافهم إياه في دينه، فطلبهم فهربوا منه حتى انتهوا إلى الكهف (١) فأرقدتهم قروناً ثم ابتعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح، في فتره بينه وبين النبي الأكرم (ص)، حيث تعرض المسيحيون في زمانه إلى تعذيب شديد.

وقد أيقظهم الله عز وجل بعد هذه الإنامه الطويله لكي يرسخ البارى عقيدته المعاد في قلوب المؤمنين التي تقوم على أساس عوده الناس إلى الحياه مره أخرى عند البعث.

إحياء الله الموتى بعد مماتهم

قال الأندلسى فى تفسيره لهذه الآيه:

«وكما أنماهم تلك النومه، كذلك بعثناهم: إذكاراً بقدرته على الإمامته والبعث جميعاً، ليسأل بعضهم بعضاً ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدره الله، ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به» (٢).

فالذى انتدب منهم ليحضر الطعام الحلال هو رئيسهم تملیخا المخول بهذا الأمر، وهو أحد وزراء (دقيانوس) الذى أنكر عباده الأصنام وأزال الشك عن قلوب الفقيه وألبسهم ثوب التوحيد وأعلن للناس جهراً عبادته لله الواحد القهار ليعلنها ثوره باعتزالهم ورفضهم دين الشرك والظلم والحصول على محيط أكثر استعداد لغرس التوحيد حيث اختار الله لهم حياه أخرى ومكان آخر قال تعالى: «وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا» (٣).

وبعد أن استيقظوا من نومهم توهم لهم إنما باتوا ليله واحده أو بعض يوم وأحسوا بالجوع والعطش قال تعالى: «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» قال ابن عباس أحل ذبيحه؛ لأن أهل

١- تاريخ الطبرى، ج ١، ص ٣٧٣.

٢- تفسير البحر المحيط، الأندلسى، ج ٦، ص ١٠٦.

٣- الكهف: ١٦.

ص: ١٥٨

بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم (١) وطلبهم لطيب الطعام دلالة على اهتمامهم بما كلهم ومشربهم والتجنب عن النجاسات المعنوية فضلاً عن النجاسات والقذرات الظاهرية التي نحرض اليوم على تجنبها، فإن الأكل المشبوه والحرام له تأثير عظيم على صفاء النفس والإقبال على البارئ تعالى واستجابته الدعاء، فبعد دخولهم في مرحله أخرى وصفحات أخرى تتعلق بعوالم نورانية لا بد من تهيئه المقدمات الكثيره تؤهلهم لهذا المقام والمنزله العظيمه.

البعث والمعاد الجسماني

ذكر الطبري في تاريخه: (كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفردوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سُمخانهم. فلبثوا دهرًا طويلاً، حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمه مسلمه، وكان ملكهم مسلماً، واختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: تبعث الروح والجسد جميعاً، وقال قائل: تبعث الروح، وأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئاً، فشق على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المسوح، وجلس على الرماد، ثم دعا الله عز وجل، فقال: يارب، قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم ما يبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف) (٢).

قال تعالى: «وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا- رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا» (٣) لاشك بأن هذه الحادثة كانت آية من آيات الله سبحانه وتعالى، التي بينت لهم بأن البعث بعد الموت يوم القيامة حق لا- ريب فيه وأن الله يبعث من في القبور ويحيى العظام وهي رميم كما حصل مع عزيز الذي أحياه الله بعد مائه عام قال تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَوْمٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ»

١- تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٣٧٥ قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ بُنْيَانًا يُعَلِّمُهُم بِالْآيَاتِ».

٢- ذكر الخبر عن أصحاب الكهف، ج ١، ص ٤٥٧.

٣- الكهف: ٢١.

ص: ١٥٩

« ثُمَّ بَعَثَهُ فَقَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَقَالَ بَلْ لَبِثْتَ مَعَهُ عَامٌ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَيَّرْ لَهُ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١).

وروى أن ابن الكوا قال لعلى عليه السلام: (يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم أولئك ولد عزير حيث مر على قريه خربه، وقد جاء من ضيعه له تحته حمار ومعه شنه (٢) فيها تين (٣) وكوز فيه عصير فمر على قريه خربه فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأما الله مائه عام فتوالد ولده وتناسلوا ثم بعث الله إليه فأحياه فى المولد الذى أماته فيه فأولئك ولده أكبر من أبيهم (٤) وقوله «أَنْتَى يُحْيَى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» لم يكن هذا القول منه إنكاراً للبعث، لكن أحب أن يرى كيف يحيى الله الموتى فيزداد بصيره فى إيمانه، فنام على تلك الحالة.

فما ذكر فى آيه الكهف فى البعث بعد الممات يأتى هنا لتعريف المنكرين قدره الله عز وجل على إحياء خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه بيده الحياه والموت وإنه على كل شىء قدير.

وجاء فى كتاب الاحتجاج عن الصادق عليه السلام فى حديث؛

قد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم اصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعه ثم بعثهم فى زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجبتهم وليريبهم قدرته وليعلموا أن البعث حق «إِذْ يَتَنَازَعُونَ» أعرنا عليهم حين يتنازعون «بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ» أمر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول تبعثان معاً ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما تبعثان معاً (٥).

١- البقره: ٢٥٩.

٢- الشنه: القريه الخلق.

٣- وفى نسختى البحار والبرهان «قتر» وهو مصحف.

٤- تفسير العياشى، ج ١، ص ١٤١، قوله تعالى «إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» ؛ بحار الانوار، ج ١٤، ص ٣٧٤.

٥- الاحتجاج، ج ٢، ص ٨٨.

ص: ١٦٠

فهذا الاطلاع والثور لم يزد على سويغات ليستعلم الناس حالهم واستخبارهم عن قصتهم وإخبارهم بها، فتبين للقوم الحقيقة الثابتة لدى المؤمنين الذين يؤمنون ببعث الروح والجسد معاً في يوم القيامة فيثيب المطيعين ويعذب العاصين، فالمعاد الجسماني هو إعادة كيان الإنسان في يوم البعث ببدنه بعد الخراب، وإرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميمًا.

والظاهر بأن الشكوك التي تثار في المعاد الجسماني تعود إلى قصور الإنسان عن إدراك هذه الأمور الغائبة والخارجة عن محيط وجودنا لأنها تتعلق بالخلق النوراني اللطيف وذلك فوق مستوانا الأرضي الكثيف قال تعالى: «أَلَمْ نَجْمَعِ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِيَ بَنَاتِهِ» (١) لا شك بأن المشككين والمنكرين لهذه العقيدة لن يؤمنوا بهذه الحقيقة الثابتة حتى بعد أن ظهر لهم هذه الآيات العظيمة في أهل الكهف وهذا ما عليه هذه الشذمه الضاله في زماننا.

وقد حكى ابن كثير عن ابن جرير في المتنازعين والقائلين ذلك قولين: أحدهما إنهم المسلمون منهم. والثاني: أهل الشرك منهم (٢).

قال ابن عباس: تنازعا في البنيان والمسجد، قال المسلمون: بنى عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا وقال المشركون: بنى عليهم بنياناً؛ لأنهم من أهل سنتنا (٣).

تنبه الشوكاني (٤) إلى روايه عنهم عليهم السلام التي تلفت إلى عنوان المسجد يُشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل هم أهل السلطان والملك من القوم المذكورين فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم، والأول أولى.

والظاهر بأن المتنازعين اتفقوا على تكريم الفتيه الذين هجروا أوطانهم لنشر عقيدة التوحيد في البلاد ونبذ الوثنيه، غايه الأمر اختلفوا في كيفية تكريمهم، فالذي قال بالبناء لجدار أراد طمس حقيقه البعث والمعاد كي يُسلبوا أنصار المعاد هذا الدليل القاطع، وأن تغلق فتحه الغار لكي يكون الكهف خافياً إلى الأبد، وتندرس معالم هذه الآثار «فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ»

١- القيامة: ٣ و ٤.

٢- تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٨٢.

٣- تفسير الثعلبي، ج ٦، ص ١٦٢.

٤- فتح القدير، ج ٣، ص ٢٧٧.

ص: ١٤١

«بُنِيَانًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ» أى اتركوهم على حالهم ينقطع عنهم الناس فلم يظهر لنا من أمرهم شىء واتركوا الحديث فى قصتهم، وهذا الفكر يتناسب مع قول الذين لا يؤمنون بعقيدته البعث.

ونقول: بأن الآيه فى سياق المدح ولم تأت بدم عملهم وفعلهم، مما يشير إلى أنه من سنن الملة الإبراهيمية اتخاذ مسجد على قبور الصالحين، لذلك لم يصف القرآن الكريم ما فعلوه بأنه عباده وثن، ولا سيما بأنه لو كان فى شرع الله حرمه بناء المسجد على قبور الصالحين لأنه عين الوثنية كما تدعى هذه الشرذمه لنادى القرآن الكريم بأن هذا نقض للغرض، لا سيما بأن الغرض من هذه الحادثة زياده فى الهدايه للتوحيد بالله عز وجل لا للوثنيه، وإلا كان فعل الله عز وجل خلافاً للمطلوب والعياذ بالله على مدعى هذه الفئه.

والروايات الوارده فى تحريم القبور (١) لا- يمكن الاغترار بظاهاها بل الواجب هو التدبر فى حقيقه المراد منها وإن النهى لكون أصحاب القبور هم المشركون والمقابر فى أول عهد الإسلام كانت قبوراً للمشركين من ذوى أرحام المسلمين، والذين يستدلون بتلك الأحاديث غرضهم هدم شعيره الزيارة والتقرب إلى الله تعالى، لأنها مخالفه للأحاديث الوارده والسنة الشريفة عنه (ص) من قوله «ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنة» (٢) وكذلك عنه (ص) «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» أو «حلت له شفاعتى» وقوله «من زارنى بعد موتى كمن زارنى فى حياتى» (٣) وكذلك فى زياره قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال: استأذنت ربي ان استغفر لها فلم يأذن واستأذنت ربي أن أزورها فأذن لى (مع أنها غير مؤمنه كما يزعمون) وسوف نستدل لهذه الروايات فى قول أدله وجوب عماره قبر النبي وأهل بيته.

وبذلك يظهر أن ما ذكره القرآن الكريم من ضمن المعالم والمآثر المشيده لأصحاب الكهف أنهم بُنى عليهم مسجداً، وأصبحوا علماء ورمزاً، وأن بناء المساجد على القبور إشاده

١- كروايه التى تقول: «لعن رسول الله (ص) اليهود واتخاذهم القبور مساجد بعد قتلهم للأنبياء الصالحين» .

٢- من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج ٢، ص ٥٦٨؛ مسند أبى سعيد الخدرى، ج ٣، ص ٦٤؛ صحيح البخارى، ج ٢، ص ٥٧.

٣- نيل الأوطار، الشوكانى، ج ٥، ص ١٧٩.

ص: ١٦٢

لصلاح الصالحين، وإشاده في الآيات التي صنعها الله في أصحاب الكهف.

فالذين قالوا: «إِذِ يَنْتَازِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا» أرادوا إطفاء هذا المعلم وهدم تلك الآية التي أعطاها الله لهؤلاء الفتيه، وإلا البناء عليها إبقاء لتلك الآية وإبقاء لنور الله عز وجل، كما أن البناء على قبر النبي (ص) تخليد للدين وشريعته سيد المرسلين.

كما أن المقرر شرعاً ليس فقط قبر النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين بل بيان بأنها ركنٌ من معالم الدين، وأن طمس تلك المعلم طمس للعقيدة قال الله تعالى «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (١) فيبقى هذا المقام خالداً من قبل الله عز وجل لدى كل أتباع الديانات السماوية، واتخاذها مصلى يتقرب به إلى الله سبحانه.

وأن عماره قبر النبي وأهل بيته بالبناء والزياره هي شعائر يتقرب بها إلى الله وبأنها ركنٌ من معالم الدين وهذا بنفسه اعتقاد بنبوه خاتم الأنبياء والمرسلين (ص).

تعظيم النبي (ص) بأنه من الشرك

في هذا البحث نستعرض نفثاتهم المسمومه التي ينادون بها باسم التوحيد، كقولهم بأن تعظيم النبي الأكرم من الشرك في حين أن القرآن الكريم عظم خاتم الأنبياء والمرسلين في سورٍ عديده، فإن تعظيم النبي الأكرم من تعظيم الله عز وجل كما أن تعظيم خلقه الله تعظيمٌ لله إذ هي بيان لكون الخالق لهذه الخلقه عظيمٌ خلق الخلق على نظم عظيم وصفه عظيمه، وتصغير خلقه الله هو تهوينٌ وتصغيرٌ لعظمه الله قال تعالى في تعظيم الله له (ص): «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٢).

وقد ذكر صاحب البيان فيما يتعلق بتعظيم النبي (ص) بأنه التعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه، فقال: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» معناه إن الله يصلى على النبي (ص) ويشئى عليه بالثناء الجميل ويبيجله بأعظم التبجيل وملائكته يصلون عليه ويشئون عليه

١- البقره: ١٢٥.

٢- الأحزاب: ٥٦.

ص: ١٦٣

بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء.

وجاء عن ابي حمزة الثمالي حدثني السدي وحفيد بن سعد الأنصاري وبريد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» (١) وقد اجمع على هذا التفسير علماء الأمة قاطبه بلا استثناء.

لكن هذه الفئة استكبروا على ذلك ولم يسترشدوا بأهل البيت عليهم السلام وأخذوا بآرائهم الفاسدة القاصره وقد قال تعالى: «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٢).

وهذه التعبيرات الواردة هي موجودة حتى في بعض شاذٍ من وسطنا الداخلي، حيث يعتقدون بأن الانشداد بشده إلى أولياء الله هي صنميه والعياذ بالله، والحال بأن الانشداد إليهم انشداد إلى آيات الله العظمى وهم الطريق إلى الله.

وهذه الدعوه مغلفه بهذه التعبير الشيطانيه هي الدعوه إلى الصد عنهم، والإهانه لآيات الله هو نوع من الاستهانه والتهتك لنفس حرمه الذات الإلهيه.

والقرآن الكريم يذكر لنا في سورة الأحزاب مقامات عظيمه للنبي (ص) هي فوق إدراك البشر قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» (٣) فإن رفع الصوت على صوت النبي (ص) موجب لحبط الأعمال على وجه الاستخفاف به (ص)، لأن الخضوع للنبي (ص) تعظيم له بما هو آيه كبرى من آيات الله عز وجل وشعيره من شعائره ومعلمًا من أعلام دينه، قال

١- بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٧، ص ١٩؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٦٢؛ سنن النسائي، ج ٣، ص ٤٨؛ المعجم، الطبراني، ج ١٩، ص ١٢٣.

٢- الأعراف: ٣٦.

٣- الحجرات: ١ و ٢.

ص: ١٦٤

تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (١) وأما الذين لا يخضعون للنبي الأكرم (ص) ولا يحافظون على التزام الآداب في ساحه الحضرة النبويه، برفعهم الأصوات فوق صوته، والتعامل معه كأحدتهم، فقد توعدهم الله تعالى بحبط أعمالهم؛ لأن ذلك يوجب الإعراض عن الآيات الإلهيه.

وفي عمده القارى: عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبينا نكن أسعد الناس، وإن يكن ملكاً نعش في جنبه، فجاؤوا إلى حجره النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد (٢)، فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ». «فهى نزلت على قوم من بنى تيم لما قدموا على رسول الله (ص) وهم من أعراب اجلاى الذين لا- يراعون الأدب والحشمه، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد أخرج إلينا وقد تأذى النبي (ص) من هذا الأمر».

وأما ما يتعلق بالآيه الأولى من هذه السوره «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٣) قال القرطبي فى تفسيره: أى لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدى الله وقول رسوله وفعله فيما سيئله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا. ومن قدّم قوله أو فعله على الرسول (ص) فقد قدّمه على الله تعالى؛ لأن الرسول (ص) إنما يأمر عن أمر الله عز وجل (٤).

ومن جملة الروايات التى ذكروها عن الواحدى من حديث ابن جريح قال: حدّثنى ابن أبى مُليكه أن عبد الله بن الزبير أخبره: أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله (ص)، فقال أبوبكر: أمر القَعْقَاعُ بن مَعْبُد. وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافى. وقال عمر: ما أردتُ خلافك. فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل فى ذلك: «يَا

١- الحج: ٣٢.

٢- عمده القارى، ج ١٩، ص ١٨٣.

٣- الحجرات: ١ و ٢.

٤- تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٣٠٠ تفسير قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

ص: ١٦٥

«أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» - إلى قوله - «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ». رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح؛ ذكره المهدوي أيضاً (١).

وقد ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث بلفظ آخر عن ابن مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا (٢) والمقصود بهما (أبو بكر وعمر) حتى ارتفعت أصواتهما عند محضر النبي (ص).

وكذا ما جاء في سنن الترمذي: قال حدثنا محمد بن مثنى أخبرنا مؤمل بن إسماعيل أخبرنا نافع بن عمر بن جميل الجمحي قال حدثنا ابن أبي مليكة قال «حدثني عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي (ص) قال: فقال أبو بكر يا رسول الله استعمله على قومه، فقال: عمر لا - تستعمله يا رسول الله، فتكلما عند النبي (ص) حتى ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك. قال فنزلت هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» (٣) قال: وكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي (ص) لم يسمع كلامه حتى يستفهمه (٤).

ذكر المؤرخون في صلح الحديبية عندما بعثت قريش عروه بن مسعود الثقفي إلى رسول الله (ص)، فكلمه رسول الله (ص) بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله (ص) وقد رأى ما يصنع به أصحابه؛ لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إنني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه؛ ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم (٥) وهذا ما كان عليه المؤمنون والحواريون من أصحابه في تعظيم النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام.

١- تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٣٠٠؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٢٠؛ تفسير الثعالبي، ج ٩، ص ٧٠.

٢- مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٦.

٣- الحجرات: ٢.

٤- سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣.

٥- السيرة النبوية، ابن هشام، ص ٥٠٢.

ص: ١٦٦

وقد جاء في صحيح ابن حبان بلفظ آخر في باب استحباب استعمال الإمام المهاده: «أن عروه جعل يرمى صحابه رسول الله (ص) بعينه فوالله ما يتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامه إلا وقعت في كف رجل منهم فدللك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم انقادوا لأمره وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له» (١).

ومن هنا يفهم بأن رفع الصوت فوق صوت النبي موجب لحبط الأعمال بما فيه العقيدة، وأن تعظيم النبي من تعظيم آيات عز وجل قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» (٢).

ومن هنا نقول: بأن الطلب والنداء إنما يكون عباده للمدعو إذا اعتقد الداعي أن المدعو مستقل بالقدره غنى بالذات، وأما إذا اعتقد الداعي أن المدعو لا يستقل بالقدره، بل يستمد القدره من البارى تعالى وأن الحول والقدره التى لديه هى من البارى تعالى وأن المدعو إنما حصل عليها لمكان حظوته وقربه عند البارى وأن الداعي إنما يدعوه نظراً لقربه ووجاهته من البارى وأن تكريم الله له بالقرب والوجاهه حفاوه منه تعالى وإذن منه للاستشفاع والتوسل والتوجه به إليه عز وجل، فإن دعاء ذلك الغير يعد حينئذ توجهاً وقصداً إلى الحضرة الإلهية، لأن قصد القريب من الحضرة الإلهية قصد للحضرة، كما أن الصد والإعراض عن القريب ابتعاد عن الحضرة الإلهية، فدعاء ذلك الغير هو دعاء الله بآياته العظيمة ودعاء له بأسمائه الحسنى التى يظهر بها.

ولم يدع أحد بأن ذلك يوجب كفراً وشركاً إلا هذه الفئة حيث يدعون بأن الطلب والاستغاثة بالميت فضلاً عن الحى شرك بالله عز وجل يجب قتله وهو مهدور الدم.

الحاصل: بأن الله عز وجل بكل شىء محيط وقيوم على كل شىء، وهو المالك لما ملكهم والقادر لما عليه أقدرهم، بل إن التملك بعينه مخلوق من المخلوقات والمُعطى والعطيه كلها

١- صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٢٢٠.

٢- الحجرات: ٣.

ص: ١٦٧

قائمه بالله تعالى حدوثاً وبقاءً، فكيف يستقل المخلوق في فعله وهو محتاج في ذاته ومفتقر إلى قيوميه الباري تعالى؟»

ونقول بأن الصفات الفعلية تتم وتدلل على الصفات الذاتية، ومن يخفق في فهم الصفات الفعلية يخفق في الصفات الذاتية لله عز وجل، ولن تعرف عظمه هذه الصفات إلا إذا عرفت عظمت الخلقه في المخلوقات، فإن نفس المخلوقات العظيمة هي بنفسها عينات للصفات الفعلية الإلهية وبالتالي عظمه المخلوق داله على عظمه الصفه الذاتية التي هي غيب الغيوب.

فالنظر في هذا المنهج إلى الآيات الإلهية الفعلية من حيث هي مخلوقه للباري تعالى ومرتبطة به ومفتقره إليه وداله عليه، وأكرم المخلوقات وأعظم الآيات هو النبي الأعظم (ص) وأهل بيته عليهم السلام؛ إذ جباهم الله عز وجل بالكرامات والمقامات التكوينية.

وبالتالي زياره قبر النبي (ص) وأهل بيته من أعظم أبواب العبادات والقربات إلى الله تعالى التي هي مشاعر إلهية والأعراض عن الآيات الإلهية وترك وجحد هذه الشعائر موجب لحبط الأعمال والخسران في الدنيا والآخرة، والولاية بحد ذاتها لا تكفي، فلا بد من ضم شرط آخر لكي تُقبل الأعمال وهو التوجه بهم والإقبال عليهم بزيارتهم والانشداد إليهم.

الفتاوى الشيطانية في هدم القبه النبويه

قال الله تعالى: «تُمْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعِيدٍ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (١).

كما قال تعالى في القلوب المريضة: «فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» (٢) التي هي من صفات من يشاقق الله ورسوله، المتبعين لأئمة الضلال

١- البقره: ٧٤.

٢- البقره: ١٠.

ص: ١٦٨

المنحرفين حينما يتجرؤون بصريح القول في فتاواهم بهدم قبه النبي الأعظم (ص) باسم التوحيد، وهذا من نفثاتهم السامه على الإسلام والمسلمين وللصد عن هذه الشعائر المقدسه التي يوجب تخليد ذكرها تخليد الدين ومعالم التوحيد، التي شيدها المسلمون بسيرتهم المباركه يقول الألباني في كتابه «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»: :

«ومما يؤسف له أن هذا البناء قد بنى عليه منذ قرون - إن لم يكن قد أزيل - تلك القبه الخضراء العالیه، وأحيط القبر الشريف بالنوافذ النحاسيه والزخارف والسجف، وغير ذلك مما لا يرضاه صاحب القبر نفسه (ص)، بل قد رأيت حين زرت المسجد النبوي الكريم وتشرفت بالسلام على رسول الله (ص) سنة ١٣٦٨هـ- رأيت في أسفل حائط القبر الشمالي محراباً صغيراً ووراءه سده مرتفعه عن أرض المسجد قليلاً، إشاره إلى أن هذا المكان خاص للصلاه وراء القبر، فعجبت حينئذ كيف ضلت هذه الظاهره الوثنيه قائمه في عهد دوله التوحيد!» (١) حيث يدعى بأن هذه الأفعال من الوثنيه، خلافاً لأحاديث النبي (ص) أن ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنه أى يتعبد ويتقرب فيها إلى الله تعالى وفي زياره المشاهد المشرفه التي هي محلاً للعباده ونيل القربان والمقامات عند الله تعالى.

وقد أفتى بعضهم: «يجب هدم المشاهد التي بُنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها بعد القدره على هدمها وإبطالها يوماً واحداً» (٢).

ومنهم من ختم الله على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره حيث أعلن على النبي الأكرم الحرب والعداوه والبغضاء حيث يقول:

وإني أقول إن الناس من ستمائه سنه ليسوا على شيء وإني أدعى الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمه، وإني أكفر من توسل بال صالحين، وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبه رسول الله (ص) لهدمتها، ولو أقدر على الكعبه لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وإني أحرم زياره قبر

١- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الألباني، ص ٢٨.

٢- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ص ٦٦١.

ص: ١٦٩

النبي (ص) وإنى أنكرك زياره قبر الوالدين وغيرهما (١).

هذه القلوب القاسية الميتة المتبعون للهوى وموالون للشيطان وحزبه قال تعالى «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (٢).

قال الحافظ تقي الدين السبكي: «ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنه في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعه في شىء، ولم يعدوهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من شرك وأدخل في قلوبهم الإيمان، وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيله هو ابن تيميه وجرى خلفه من أراد استباحه أموال المسلمين ودمائهم لحاجه في النفس» (٣).

الحاصل: فالإسلام يدعو إلى التوجه بالنبي (ص) في الإيمان والاعتقاد وهو أفضل عباده، فضلاً عن بقيه العبادات الأخرى، والإباء عن التوجه في العباده بخاتم الأنبياء إنكار للشهاده الثانيه، ودعوه إلى الشرك باسم التوحيد، وهذا ما أخفق فيه السلفيون، حين جحدوا التوسل بالنبي (ص)، فلا تراهم يقرنون لون الشهاده الثانيه ومؤداها ومعطياتها بلون الشهاده الأولى في رسم بناء التوحيد في أدبيات كتبهم، فيقتصرون على تفسير الشهاده الأولى في التوحيد، من دون أن يهتدوا إلى كيفية ركنيه مؤدى الشهاده الثانيه في أركان التوحيد، وكيفية ضروره الربط والارتباط بين مؤدى كل من الشهادتين في رسم أصل التوحيد، ومنه يظهر أن التوسل والتوجه بالنبي (ص) ضروره وليس مجرد خيار مشروعيه.

١- الرسائل الشخصيه، الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عقيدته الشيخ وبيان حقيقه دعوته ورد ما ألصق به من التهم)، ج ٦، ص ٧، الرساله الأولى: رساله الشيخ إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته.

٢- الجائيه: ٢٣.

٣- السيف الصقيل، ص ١٧٩.

ص: ١٧١

الدليل الثاني: البيانات النبويه**اشاره**

بعد استعراضنا للدليل الأول فى الفصل الثانى من بيانات قرآنيه، ها نحن نستعرض هنا بيانات نبويه فنقول:

البيان الأول: بأنه أوصى النبى (ص) علياً أن يدفن فى بيته الذى قبض فيه، وقد قبض النبى الأكرم (ص) فى الغرفه الشريفه التى كانت مشتركه بينه وبين فاطمه عليها السلام وهى الغرفه التى نزل فيها هو وابنته أول ما هاجر إلى المدينه المنوره والتى ضمتها عائشه بعد ذلك إلى غرفتها بعد وفاته ووفاه ابنته (ص) وأزالت الجدار الذى كان بينها وبين غرفتها.

فإن أمره (ص) لأميرالمؤمنين عليه السلام بالدفن فى الغرفه الشريفه هو بناءً حول القبر الشريف وأنه أدل دليل على تشعيه (ص) لقبره كمعلم للدين الحنيف. وهذا أمر قطعى بضروره الدين لايجده إلا المكابر والعاتى المتبع للأهواء والبدع إذ جعل مئوى بدنه الشريف منذ اللحظه الأولى لدفنه وقبره فى غرفه خاصه به وبناء جدران الغرفه الشريفه كهينه أضلاع الضريح المبنى على قبور أهل بيته عليهم السلام ومن ذلك يعلم أن عماره قبره وأهل بيته سنه قطعيه فى الدين لاتجحد إلا بغرض طمس هذا المعلم ومحاربه الركن الثانى فى الدين وهو الشهاده الثانيه.

سيره المسلمين فى قبور الانبياء

وكذا سيره المسلمين إتجاه قبور الأنبياء فى الشام ومنها قبر النبى إبراهيم الخليل عليه السلام فإن سيرتهم عندما فتحوا الشام إلى يومنا هذا قائمه على تشييدها والمحافظة عليها، ومنها قبر اسماعيل عليه السلام فى بيت الله الحرام فى الحجر وكذا قبر أمه هاجر مع أن الذى دفن هاجر فى الحجر

ص: ۱۷۲

هو اسماعيل وهو الذي بنى الحجر صوتاً لقبرها عن المشى عليه من قبل الطائفين.

والذي تشير إليه جملة من الروايات لدى الفريقين تدل على هذا المضمون وهي كالتالي:

١ - ما رواه الكافي: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيء من البيت؟ فقال: لا ولا قلامه ظفر ولكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ فحجر عليه حجراً وفيه قبور أنبياء» (١).

٢ - وروى: «أن إبراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه أمره الله - عز وجل - بالانصراف، فانصرف، وماتت أم إسماعيل، فدفنها في الحجر، وحجر عليه لثلاً يوطأ قبرها» (٢).

٣ - وبعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل» (٣).

بل قد ورد بأن هناك سبعين نبياً مدفونين حول الكعبة والتي تشير إلى هذه الشعيرة والسيره القائمه لدى المسلمين فمنها:

٤ - عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد شباب الصيرفي عن معاوية بن عمار الدهني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبياً، أماتهم الله جوعاً وضراً» (٤).

٥ - وروى الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «صلى في مسجد الخيف سبعمائه نبى وإن ما بين الركن لمشحون من قبور الأنبياء وإن آدم لفي حرم الله عز وجل» (٥).

٦- كما روى القرطبي في تفسيره قال ابن عباس: «في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل وقبر شعيب عليهما السلام، فقبر إسماعيل في الحجر، وقبر شعيب مقابل

١- الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما.

٢- الفقيه، ج ٢، ص ١٤٩.

٣- الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما.

٤- المصدر نفسه، باب حج الانبياء عليهم السلام.

٥- المصدر نفسه، ص ٢١٤.

ص: ١٧٣

الحجر الأسود. وقال عبدالله بن ضميره السلولى: ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعه وتسعين نبياً جاؤوا حجاً فقبروا هنالك، صلوات الله عليهم أجمعين» (١).

٧- وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال: «وأول من طاف بالبيت الملائكة وإن ما بين الحجر إلى الركن اليمانى لقبور من قبور الأنبياء وكان النبى إذا آذاه قومه خرج هو من بين أظهرهم فعبده الله فيها حتى يموت» (٢).

٨- وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: «وأول من طاف بالبيت الملائكة وأن بين الحجر إلى الركن اليمانى لقبور من قبور الأنبياء كان النبى إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت» (٣).

شعيريه قبور الانبياء فى المسجد الحرام

وهذه السنه من الأنبياء فى دفنهم عند بيت الله الحرام دليل صريح على رجحان شعيريه التعبد عند قبور الأنبياء وعلى رجحان الطواف بها والإتيان بمختلف العبادات عندها، ومنها قبر ذى كفل فى العراق ودانيال فى شوشتر والذى دُفن فى عهد الخليفه الثانى بإشاره من أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ومنها قبر عزيز فى العماره جنوب العراق، وكذا قبر زكريا فى حلب ويحيى فى الشام وشعيب فى الأردن وشيث فى لبنان وغيرها من قبور الأنبياء عليهم أفضل الصلاه والسلام المشيده فى العراق والشام وفلسطين.

حفظ قبور الانبياء عن الاندراس بعمارتها

وبعبارهِ أخرى أن حفظ هذه القبور عن الإندراس والضياع والطمس لا يمكن إلا بتعهدا المستمر بالزياره والعمران وهذا ما يُعهد من أسلوب عمارتها وهو الملاحظ من تدوين الآثار فى الكتب المؤلفه قرناً بعد قرن من مؤلفات علماء المسلمين.

١- تفسير القرطبي، ج ٢، تفسير قوله تعالى: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ».

٢- المعجم الكبير، الطبرانى، ج ١١، باب سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٣- مجمع الزوائد، ج ١، باب سبب النهى عن كثره السؤال.

ص: ١٧٤

الروضه عند قبره (ص) مشعر عند المسلمين

البيان الثاني: وهو قول النبي (ص) بأسانيد مستفيضه «ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنة» وفي لفظ آخر «ما بين بيتي ومنبري روضه من رياض الجنة ومنبري على حوضي» (١).

ولفظ آخر في مسند أحمد «قال ما بين هذه البيوت (يعنى بيوته) إلى منبري روضه من رياض الجنة والمنبر على ترعه من ترع الجنة» (٢).

كما روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور: وأخرج البيهقي عن محمد بن المكندر: قال رأيت جابراً وهو يبكي عند قبر رسول الله (ص) وهو يقول ههنا تسكب العبرات سمعت رسول الله (ص) يقول: «ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنة» (٣).

وقد روى هذا الحديث المتواتر من الرواه منهم أمير المؤمنين على عليه السلام وجابر الأنصاري وعائشه وأم سلمه وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وسعد والزبير وعبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب في عمده القاري، ويدل هذا الحديث المتواتر على تشعير قبر النبي (ص) معلماً للعباده وجعله من المشاعر الدائمة إلى يوم القيامة كما شعر النبي (ص) عموم المدينة حرماً له.

ومعنى الحرميه هو التشعير والتقدیس والتبرك والملجئ والملاذ فضلاً عن مسجده الشريف وعن ما بين قبره ومنبره.

والتشعير في الشريعة لا يقاس بالوقف إذ التشعير الذي يتم بيد الشارع في البقاع الخاصه أبدى إلى يوم القيامة، والذي يضمنى عليه هاله من التقديس والتعظيم ويكون مواطن للعباده بغض النظر عن المسجديه كما هو الحال في إزدياد ثواب العباده في سائر بقاع الحرم المكي وإن لم يكن من المسجد الحرام، نعم يتضاعف ثواب العباده في المسجد الحرام كما تتضاعف في البقعه المكيه المشرفه.

والحاصل: أن باب التشعير يختلف عن باب الوقف فمسجديه المسجد الحرام من باب

١- البخارى، ج ٧، باب الرقاق؛ ج ٢، باب فضل الصلاه على المسجد و باب حرم المدينه.

٢- مسند أحمد، ج ٤، حديث عبدالله بن زيد بن عاصم.

٣- الدر المنثور، ج ١، تفسير سوره البقره الآيه ١٧.

ص: ١٧٥

المشاعر ولا تختص بالمسجديه كما فى بقيه المساجد، بل كما هو الحال فى منى والمزدلفه من حيث تأييد المشعريه.

فضيله المشاهد المشرفه عند جمهور علماء السنه

وقال الشوكانى فى (نيل الأوطار) وقد استدلل القائلون بأفضليه المدينه (على مكه) بأدله منها حديث «ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنه». وهذا يدل أنهم استظهروا وفهموا من هذا الحديث المتواتر تشعير القبر الشريف مشعراً إلهياً يعظم على حرمه الحرم المكى (١).

وما جاء فى وفاء الوفا: بأن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمه والرضوان والملائكه وله عند الله من المحبه، ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه، وليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟ (٢).

تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفه على سائر البقاع

يذكر السهمودى فى كتابه الوفاء الوفا بان ما ضم الأعضاء الشريفه أشرف من الكعبه وبأن الكعبه أفضل من المدينه ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفه إجماعاً (٣) بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى أن تلك البقعه أفضل من العرش.

كما قال التاج الفاكهى: قالوا لا خلاف أن البقعه التى ضمت الأعضاء الشريفه أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبه، ثم قال: وأقول أنا: أفضل بقاع السموات أيضاً بل لو قال قائل إن جميع البقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء شرفاً لكون النبى (ص) حالاً فيها لم يبعد (٤).

١- نيل الأوطار، الشوكانى، ج ٥، باب حجج من قال بأفضليه المدينه.

٢- وفاء الوفاء، السهمودى، ج ١، ص ٣٠.

٣- المصدر نفسه، الباب الأول، ص ٢٨.

٤- حاشيه ابن عابدين، ج ٢، ص ٦٨٨.

الروضه بين بيوته (ص) شامله لقبور ذريته الأطهار

فائدة: قد مر أن لفظ الحديث في مسند أحمد «ما بين هذا البيوت (يعنى بيوته (ص)) روضه من رياض الجنة» مما يقتضى أن ما بين بيته إلى قبره الشريف روضه من رياض الجنة وقد أدرج في بيوته في أحاديث عديده بيوت على وفاطمه والحسين عليهم السلام نظير ما رواه وأخرجه في ذيل قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» (١).

في الدر المنثور للسيوطي قال وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد «فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ» قال هي بيوت النبي (ص) ، وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك ويريده قال قرأ رسول الله (ص) هذه الآية «فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ» فقام إليه رجل فقال أى بيوت هذه يا رسول الله قال بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها (يعنى بيت على) - وفاطمه - قال نعم من أفاضلها (٢).

وغيرها من الروايات في هذا الصدد فضلاً عن الروايات الواردة في أهل البيت عليهم السلام في كون بيوت الأئمة عليهم السلام ومواضع قبورهم وبيوت النبي (ص) روضه من رياض الجنة، وأنها قد شعرت للعبادة والزياره لزيارتهم والتوسل بهم لكونها مشاعر إلهيه وهذا الوجه بهذا التعليل هو الوارد في الآية الكريمة و بالجمع دون المفرد، وقد مر شرح ذلك في البحث الأول في هذه القاعده من المبحث القرآني.

روى الكافي في مصحح عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله (ص): «ما بين منبرى وبيوتى روضه من رياض الجنة ومنبرى على ترعه من ترع الجنة وصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» ، قال جميل: قلت له: بيوت النبي (ص) وبيت على منها؟ (يعنى هي أيضاً من رياض الجنة من بيوت النبي (ص) ولا تختص بيوت ازواجه بل تشمل بيوت قرابته (ص) الخاصة من أصحاب الكساء كما بين المنبر والبيوت) قال: نعم وأفضل (٣).

١- النور: ٣٦.

٢- الدر المنثور، ج ٥، سورة النور ٣٦.

٣- الكافي، ج ٤، باب المنبر والروضه ومقام النبي (ص) .

ص: ١٧٧

فيوت النبي (ص) شامله لبيت علي وفاطمه والحسن والحسين والأئمه من ذريه الحسين وأنها أفضل بيوت النبي (ص) .

فيظهر من ألفاظ الحديث المتعدد أن المراد من قوله (ص) «ما بين منبري وبيوتي روضه من رياض الجنة» هو العموم بنحويه المجموعى والاستغراقى، أى تحديد البقعه الواقعه فى البين المحدده بهذه الأطراف المذكوره فى الحديث كما أن المراد كل من الأطراف فى نفسه على روضه من رياض الجنة، فمع كون عنوان بيوته (ص) شامله بنحو العموم الاستغراقى لبيت علي وفاطمه وذريته يتم هذا المفاد.

وبعباره أخرى أن لورود الحديث فى ألفاظ أخرى من تخصيص المنبر بكونه على ترعه من ترع الجنة أو على حوض أو على روضه من رياض الجنة كل ذلك يدل على إرادته أن كل طرف من أطراف التحديد هو على روضه من رياض الجنة فعنوان (بيوتى) عموم استغراقى، وأن عنوان (بيوتى) داخله فى حكم المغيى أى أن الروضه جزءٌ منها المنبر وجزءٌ منها بيوت وجزءٌ منها ما بينهما.

وعنوان (البيوت) كما ورد فى روايات الفريقين فى ذيل قوله: «فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرَفَعَ» أنها بيوت الأنبياء والتى فيها بيوت سيد الأنبياء (ص) حيث قال «أن بيت علي وفاطمه منها ومن أفاضلها» كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور فى ذيل الآيه أخرجه عن ابن مردويه عن أنس بن مالك ويريده.

مما يعزز أن بيت علي وفاطمه نسبته إلى النبي (ص) أتم من نسبه بيوت وغرف أزواجه إليه وأن اندراج بيت علي وفاطمه فى بيوته (ص) اندراج فى الحقيقه لا فى التنزيل (١).

وبالتالى يكون عموم بيوته شامل لقبور ذريته المطهره بحسب المفاد الأولى للحديث، وقد ورد عنهم من طرقنا أن بقاع قبورهم من رياض الجنان وأنه يندب الصلاه والتعبده عندها ولا سيما عند الرأس الشريف، و من ثم ورد فى النصوص المستفيضه عنهم فى الأذن للدخول فى زياره مشاهدتهم المبنيه على قبورهم (اللهم إني وقفت على باب من بيوت نبيك) وقد روى

١- بالتنزيل وذلك لأن علاقته القربى لا تنقطع بخلاف علاقته الزوجيه فإنها بالاعتبار.

ص: ١٧٨

عنهم قول النبي (ص) «ألا- إن باب فاطمه بابي وبيتها بيتي فمن هتكه هتك حجاب الله» (١)، كما يستفاد من هذا الحديث الحث العظيم على زياره قبره (ص) وأنها مواطن مقدسه شَعَرها الله عزوجل وجعلها أسباباً ووسائط لنيل القربى والزلفى إليه تعالى.

وهذا الحديث المتواتر القطعى صدوراً ومضموناً متطابق مع قطعى الكتاب فى قوله تعالى: «وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (٢).

فكيف بمقام محمد (ص) وهو أعظم حرمة من النبى إبراهيم عليه السلام وكيف بجسده الطاهر مع أن مقام إبراهيم ليس مثوى لجسد إبراهيم عليه السلام وإنما لامس قدم إبراهيم عليه السلام، فمفاد هذا الحديث الشريف القطعى متطابق مع قطعى ضرورى من ضروريات المسلمين واتخاذهم مقام إبراهيم مصلى ومنه يستفاد أن عماره قبره الشريف والصلاه عنده والدعاء والأذكار والتبرك بها بالمسح وغيرها من أبواب العباده لله سبحانه وتعالى.

تشعير المدينة من قبل الرسول مضافاً إلى تشعير القبر

قال السهوى: كما شَعَر الحرم المكى من قبل نبى الله آدم وإبراهيم عليه السلام، شَعَر الحرم المدنى من قبل الرسول (ص) وكما شَعَر المسجد الحرام والكعبة كذلك شَعَر المسجد النبوى والقبر الشريف من قبل سيد الأنبياء (٣).

فقد روى فى باب حرم المدينة: عن أنس رضى الله عنه عن النبى (ص) قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث و من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (٤).

وروى أحمد فى مسنده حديث أبى مالك الأشجعى رضى الله عنه عن رافع بن خديج قال قال: رسول الله (ص): «انه ذكر مكة قال إن إبراهيم حرّم مكة وانى أحرم ما بين لابتيها (يريد المدينة)» (٥).

ولا يخفى على اللبيب أن تشعير قبر الرسول والمدينة أعظم وأعلى شرفاً من بقيه المشاعر

١- غاية المرام، ج ٢، الباب الحادى والعشرون، الباب التاسع والعشرون.

٢- البقره: ١٢٥.

٣- وفاء الوفاء، الفصل الثانى عشر فى حكمه تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم.

٤- البخارى، ج ٢، ص ٢٢٠.

٥- مسند أحمد، حديث أبى مالك الأشجعى؛ البخارى، ج ٤، كتاب بدء الخلق.

ص: ١٧٩

بما فيهم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ثم ورد أن مسجد النبي ازدادت حرمة بالنبي (ص) وبأهل بيته عليهم السلام ومن ذلك يعلم أن جحد هذا المشهد العظيم باثقه من بواقي الدين.

ثم إن مفاد هذا الحديث «ما بين قبري ومنبري» قطعى كما علمت فكيف يتشبهون بهذه الاستظهارات مضافاً إلى أن هذا الحديث القطعى الوارد فى قبره الشريف، وكذلك الحديث المستفيض فى زياره قبر والدته الشريفه أى تشريع سُنّه زياره قبور أهل بيته أخص من عموم الروايات التى يتكلف تظنيها والخاص مقدم على العام، مضافاً إلى أنه لو بُنى على التوهم للتعارض بينها، فإن عماره قبره وقبور أهل بيته مطابق للكتاب كما مر فى (البحث القرآنى) ومطابق لضروره الدين من الشهاده الثانيه والثالثه.

فائده فى حدود الروضه

أن الملاحظ فى أكثر الروايات الوارده عند الفريقين سواء عندنا أو عندهم هو ورود لفظ الحديث النبوى بصيغه «ما بين منبري وبيوتى روضه من رياض الجنه» .

وحيث أن بيوت النبى صلى الله عليه وآله منها غرف أزواجه وهى متوزعه بين جهه القبلة للقبر الشريف والذى هو ممر للزائرين حالياً وبين خلف القبلة وهى الدكه التى تقع بعد انتهاء بيت على وفاطمه من جهه الشمال «أى الملتصقه بشباك الضريح من الخلف» وفى تلك الدكه تقع غرفه سوده بنت زمعه وفيها محراب النبى (ص) عند تهجده وصلاته فى الليل أى مما يكون قبله محرابه بيت على وفاطمه.

وعلى ضوء ذلك يكون بيت على وفاطمه يقع وسطاً متوسطاً ما بين بيوت النبى إذ كان له (ص) ما يقرب من تسع غرف متوزعه بين الأمام والخلف، وأما الغرفه التى دُفن فيها (ص) فتلك هى الغرفه التى كانت مشتركه بينه وبين ابنته فاطمه عليها السلام وهى الغرفه التى أقام فيها النبى وفاطمه فى المدينه قبل زواجها عليها السلام بعلى وكانت فاطمه قد منعت عائشه أن تفتح نافذه فى غرفتها تلك كما ذكر ذلك ابن أبى الحديد فى شرح النهج.

وكذلك ورد فى روايات الفريقين أيضاً أن بيت على وفاطمه هى من بيوته (ص) ومن بيوت الأنبياء كما روى ذلك السيوطى فى در المنثور فى ذيل قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ»

ص: ١٨٠

«يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ» وكذلك ماورد من طرقنا أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام (١) وعلى ضوء ذلك ورد بأنها من أفاضلها وأن الصلاة فيها أفضل من الروضه، وعلى ضوء هذا التعميم لحدود الروضه يتبين أن الروضه الشريفه هي أوسع من التحديد المرسوم في كتب الفريقين والظاهر منهم انهم اقتصروا على التحديد المستفاد من لفظ الحديث الوارد بصيغته «ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنة» .

بينما مقتضى مفاد صيغته الحديث الأكثر وروداً هو اتساع الروضه طولاً إلى ما بعد شباك الضريح وإلى حد نهايه الدكه المتصله به ويعضد هذا الاستظهار ما ورد في صحيح علي بن جعفر من أن الصلاة في بيت علي وفاطمه أفضل من الروضه وهو بمعنى أفضل مواضع الروضه لأن البيوت من الروضه والغايه داخله في المغي، ويشير إلى هذا المفاد ما رواه السيوطي في در المنثور في ذيل قوله تعالى «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمه قال: «نعم من أفاضلها» (٢).

ويعضد ذلك أن الامام الجواد عليه السلام كان يكثر من الصلاة عند الأسطوانه التي هي بحذاء بيت فاطمه عليها السلام وعلى ضوء ذلك يستفاد من عموم وشمول قوله (ص) (بيوتى) وشموله لقبور الأئمه العتره المطهره من ذريته كقبر الحسن المجتبي عليه السلام في البقيع وقبر أمير المؤمنين عليه السلام والحسين والكاظم والرضا والجواد والعسكريين من أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام بعد ما ورد من بيانه (ص) أن البيوت التي أذن الله أن ترفع أنها بيوت الأنبياء وهو بيوته (ص) وأن منها بيوت علي وفاطمه وذريته.

ومنها: ما ورد في صحيحه الحسين بن ثوير عن أبي عبد الله عليه السلام الوارده في آداب زياره الحسين عليه السلام قال: فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهره، ثم امش حافياً فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله (٣).

١- الوسائل، الباب ٥٩، من أبواب أحكام المساجد، الحديث ٢ و ١ من كتاب الصلاة؛ الكافي، ج ٤، باب المنبر والروضه ومقام النبي (ص)، ح ١٣ و ١٤.

٢- الدر المنثور، ج ٥، سوره النور.

٣- الوسائل، ج ١٤، ابواب المزار، ب ٦٢.

ص: ١٨١

ولاحظ ما ورد في الوسائل من طرق مستفيضه ان قبر الحسين روضه من رياض الجنة (١).

وفي صحيح أبي هاشم الجعفرى قال: سمعت أبا جعفر محمد بن على الرضا عليه السلام يقول: إن بين جبلى طوس قبضه قبضت من الجنة، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار (٢).

كذلك ما ورد في قدسيه ارض كربلاء في الوسائل ابواب المزار: روايه أبى عامر واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت له: ما لمن زار قبره يعنى أمير المؤمنين عليه السلام وعمّر تربته؟ فقال: يا أبا عمار حدثنى أبى عن أبىه، عن جده الحسين بن على عليه السلام أن النبى (ص) قال له: «والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها»، قلت: يارسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ قال لى: «يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرضه من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوه من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذله والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، وموده منهم لرسوله، أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى، والواردون حوضى، وهم زوارى غداً فى الجنة، يا على من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجه بعد حجه الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقره العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا- خطر على قلب بشر، ولكن حثاله من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتى لا أنالهم الله شفاعتى ولا يردون حوضى» (٣).

كذلك ما رواه الشيخ الطوسى فى التهذيب فى كتاب المزار فى زياره الامير عليه السلام وفضل الكوفه (٤).

كما وردت لدينا النصوص المستفيضه فى آداب الزياره للأئمه من ذريته (ص) الداله على أن

١- الوسائل، ج ١٤، ابواب المزار، ب ٦٧.

٢- المصدر نفسه، ب ٨٢.

٣- المصدر نفسه، ب ٢٦؛ تهذيب، الطوسى، ج ٦، باب فضل زيارته عليه السلام.

٤- تهذيب الأحكام، ج ٦، باب فضل الكوفه والمواضع التى يستحب فيها الصلاه.

ص: ١٨٢

بقاع قبورهم من حرم الله تعالى وحرم رسوله وانها من بيوت النبي (ص) وكيفيه الاستيذان قبل الدخول إلى مشاهدتهم المشرفة كما في النصوص التاليه

: «اللهم إني وقفت على باب بيت من بيوت نبيك وآل نبيك عليه وعليهم أفضل السلام وقد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيك» (١) فجعلت قبورهم بيوتاً من بيوت النبي (ص) ولأجل ذلك وما مر من الروايات ذهب الشريف المرتضى وابن الجنيد وبعض من تأخر كالعلامة الشيخ حسين العصفور إلى عموم رجحان الإتمام في السفر عند كل قبورهم عليهم السلام لا خصوص المواطن الأربعة بتقريب أن الإتمام في الأربعة علل بمضاعفه الثواب للصلاه وهذه العله موجوده في بقيه بقاعهم عليهم السلام.

سن النبي (ص) إقامه المآتم عند قبور أهل بيته عليهم السلام

البيان الثالث: وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريره قال: «زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وبكى من حوله فقال رسول الله (ص) استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت» (٢).

وروى مسلم في صحيحه في باب استئذان النبي (ص) ربه عز وجل لزياره أمه: «زار النبي (ص) قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت» (٣).

وروى الحاكم في المستدرک قال: ان النبي (ص) زار قبر أمه في الف مقنع فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم. هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين (٤). وصدر هذه الأحاديث وان كان

١- بحار الانوار، ج ٩٧، كيفيه الاستيذان وزياره النبي (ص).

٢- مسند احمد؛ مسند أبي هريره رضى الله عنه، ج ٢؛ حديث بريده الأسلمي، ج ٥.

٣- صحيح مسلم، ج ٣، باب استئذان النبي (ص) ربه عز وجل في زياره قبر أمه ج ٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، باب ماجاء في زياره قبور المشركين؛ سنن أبي داود، ج ٢، باب المحرم يموت كيف يصنع به؛ المستدرک، ج ١، باب زياره النبي (ص) قبر أمه؛ رواه البيهقي: بنفس الألفاظ في (شعب الأيمان) وذكر أنه يوم الفتح، ج ٧، ص ١٥؛ ورواه في سنن الكبرى، البيهقي، ج ٧، صص ٧٠، ٧٦؛ ج ٤، ص ٣١١؛ الاستذكار، القرطبي، ج ١، ص ١٨٧؛ عمده القارى، ج ٨، ص ٧٠.

٤- المستدرک، ج ٢، زياره النبي (ص) قبر أمه.

ص: ١٨٣

ساقط مضمونه لدينا (وهو نهيه عن الاستغفار لأمه) إذ والده النبي (ص) صديقه عظيمه القدر في التوحيد والإيمان إذ إن النبي (ص) تقلب في الساجدين من الآباء والأمهات من الأصلاب الطاهره والأرحام المطهره، وإلا- أن ذلك لا يمنع من التمسك بذيل تلك الأحاديث.

أقول يظهر من أحاديث زياره النبي لقبر أمه عليها السلام وحشرنا الله في زمرتها (المتواتر) أن النبي (ص) أقام مآتماً عند قبر أمه وأقام مجلس عزاء في مقام مصاب فقد والدته الشريفه وأنه سَنَّ سُنَّه عَظِيمَه فِي مَشْهَدِ عَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَي تَكُونَ مَبْدَأً وَمَنْطَلِقاً لَهُمْ فِي إِقَامَةِ الْمَآتَمِ وَمَجَالِسِ الْعَزَاءِ عَلَى مَصَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَ قُبُورِ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالطَّرِيفِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمَتَوَاتِرِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي قَامَ بِعَمَلِيَةِ الْبُكَاءِ هُوَ شَخْصُ النَّبِيِّ (ص) فَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ وَأَبَكَى.

قال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره لهذا الحديث ورواه النسائى عن قتبيه عن محمد بن عبيد ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن محمد بن عبيد وهؤلاء كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك قوله (١).

سن النبي (ص) الدعاء والعبادة عند قبور أهل بيته عليهم السلام

وفى مجمع الزوائد للهيثمى روى ابن عباس أن النبي (ص) لما أقبل من غزوه تبوك واعتمر فلما هبط من ثنيه عسفان أمر أصحابه أن يستندوا إلى عقبه حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً ثم إنه بكى فاشتد بكاءه وبكى هؤلاء لبكائه وذكر أنه رواه الطبرانى فى الكبير (٢).

ويظهر من لفظ هذا الحديث أن النبي (ص) سَنَّ الدَّعَاءَ وَالْمَنَاجَاتِ عِنْدَ قُبُورِ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا أَنَّ اشْتِدَادَ بَكَائِهِ سَنَّه مِنْهُ (ص) فِي إِقَامَةِ الْجَزَعِ عِنْدَ قُبُورِ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْمَتَوَاتِرَ بِالْفَافِظِ مُخْتَلَفِهِ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا تَكَرُّارَ زِيَارَةِ النَّبِيِّ (ص) لِقَبْرِ أُمِّهِ وَإِقَامَةِ الْعَزَاءِ وَالِدَّعَاءِ فِي عِدَّةِ مَرَاتٍ مِنْ زِيَارَتِهِ.

١- شرح مسلم، ج ٧، باب استئذان النبي (ص) ربه فى زياره قبر أمه.

٢- مجمع الزوائد، ج ١، باب فى شيطان المؤمن، باب فى أهل الجاهليه.

جملة من سنن النبي (ص) في زياره قبر والدته عليها السلام

ويستفاد من هذا الحديث «ثم بكى فاشتد بكاءه وبكى من حوله» المتواتر جملة من الأمور منها:

١ - رجحان شد الرحال والسفر لزياره قبور أهل البيت عليهم السلام حيث تكرر سفره لزياره قبر أمه.

٢ - سنه إقامة المآتم والعزاء على أهل البيت عليهم السلام.

٣ - تشعير قبور أهل بيته عليهم السلام كمواطن للعباده والمناجاة ومواطن لإقامه المآتم والحزن والعزاء عليهم ورجحان البكاء والإبكاء على مصائب أهل بيته وأن هذه سنه عظيمه قد تكررت منه (ص) وقد استقصى العلامة الأميني في كتابه (سنتنا وسيرتنا) سنه النبي (ص) وسيرته اثني عشر مجلساً أقامها سيد الأنبياء وقام برثاء أبته الحسين سيد الشهداء وذكر لكل مأتم جملة وافره من المصادر عند العامه.

ثم إن الذي ذكر «زياره النبي لقبر أمه» صاحب كتاب الاستذكار للقرطبي وشعب الإيمان للبيهقي وعمده القارئ (١).

وفي فتح الباري لابن حجر ذكر في لفظ حتى جلس إلى قبر فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي (٢).

وفي روايه الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة أتى رسم قبر (ناقص) عن عطيه لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر (٣).

وللطبراني من طريق عكرمه عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما أقبل من غزوه تبوك واعتمر فلما هبط من ثنيه عسفان فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً، وذكر أنه زار قبر أمه بعد رجوعه من تبوك (٤).

وقال العيني في عمده القارئ: وكان الشارع (ص) يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول

١- الاستذكار، ج ١، ص ١٨٧؛ شعب الإيمان، ج ٧، ص ١٥؛ عمده القارئ، ج ٨، ص ٧.

٢- فتح الباري، ج ٨، ص ٣٩٠.

٣- جامع البيان، ج ١١، ص ٥٨.

٤- مجمع الزوائد، ج ١، ص ١١٧؛ الدر المنثور، ج ٣، ص ٢٨٣؛ المعجم الكبير، الطبراني، ج ١١، ص ٢٩٦.

ص: ١٨٥

فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبي الدار، وكان أبو بكر وعمر وعثمان، يفعلون ذلك، وزار الشارع قبر أمه، يوم الفتح في ألف مقنع ذكره ابن أبي الدنيا، وذكر ابن أبي شيبة عن علي وابن مسعود وأنس، وكانت فاطمة تزور قبر حمزه كل جمعه وكان عمر، يزور قبر أبيه فيقف عليه ويدعو له، وكانت عائشه، تزور قبر أخيها عبد الرحمن وقبره بمكة (١).

٤- ويستفاد من هذا الحديث المتواتر أن النبي (ص) سنّ السفر إلى زيارته قبور أهل بيته وأن ما رووه من أنه لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة بأن عموم النفي هذا مخصوصٌ بذلك مع أن النفي كما قد عرفت محمول على الفضيله عند أكثر علماء أهل السنة.

روى الصدوق في الصحيح إلى ياسر الخادم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا ألا وإني مقتول بالسب ظلماً ومدفون في موضع غربه فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنوبه (٢).

وقال النووي في شرح مسلم و الصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختار إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد أن الفضيله التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم (٣).

وهذا مضافاً إلى جملة من الأجوبة السابقة والآتيه أنه ورد مستفيضاً عن الفريقين أنه من حج ولم يزرنى فقد جفانى بل هناك ألفاظ أخرى للحديث الشريف مفادها كما هو ظاهر توقيتٌ معلوم لأحد مواسم زيارته فهذا المفاد يبطل الاستدلال بظاهر هذا الحديث.

هذا وروايات أهل البيت عليهم السلام متواتره في كون زيارته وعمارته النبي (ص) وأهل بيته من معالم وشعائر الدين الكبرى فقد عقد صاحب الوسائل (٩٦ باباً وأخرج فيها مئات الأحاديث هذا فضلاً عما أورده صاحب البحار في أبواب المزار والميرزا النورى في مستدرک الوسائل عن الأصول المرويه عن أصحابنا في ذلك وغيرهم من أساطين المحدثين وأبواب أحكام المساجد وغيرها من الأبواب في كتب الحديث، فالأمرُ بالغ حدّ التواتر من الدرجه الكبيره جداً ومن ثم

١- عمده القارى، ج ٨، ص ٧٠.

٢- عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٨٥.

٣- شرح مسلم، ج ٩، باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج وغيره.

ص: ١٨٦

هو من الأسس في شعائر ومعالم أهل البيت عليهم السلام حتى أن الحث ورد منهم على زياره قبورهم وعمارتهم في ظرف الخوف على النفس مما يشير إلى مدى ركنيه هذه الشعيرة في الدين، وهي سيره مأخوذة يداً بيد قائمه عند شيعه أهل البيت عليه السلام منذ القرن الأول والثاني للهجرى.

البيان الرابع: ما رواه ابن ماجه عن ابن أبى مليكه، عن عائشه أن رسول الله (ص) رخص في زياره القبور (١).

والرواية في الأصل كما رواه الغزالي في إحياء العلوم: «عن عبدالله بن أبى مليكه ان عائشه أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخى عبدالرحمن بن أبى بكر فقلت: أليس كان رسول الله (ص) نهى عن زياره القبور؟ قالت: نعم، كان نهى ثم أمر بزيارتها» (٢) وفي هذه الرواية دلالة على أن أذنه (ص) عامٌ للنساء في مرتكز الرواه واستظهارهم.

وروى ابن ماجه عن ابن مسعود، أن رسول الله (ص) قال: «كنت نهيتكم عن زياره القبور، فزوروها. فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة» (٣).

كما رواه ابوداود في سننه عن ابن بريده، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ص): «نهيتكم عن زياره القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكركم» (٤).

توقيتته (ص) الحج بزياره قبره

البيان الخامس: ومن الأدله ما روى مستفيضاً في قوله (ص) «من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زار قبري وجبت له شفاعتي» (٥) وهذا التوقيت وإن لم يكن حصرياً ولكنه أحد مواقيت زيارته بفعل الحج.

١- سنن ابن ماجه، ج ١، باب ما جاء في زياره القبور.

٢- إحياء العلوم، ج ٤، باب زياره القبور؛ السنن الكبرى، ج ٤، باب ما يقول إذا دخل المقبره؛ نيل الأوطار، الشوكاني، ج ٤، الدليل على تحريم اتباع الجنائز للنساء.

٣- سنن ابن ماجه، ج ١، باب ما جاء في زياره قبور المشركين.

٤- سنن أبى داود، ج ٢، باب المحرم يموت كيف يصنع به.

٥- الدر المنثور، ج ١، سورة البقره.

ص: ١٨٧

وفى بعض ألفاظ الحديث «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى» (١) وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبى (ص) قال «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» رواه البزاز (٢).

وعن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) «من جاءنى زائراً لا يعلم له حاجه إلا- زيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيحاً يوم القيامة» (٣) والحديث صريح فى الحث على تمحض القصد من السفر وشد الرحال فى قصد زيارته (ص).

ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبى داود القارى وثقه أحمد وعن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): «من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى». قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه عائشه بنت يونس ثم ذكر باب «وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله (ص)» (٤).

وروى الهنذى فى كنز العمال عن ابن عباس، عن النبى (ص)، قال: «من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان» (٥).

والحديث دال على تمحض القصد لزيارته وهو يدحض ما ابتدئته الوهابيه من حصر قصد السفر إلى المدينة المنوره أنه لا بد أن يكون بقصد مسجده النبوى لا بقصد قبره الشريف ولا بقصد زيارته (ص) بانين ذلك على ما تخيلوا فى استظهاره من حديث «لا تشد الرحال» مع أن تلازم قصد مسجده مع زيارته بل تلازم قصد المسجد الحرام مع زيارته دال على الأمر بشد الرحال إلى زياره قبره الشريف.

الحج وزياره قبر النبي واهل بيته من دون التفريط بكل منهما

ثم إن الحديث الشريف يفيد تكثير الثواب لزيارته (ص) مضاعفاً على الحج ولا يتوهم فى معناه سد باب الحج وهوانه والعياذ بالله بل هو تأكيد لأهميته وولايه الرسول (ص) وضروره

١- كنز العمال، ج ٥، زياره قبر النبى (ص) من الاكمال.

٢- مجمع الزوائد، ج ٤، باب زياره سيدنا رسول الله (ص).

٣- المصدر نفسه، باب قوله (ص) لا تجعل قبرى وثناً.

٤- المصدر نفسه.

٥- كنز العمال، ج ٥، باب زياره قبر النبى (ص) من الاكمال.

ص: ١٨٨

ضم زيارته إلى الحج وإن الولايه ركنٌ من أركان الدين كالحج والصلاه والصيام والزكاه بل هي أعظم الأركان من دون التفريط ببقية الأركان، ومثله ما ورد من الحث الشديد على زياره قبور أهل البيت لثواب مضاعف وأنه ليس في ذلك تغريزٌ بترك الحج كما يتوهمه السلفيه والوهابيه، كيف وقد ورد في روايه أهل البيت عليهم السلام أن المسلمين «لو تركوا الحج في عامٍ من الأعوام لهلكوا» (١).

وقد ورد أيضاً عنهم عليهم السلام: «إن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا، ولو أجمعوا على ترك الحج لهلكوا، وهو قوله تعالى: «وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» (٢) أي أن إقامه الحج من قبل المسلمين والمؤمنين واجبٌ كفائي بغض النظر عن الاستطاعه.

كما ورد عنهم عليهم السلام إنه يجب على الوالى أن يبذل من بيت المال لإقامه الحج وإرسال الحجيج لو عجز الناس لكى لا يعطل بيت الله الحرام كما يبذل من بيت المال لإقامه زياره النبي (ص) بل ورد عنهم عليهم السلام أن الواجب على الوالى أن يبقى مكه والمدينه المنوره معموره بالساكين والمقيمين (٣).

كذلك ورد عنهم عليهم السلام أن الجوار بالسكنى (٤) والإقامه عند بيت الله الحرام والمدينه المنوره وبقية المدن التى فيها قبور أهل البيت عليهم السلام هو من الجهاد والذى يستفاد من كل ذلك أن اللازم والواجب هو إقامه وعمارته معالم الدين وأركانه أجمع لا بعضها على حساب البعض الآخر ولا الاكتفاء ببعضها دون البعض.

وعن داود بن أبى صالح قال «أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدرى ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله (ص) ولم آت

١- وسائل الشيعة، ج ١، أبواب مقدمه العبادات؛ الكافي، ج ٢، باب أن ترك الخطيئه أيسر؛ مستدرک الوسائل، ج ٨، باب عدم جواز تعطيل الكعبه عن الحج؛ تفسير العياشى، ج ١، قوله تعالى: «وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ» .

٢- البقره: ٢٥١.

٣- الكافي، ج ٤، باب الإجماع على الحج؛ الوسائل، ج ١١، باب وجوب إجبار الوالى الناس على الحج.

٤- وسائل الشيعة، ج ١٥، باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام وأذنه، ب ١٢.

ص: ١٨٩

حجر» وجاء بلفظ «لم أر الحجر» (١).

وهو بتمامه في كتاب الخلافة، رواه أحمد وداود بن أبي صالح قال الذهبي لم يرو عنه غير الوليد بن الكثير وروى عنه الكثير بن زيد كما في المسند ولم يضعفه أحد.

أقول وفي هذه الأحاديث وغيرها الدالة على الحث على زيارته صلى الله عليه وآله بنحو مستفيض رد على حشويه السلفيين الذين استظهروا حرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

وفي تحفه الأ-حوذى قال: واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زياره الصالحين أحياءً وأمواتاً، وإلى المواضع الفاضله لقصد التبرك بها والصلاه فيها، إلى أن قال والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم وأجابوا عن الحديث بأجوبه منها: «أن المراد أن الفضيله التامه إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز وقع في روايه لأحمد سيأتى ذكرها بلفظ لا ينبغي للمطى أن تعمل وهو لفظ ظاهر في غير التحريم» (٢).

ويدعم هذا الاستظهار ما ورد عن أبي هريره بألفاظ أخرى نحو «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه» ونحو: «إنما يسافر إلى ثلاثه مساجد» أخرجه البخارى باللفظ الأول (٣)، ومسلم باللفظ الآخر من طريق ثانٍ عنه (٤) وأخرجه من الطريق الأول أصحاب السنن وغيرهم (٥).

ورواه البزاز بهذا النحويين من ألفاظ الحديث (٦) حيث يعزز أن الحديث مسوق إلى بيان

- ١- مسند أحمد، ج ٥، حديث أبي أيوب الأنصارى ج ٥؛ المستدرک، ج ٤، باب ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله؛ مجمع الزوائد، ج ٤، باب قوله (ص) لا تجعل قبري وثناً؛ ولاية المناصب، ج ٥؛ تاريخ مدينه دمشق، ابن عساكر، ج ٥٧، باب مروان بن الحكم.
- ٢- تحفه الأ-حوذى، ج ٢، باب ما جاء في أى المساجد أفضل.
- ٣- صحيح البخارى، ج ٢، باب فضل الصلاه فى المسجد.
- ٤- صحيح مسلم، ج ٤، باب بيان أن المسجد الذى أسس على التقوى.
- ٥- المصدر نفسه، باب سفر المرأه مع محرم، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه؛ إرواء الغليل، محمد ناصر الألبانى، ج ٣، باب النهى عن شد الرحال؛ ج ٤، باب تفضيل الصلاه فى مسجده، أحكام الجنائز، باب صيغه سلام عند الدخول؛ المعجم الصغير، الطبرانى، ج ١، باب من اسمه سلمه؛ المعجم الأوسط، ج ٢، ٤ و ٥؛ المعجم الكبير، ج ٢٢، باب من يكنى أبو نجیح؛ مجمع الزوائد، ج ٤، باب قوله (ص) لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه.
- ٦- مجمع الزوائد، ج ٤، باب قوله (ص) لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه.

ص: ١٩٠

أهميه وفضيله المساجد الثلاثة وما يعزز هذا الاستظهار أيضاً ما ورد في الأحاديث المستفيضه عند الفريقين من عظم الثواب في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس

مع أنه ورد في أحاديث أهل البيت أن الصلاة في مسجد الكوفة أعظم ثواباً من الصلاة في بيت المقدس بل في روايات أهل البيت أن الإتمام في السفر لعظم الثواب فيها وهي «الحرم المكي والمدني ومسجد الكوفة والحائر الحسيني في كربلاء» (١).

وقد تقدم أن قوله (ص) في حديث الفريقين: «ما بين قبري وبيوتي روضه من رياض الجنة» شاملٌ لبيت علي وفاطمة وذريته، فيوته شامله لقبره وقبور أهل بيته المطهرين ومن ثم ورد عنهم عليهم السلام كثره فضيله الصلاة عند قبورهم، فهناك فرقٌ في الاستظهار بين ما ذهب إليه جمهور علماء السنه وبين ما ذهب إليه السلفيه (الوهابيه) حيث حمل المشهور الحديث «لا تشد الرحال» على النفي للكمال البالغ ولشده الرجحان بينما حمل الوهابيه الحديث على النهي التحريمي مما يشير إلى أن المسلك الحشوي في استظهار الحديث هو سبب الأزمه في هذا الفهم العاطل حيث يقتصرون في الاستظهار بالجمود على لفظ الحديث من بعض طرقه دون بقيه الطرق ومن دون الالتفات إلى جملة من القرائن في البين وهذا طامهٌ كبرى في منهج الاستظهار في الأدله وإلا فهذا التعبير مستعمل بكثرة في موارد نظير «لا حلم كالصبر» وغيرها من الموارد المتعدده.

عماره قبره (ص) بقاء للشهادة الثانيه

وهذا مضافاً إلى اعتضاد هذه الأحاديث بقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ» (٢).

١- الوسائل الشيعه، ج ٨، الباب ٢٥ من صلاه المسافر.

٢- النساء: ٦٤.

ص: ١٩١

وقوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» (١).

حيث دلت الآيتان على أن المجيء بحضره النبي (ص) حثٌ أكيدٌ منه تعالى على ذلك الموطن لكي يتحقق فيه استجابته التوبة والغفران.

وبعبارة أخرى أن الحث في القرآن الكريم والسنة المتواترة والمستفيضه لزيارته (ص) يستلزم جعل قبره معلماً ومشعراً كي لا تضيع هذه السنة الإلهية بل كي يبقى ذكره الشريف أساس الدين وحقيقته الشهادة بالرسالة ومن ثم يعلم أن عماره قبره الشريف معلّم عظيم لبقاء ذكر الدين في أجيال البشر والعالمين إلى يوم القيامة.

طمس قبره الشريف إيمانه لذكره (ص)

فالدعوة إلى طمس قبره الشريف هي دعوته إلى طمس الدين والشريعة الخاتمة كما هو غرض اليهود والنصارى ومن ذلك يظهر النظر والإشكال في استظهارهم طمس قبور الأنبياء والمرسلين السابقين مما روى من قوله (ص)

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي لفظ آخر «قاتل الله اليهود» فإن عماره قبور الأنبياء والمرسلين تخليداً لذكراهم وقد أكد القرآن الكريم على ذكركم وإبقاء ذكراهم ليكونوا قدوة للبشر ومنابع للنور كما في قوله تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»، فكيف يدعو الدين إلى طمس قبورهم، إلا أن يكون الحديث الشريف بمعنى النكير على ما فعله اليهود والنصارى من تأليه النبي عيسى وعزير، أو إنهم طمسوا قبور الأنبياء واتخذوا الصلاة والسجود عليها مما يؤدي إلى طمس معلميتها وتسويتها مع الأرض.

وروى في البخاري عن محمد بن مقاتل، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ سُفْيَانَ الثَّمَارِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ (ص) مُسَنَّماً (٢).

كما روى أحمد في مسنده «حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبه، قال سمعتُ سليمان

١- المنافقون: ٥.

٢- صحيح البخاري، ج ٢، باب ما جاء في قبر النبي (ص).

ص: ١٩٢

الشيواني، قال سمعتُ الشعبي، قال أخبرني من مر مع رسول الله (ص) على قبرٍ منبوذٍ فأمرهم وصفوا عليه فقلتُ: يا أبا عمرو من حدثك؟ قال: ابن عباس» (١) كذلك في صحيح ابن حبان بسنده عن ابن عباس قال: «أتى رسول الله (ص) على قبرٍ منبوذٍ فصلى عليه وصلينا معه» (٢).

قال أبو حاتم رضى الله في هذا الخبر بياناً واضحاً أن صلاة المصطفى (ص) على القبر إنما كانت على قبرٍ منبوذٍ ومنبوذٍ ناحيه فدللتك هذه اللفظه على أن الصلاة على القبر جائزٌ إذا كان جديداً في ناحيه لم تنبش أو في وسط قبور لم تنبش فأما القبور التي نبشت وقلب ترابها صار ترابها نجساً لا تجوز الصلاة على النجاسه إلا أن يقوم الإنسان على شىء نظيف ثم يصلى على قبر المنبوش دون المنبوذ الذى لم ينبش (٣)، وهذه الروايات تعزز أن المعنى المراد من النهى عن جعل القبور مساجد هو تجنب موطن الصلاة من موارد التلوث والقذاره والتحرى عن الأماكن النظيفة للصلاه.

البيان السادس: ما ورد من متفرقات الروايات الداله على الحياه البرزخيه لأهل القبور، منها ما رواه مسلم فى مسنده عن أبى هريره عنه (ص): «إن امرأة سوداء كانت تقوم فى المسجد -أوشاباً - ففقدَها رسولُ الله (ص) ، فسأل عنها - أو عنه - فقالوا مات قال: أفلا كنتم آذنتموني. قال: فكأنهم صغروا أمرها - أو أمره - فقال: «دُلُونِي على قبره فدلوه فصلى عليها». ثم قال:

«إن هذه القبور مملوءه ظلمه على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم» (٤).

كما أشار ابن حبان إلى ذلك وعقب على هذه الروايه وقال (أن بعض المخالفين احتج بهذه الزياره على أن ذلك من خصائصه (ص) ، حيث ينكر هذه الخاصيه لرسول الله مع أنها ظاهره فى المطلوب ولها دلالة واضحه على الحياه البرزخيه (٥).

١- مسند أحمد؛ مسند عبدالله بن عباس، ج ١؛ صحيح البخارى، ج ١، باب فى الجنائز؛ المعجم الكبير، الطبرانى، ج ١٢، باب الشعبى عن ابن عباس.

٢- صحيح ابن حبان، ج ٧، باب إباحه الصلاه على قبر المدفون.

٣- المصدر نفسه.

٤- صحيح مسلم، ج ٣، باب القيام للجنائز؛ مسند أحمد؛ مسند أبى هريره، ج ٢.

٥- فتح البارى، ج ٣، باب الميت يسمع خفق النعال، ج ١، باب كنس المسجد والتقاط الخرق.

ص: ١٩٣

وروى عن النبي (ص) أنه قال: «أنس ما يكون الميت إذا زاره من كان يحبه في الدار الدنيا» (١).

وورد في وفاء الوفاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» (٢).

ومنها: أن النبي (ص) أمر في معركة بدر بأن تُلقي أجساد المشركين في بئر (قليب) ثم خاطبهم قائلاً: «فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً». قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال رسول الله (ص): «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم قال قتاده أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسره وندماً» (٣).

فهذا التعجب والاعتراض من بعض الصحابة لجهلهم بالحياه البرزخيه لأصحاب القبور فرد النبي (ص) بأنه (ما أنتم بأسمع).

ومفاد هذا الحديث يطابق ما ورد من مخاطبه النبي شعيب عليه السلام لقومه بعد هلاكهم في قوله تعالى: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ * الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبِيًّا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ» (٤).

كذلك ما ورد على لسان صالح في قوله تعالى: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُجِيبُونَ النَّاصِحِينَ» (٥).

وبهذا نجد من يعتقد بأن الإنسان ينقطع عن هذه الحياه بمجرد موته لا نفع فيه ولا يسمع فإنه يجهل الحياه البرزخيه التي يختلف عن هذه الحياه الماديه والتي بين النبي الأكرم (ص) وأهل بيته هذه العوالم وبأن النفس البشريه فيها تمتلك من الحواس أضعاف ما يملكه البشر في هذا العالم المادى وبأنهم يسمعون ما نقول وأن زيارتهم بعد الموت من الإيمان الذي لا بد منه.

١- وفاء الوفاء، السمهودي، ج ٤، ص ١٣٦٠؛ السيره النبويه، الشامي، ج ١١، ص ٣٨٢.

٢- وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٣٥١.

٣- البخاري، ج ٥، باب قتل أبي جهل باب قصه غزوه بدر.

٤- الأعراف: ٩١ - ٩٣.

٥- الأعراف: ٧٨ - ٧٩.

ص: ١٩٥

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* نهج البلاغه

* دعاء الندبه

١. الاحتجاج، الطبرسي، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ. ق.
٢. أحكام الجنائز، ناصرالدين بن محمد الألباني.
٣. الإحكام فى أصول الأحكام، ابن حزم.
٤. إحياء علوم الدين، الغزالي.
٥. الأذكار النوويه، يحيى بن شرف النووى، دارالفكر، ١٤١٤هـ. ق.
٦. الإرشاد فى معرفه حُجج الله على العباد، الشيخ المفيد، بيروت، دار المفيد.
٧. الاستذكار، القرطبي.
٨. الأم، الشافعى، ط الثانيه، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ. ق.
٩. الأمالى، الشيخ الطوسى، ط الأولى، قم، دار الثقافه، ١٤١٤هـ. ق.
١٠. إمتاع الأسماع، المقرئى.
١١. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسى، بيروت، مؤسسه الوفاء، ١٤٠٣هـ. ق.
١٢. البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان، المتقى الهندي، قم، مطبعه الخيام.
١٣. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، طهران، مؤسسه الأعلمی، ١٤٠٤هـ. ق.

ص: ١٩٦

١٤. تاريخ الطبرى.
١٥. تاريخ مدينه دمشق، ابن عساكر، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ. ق.
١٦. التبيان فى تفسير القرآن، الطوسى، ط الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٩هـ. ق.
١٧. تحذير الساجد من إتخاذ القبور مساجد، ناصرالدين الألبانى.
١٨. تحف العقول، الحرانى.
١٩. تحفه الأحوذى فى شرح الترمذى، المبار كفورى، ط الأولى، بيروت، دارالكتب العلميه، ١٤١٠هـ. ق.
٢٠. تطهير الاعتقاد فى أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعانى
٢١. تفسير ابن كثير، ابن كثير، بيروت، دار المعرفه، ١٤١٢هـ. ق.
٢٢. تفسير البحر المحيط، الأندلسى.
٢٣. تفسير الثعلبى، أبو اسحاق الثعلبى.
٢٤. تفسير العياشى، محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى، طهران، المكتبه العلميه الإسلاميه.
٢٥. تفسير القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار إحياء التراث، ١٤٠٥هـ. ق.
٢٦. تفسير القمى، على بن إبراهيم القمى، ط الثالثه، مؤسسه دار الكتاب، ١٤٠٤هـ. ق.
٢٧. تفسير الميزان، العلامه الطباطبائى، مؤسسه النشر الإسلامى.
٢٨. تفسير نور الثقلين، العلامه الشيخ عبد على بن جمعه العروسى الحويزى.
٢٩. تقييد العلم، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى أبو بكر.
٣٠. تلخيص الحبير، ابن حجر العسقلانى.
٣١. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسى، دار الكتب الإسلاميه، ١٤٠٧هـ. ق.
٣٢. التوحيد، الصدوق، قم، جماعه المدرسين، ١٣٨٧هـ. ق.
٣٣. ثواب الأعمال، الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسن بن بابويه، ط الثانيه، قم، منشورات الرضى، ١٤١٢هـ. ق.

ص: ١٩٧

٣٤. جامع البيان، ابن جرير الطبري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ. ق.
٣٥. خصائص أمير المؤمنين، النسائي.
٣٦. الخصال، الصدوق، قم، جماعه المدرسين، ١٤٠٣هـ. ق.
٣٧. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ط الأولى، بيروت، دار المعرفه، ١٣٦٥هـ. ق.
٣٨. الدر النضيد في إخلاص كلمه التوحيد، الشوكاني.
٣٩. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول محمد بن مكى جمال الدين العاملي.
٤٠. رد المحتار على الدر المختار (حاشيه ابن عابدين)، ابن عابدين.
٤١. الرد على الأحنائي، ابن تيميه.
٤٢. الرسائل الشخصيه، الشيخ محمد عبدالوهاب.
٤٣. روضه الطالبين، الإمام العلامة محيي الدين بن شرف النووى الدمشقى.
٤٤. روضه الواعظين، الفتال النيسابورى، قم، منشورات الرضى.
٤٥. زاد المسير فى علم التفسير، ابن الجوزى، ط الأولى، بيروت، دارالفكر، ١٣٨٢هـ. ق.
٤٦. زاد المعاد فى هدى خير العباد، ابن القيم.
٤٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى، بيروت، دارالفكر.
٤٨. سنن أبى داود، السجستاني، ط الأولى، بيروت، دارالفكر، ١٤١٠هـ. ق.
٤٩. سنن الترمذى، الترمذى.
٥٠. سنن الدار قطنى، على بن عمر الدار قطنى، ط الأولى، بيروت، دار الكتب العلميه، ١٤١٧هـ. ق.
٥١. سنن الدارمى، عبدالله بن بهرام الدارمى.
٥٢. السنن الكبرى، البيهقى، بيروت، دارالفكر.
٥٣. سنن النسائي، ط الأولى، بيروت، دارالفكر، ١٣٤٨هـ. ق.

٥٤. السيره النبويه، ابن هشام، ط الأولى، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ. ق.

٥٥. السيف الصقيل، الحافظ تقى الدين السبكي، مكتبه زهران.

ص: ١٩٨

٥٦. شرح احقاق الحق، السيد المرعشى، قم، مكتبة المرعشى النجفى.
٥٧. شرح المواهب اللدنيه، القسطلانى.
٥٨. شرح مسلم، النووى.
٥٩. شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد المعتزلى، ط الأولى، دار إحياء الكتب العربيه، ١٣٧٨هـ. ق.
٦٠. شعب الإيمان، البيهقى.
٦١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى عياض، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٩هـ. ق.
٦٢. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمى البستى، ط الثانية، بيروت، مؤسسه الرساله، ١٤١٤هـ. ق.
٦٣. صحيح البخارى، بيروت، دارالفكر، ١٤٠١هـ. ق.
٦٤. صحيح مسلم، بيروت، دارالفكر.
٦٥. عقد الدرر فى أخبار المهدي المنتظر، يوسف بن يحيى بن على المقدسى الشافعى السلمى، طبعه مصر، ١٣٩٩هـ. ق.
٦٦. علل الشرائع، الصدوق، النجف الأشرف، المكتبه الحيدريه، ١٣٨٦هـ. ق.
٦٧. عمدہ القارى، العينى.
٦٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، ط الأولى، بيروت، مؤسسه الأعلمى، ١٤٠٤هـ. ق.
٦٩. غايه المرام وحجه الخصام، السيد هاشم البحرانى.
٧٠. الغدير، الأمينى، بيروت، دار الكتاب العربى، ١٣٨٩هـ. ق.
٧١. فتح البارى، ابن حجر العسقلانى، ط الثانى، بيروت، دار المعرفه.
٧٢. فتح العزيز فى شرح الوجيز، عبد الكريم الرافعى، بيروت، دارالفكر.
٧٣. فتح القدير، الشوكانى، عالم الكتب.
٧٤. فتح المعين، المليبارى الهندى، ط الأولى، بيروت، دارالفكر، ١٤١٨هـ. ق.
٧٥. فضائل الصحابه، أحمد بن حنبل، بيروت، دار الكتب العلميه.

٧٦. الفواكه الدواني على رساله ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوى.

ص: ١٩٩

٧٧. القاعده الجليله فى التوسل والوسيله، ابن تيميه.
٧٨. القوانين الفقيهيه، ابن الجزى الكلبى.
٧٩. الكافى، محمد بن يعقوب الكلينى، ط الثالثه، طهران، دارالكتب الإسلاميه، ١٣٨٨هـ. ق.
٨٠. كامل الزيارات، ابن قولويه، ط الأولى، مؤسسه نشر الفقاهه، ١٤١٧هـ. ق.
٨١. كتاب المصنف، أبو بكر عبد الرزاق الصنعانى، المجلس العلمى.
٨٢. كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ط حجره، مهدى أصفهان.
٨٣. كفايه الأثر، الخزاز الطوسى، بيروت، دار الأندلس.
٨٤. كلمه التقوى، العلامه الشيخ محمد أمين زين الدين، المطبعه الشرقيه.
٨٥. كنز العمال، المتقى الهندى، بيروت، مؤسسه الرساله، ١٤٠٩هـ. ق.
٨٦. لسان الميزان، ابن حجر العسقلانى، ط الثانيه، بيروت، مؤسسه الأعلمى.
٨٧. اللهوف فى قتلى الطفوف، ابن طاووس الحسينى، قم، مطبعه مهر، ١٤١٧هـ. ق.
٨٨. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ط الثانيه، قم، جماعه المدرسين، ١٤٠٤هـ. ق.
٨٩. مجمع البيان فى تفسير القرآن، الطبرسى، ط الأولى، بيروت، مؤسسه الأعلمى، ١٤١٥هـ. ق.
٩٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيتمى، بيروت، دار الكتب العلميه، ١٤٠٧هـ. ق.
٩١. المجموع فى شرح المهذب، النووى، بيروت، دارالفكر.
٩٢. المحاسن، البرقى، تحقيق: جلال الدين الحسينى، المكتبه الإسلاميه.
٩٣. مختصر البصائر، الحسن بن سليمان الحللى، ط الأولى، النجف الأشرف، المطبعه الحيدريه، ١٣٧٠هـ. ق.
٩٤. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، المحدث النورى، ط الأولى، مؤسسه أهل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ. ق.
٩٥. المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، بيروت، دارالمعرفه، ١٤٠٦هـ. ق.
٩٦. مسند أحمد بن حنبل.

٩٧. معانى الأخبار، الصدوق، النشر الإسلامى، ١٣٦١هـ. ش.

ص: ٢٠٠

٩٨. المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، ١٤١٥هـ. ق.
٩٩. المعجم الكبير، الطبراني، ط الثانية، القاهرة، مكتبة ابن تيميه.
١٠٠. مقتل أبي مخنف.
١٠١. المقنع، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قم، مؤسسه الإمام المهدي، ١٤١٥هـ. ق.
١٠٢. مناقب المهدي، الحافظ أبو نعيم الاصفهاني.
١٠٣. مناقب أمير المؤمنين، ابن المغازلي الشافعي.
١٠٤. منسك المروزي، أحمد بن حنبل.
١٠٥. منهاج السنه، ابن تيميه الحراني الدمشقي، دارالآثار.
١٠٦. الموطأ، عبدالله مالك بن أنس.
١٠٧. ميزان الاعتدال، الذهبي، ط الأولى، بيروت، دارالمعرفه، ١٣٨٢هـ. ق.
١٠٨. نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ط الأولى، ١٣٧٧هـ. ق.
١٠٩. نيل الأوطار، الشوكاني.
١١٠. الهدايه الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، ط الرابعه، بيروت، مؤسسه البلاغ، ١٤١١هـ. ق.
١١١. وسائل الشيعه، الحر العاملي، ط الثانية، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤هـ. ق.
١١٢. الوسيله إلى نيل الفضيله، ابن حمزه، ط الأولى، قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٨هـ. ق.
١١٣. وفاء الوفاء، السمهودي.
١١٤. ينابيع الموده، القندوزي الحنفي، ط الأولى، دار الأسوه، ١٤١٦هـ. ق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمتقنين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرنا أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة إلكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمتقنين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتيّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

